المشرق

السنة الثالية والثلاثون | تشرين ١ - كانون ١ ١٩٣٦

الحِلم عند العرب

محاولات في تحديده

بقلم الاب لامنس اليسوعي

من اكثر الالفاظ دوراناً على السنة خطباء العرب ، وعلى اقلام كتّابهم ، اذا ما ارادوا وصف سيّد كريم مُطاع ، لفظة « الحلم » . فهم يجمعون فيها طائفة من الصفات المتعدّدة المتتابعة من رباطة الجأش ، الى تسكين الغضب ، الى مفاجأة الخصم بعدم اللوم ، الى التظاهر بالصفح والتجاوز عن الاساءة ، الى غير ذلك من اخلاق تظهر جديرة بكل تقدير في نظر العرب ، ذاك الشعب السريع التأثر الهيّاج الاعصاب ، ولكنها لا تسلم من الغموض اللاحق حتماً بكل لفظ اضطرب استعماله وتشعّبت غايات مستعمليه .

قد رأينا ان نُعيد النظر في مدلول « الحلم » فنستعين بمواقف التاريخ ، وشواهد الشعر القديم ، محاولين جمع هذه التشعّبات ، فالعمل على تحديد اللفظة وتفصيل ما تتضمنه من المعاني في نظر العرب .

ونبدأ بالقول ان الحلم صفة مركبة ، بل مزيج من صفات عديدة . فلا هو الصبر وحده ، ولا التساهل ، ولا الصفح ، ولا تحمّل الاساءة ، ولا رباطة الجأش ، ولا نضج العقل . انما يكتفي بان يتخذ من كل هذه الصفات بعض المظاهر الخارجية فيغترّ بها الناظر لاول وهلة ، حتى لا يمكن فهم المقصود بالحلم الا بفضل المعنى الاجمالي في الفترة[1] . فينتج من هذه الاستعارات الخارجية صفة عربية محضة ، عجيبة التركيب ، مضطربة التحديد ، وافرة الغموض حتى ان الانسان ليحار في الحكم عليها اهي من الفضائل ام من النقائص . وهي صورة لعقلية الشعب العربي ولطبيعته المركبة من الاضداد المتنافرة ، طبيعة عصبية ، راغبة في الظهور ، محدّدة الاطراف ، تزدحم فيها الاخلاق المتباينة دون توازن ولا تتابع في دقائق العواطف ، فتتصادم في تلك الطبيعة التي عرفت مدنية عريقة[2] ، ولكنها هبطت بتأثيرات المناخ العميقة ، فانحطت الى حالة تجاور الهمجية .

مما يسهّل علينا الوصول الى ماهية الحلم الحقيقية ان نبدأ اولًا فنذكر ما ليس بحلم ، فنفصله عمّا قد يخلطه به بعض الناس من الصفات المشابهة خارجيًا :

اننا نخطئ خطأً فظيعاً اذا شبّهنا الحلم بالوداعة الانجيلية . لان هذه الفضيلة تنتج من كون الانسان يفهم نفسه حقّ الفهم ، وتستند خاصّةً الى التواضع . والحال ان ليس من مكان للتواضع في الحلم ، بل ليس من محلّ للوداعة الانجيلية في الصفات العربية الاصيلة ، في تلك « المروءة » القديمة التي طالما افتخر بها العرب[3] . وقد شعر قدماؤهم بهذا الفرق بين « مروتهم » والمثال النصراني الاعلى ، فكانوا ، على احترامهم وداعة اخوانهم المسيحيين ،

---

١) نرى الحسين بن علي ، في كربلاء ، يحضّ اخته الباكية الصاخبة على ان لا تفقد « حلمها » (الطبري ٢ : ٣٢٤‘١) وقد يأتي الحلم بمعنى العقل ، كما في قول المتلمّس (الديوان ١ : ٨ ؛ والاغاني ١٣ : ١٠٦،٩) : فتى السنّ كهل الحلم . . .

وسنعود الى هذا المعنى .

٢) راجع L. Caetani, ولا سيما H. Winckler, *MVAG*, 1901, pp. 188-189 *Annali dell' Islam*, 2ᵉ vol.

٣) اطلب Ig. Goldziher, *Muhammedanische Studien*, I, 1-40

ينفرون من ان تُنعت رماحهم بالنصرانية[١]، فتُنسب اليهم عاطفة ووداعة وتساهل لم يعرفوها قطّ . لان ذاك الشعب المعجب كل الاعجاب بصفات الرجولة والقوة كان ينقّش في غير الوداعة عن مثال « مروّته » او فضيلة « المرء » اي الرجل. وهكذا فاننا نرى اشهر من مثّل الحلم عند العرب — وسنعدّد اسماءهم في ما يلي[٢] — يهتمون ، قبل كل شيء ، بابعاد كل ما من شأنه ان ينسب اليهم الاتضاع ، بل يفرقون من ان تظهر على حلمهم امارات الضعف التي ينسبونها الى الذلّ ، فيقولون ، اذ ذاك : « الحلم هو الذلّ ! »[٣] او: « آفة الحلم الذلّ ! »[٤]

ولا يكتفي الحلم بكونه لايستند الى التواضع ، بل انه يرمي الى اذلال الخصم وخزيه[٥] اذ يفاجئه الحليم بسموّ عواطفه ورباطة جأشه ، والى افحامه بالجواب الموجز المُسكت[٦] ، على ظهور السكينة والطمأنينة .

ثم ان الحليم لايرمي الى تهذيب قريبه ، وان رغب في « تقليم اظفار جهله احياناً »[٧] . واذا ظهر على الحليم احتمال النبلة مرة فذلك كي لا يقاسي غلبة اشدّ منها . « ومن لم يصبر على كلمة سمع كلمات . »[٨] هي فكرة الاحنف ، اشهر الحلماء بعد معاوية .

وهناك فرق آخر بين الحلم والمغفرة المسيحية . وهو ان هذه الفضيلة تنزع

---

١) وقد زعمت جراء ان رماحنا   رماحُ نصارى لا تخوض الى الدم
(الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ٩٠١، ٤)

٢) كقيس بن عاصم ، والاحنف ، وغيرهما ممن سنذكرهم بالتفصيل .

٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار (Brockelmann) ٢٤١، ٩

٤) هذا قول الاحنف ، العقد ١ : ٢١٩، ٣

٥) راجع العقد ٢ : ٩٣، ١ . . . وفيه ذكر رجل يظهر مثالاً للحلم والزهد الاسلامي ، كما انه مثال لاحتقار غيره من الناس . وقابل باحتجاج ابن عباس على معاوية اذ مدح هذا « لين » الهاشميين ، فاعتبر الهاشمي هذه الصفة اهانةً . (العقد ٢ : ١٢٤–١٢٥)

٦) راجع امثلة من هذه الاجوبة في العقد ١ : ٢١٧

٧) العقد ١ : ٢١٧، ١٤ ؛ الحصري : زهر الآداب (على هامش العقد) ٣ : ١٢٤، ٣ ؛ واطلب ، في اصل الاستعارة ، العقد ٢ : ٥٠، ١٥ . . . وفي استعمالها في الشعر القديم ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء (de Goeje) ١٠١، ٤-٨

٨) الحصري ١ : ٥٧

من صاحبها حتى فكرة الانتقام او الرغبة في ضرر الغير ، فتسكّن حتى نزوات القلب الداخلية . وليس شيء من هذا في الحلم العربي . فان الحليم يسكت لسانه فلا يردّ على الشتائم ، ولكن اذنه تظلّ منتبهة لسماعها ، وقلبه يقظاً لتذوّق مرارتها ، على حدّ قول القائل :

حلمي اصمّ ، وأذني غير صمّاء ! (١

ولا شيء يمنع الحلم ان يتفق والرغبة في الانتقام . يدلنا على ذلك شواهد عديدة منها ما جرى لمعاوية ، افضل من يعرضه العرب مثالًا للحلم التام ، ونحن نكتفي باثنين منها دلالةً على الفرق بين الاموي « الحليم » وبين رجل «وديع» كالقديس فرنسيس سالس مثلًا :

اجتمع قوم من قريش فذكروا حلم معاوية ، فقال بعضهم :«ما اظنّ معاوية اغضبه شيء قطّ . » فقال غيره :« ان ذُكرت امه غضب . » فقال مالك بن اسماء المُنى القرشي[٢] :« انا أُغضبه ان جعلتم لي جُعلًا » ففعلوا . فاتاه في الموسم فقال له :« يا امير المؤمنين ان عينيك لتشبهان عيني امّك » . قال :« نعم كانتا عينين طال ما اعجبتا ابا سفيان . » ثم دعا مولاه شقران فقال له :« أعدد لاسماء المُنى دية ابنها ، فاني قد قتلته وهو لا يدري . »[٣] يريد انه بحلمه واغضائه عنه قد جرّأه على التهجم . وهكذا كان فان مالكاً بعد ان رجع الى جماعته وقبض الجعل قالوا له :« ان أتيت عمرو بن الزبير فقُل له ما قلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا ! » فاتاه فقال له ذلك . فامر بضربه حتى مات . فبلغ معاوية فقال :« انا ، والله ، قتلته . » واقرارًا لقوله هذا ، بعث الى امه بديته .

وهناك حادثة اخرى لعلها توسيع لهذه مفادها ان اعرابيًا راهن قوماً على جُعل أنه يُسمع معاوية ما يكره . فكظم معاوية غيظه ، حتى اذا تجرّأ الرجل ، وقاطع زيادًا في احدى خطبه ، امر به زياد فضربت عنقه . فقال معاوية

١) العقد ١ : ٦٬٣٢٨

٢) هو غير مالك بن اسماء بن خارجة ، فهذا فزاري عاصر الحجاج ؛ وكان ابن سيد فزارة الاموي الهوى (راجع المسعودي ٥ : ٢٩٨-٢٩٩ ؛ والطبري ١ : ٣٠٣٥-٣٠٣٦ ...

٣) البيهقي : المحاسن والمساوئ (Schwaly) ٥٥٣-٥٥٤

لما اتاه الخبر: « لو اصلحته في الاولى لما اتى الثانية. »[1]

وقد روى البيهقي[2] عن الاحنف بن قيس ان رجلاً جاءه فلطم وجهه. فقال: « بسم الله، يا ابن اخي، ما دعاك الى هذا؟ » قال: « آليت ان الطم سيّد العرب من بني تميم ». قال: « فبرّ بيمينك، فما انا بسيّدها. سيّدها حارثة ابن قدامة. » فذهب الرجل، فلطم حارثة. فقام اليه حارثة بالسيف فقطع يمينه. فبلغ ذلك الاحنف فقال: « انا، والله، قطعتها. »

يُستنتج من هذا ان العرب كانوا لا يرون بأساً في الجمع بين عاطفة الانتقام والتظاهر بالعفو، وان صفة الحلم لم تكن تمنع الحقد وكتم الضغينة. وكثيراً ما كان الحليم يعمل على ايقاع من يتظاهر بالعفو عن ذنبه في ورطة لا خلاص له منها. وكلها عواطف بعيدة عن الروح الانجيلية بعدها عن فضيلة المغفرة المسيحية. ولكن العرب لا يأبهون للتدقيق في تحليل هذه الصفة، فهم لا يألون جهداً في اكبار من قدمنا ذكرهم من ممثلي الحلم. حتى ان النصارى منهم لا يختلفون عن جمهورهم في هذا التقدير. يشهد بذلك الاخطل، شاعرهم الاكبر، فانه اذا اراد ان يهجو قوماً فيذلهم، قال:

قُبَيِّلةٌ ما يغدرون بذمّةٍ   ولا يظلمون الناس مثقالَ درهمِ،
ولا يردون الماء الّا عشيّةً   على طول أظماءٍ، ووجه مُلطَّمِ[3]

فأثّر الهجاء كل التأثير حتى اصبح القوم عرضة لهزء العرب، لأنّ من طبيعتهم ان يخلطوا بين اللين والضعف ويجعلوا الشراسة من شروط السؤدد[4].

واذًا فلا يمكننا ان نعتبر التساهل والوداعة من فضائل العرب الاساسية،

١) العقد ١: ٢٢؛ وقابل بما يُروى عن عمرو بن العاص، في أُسد الغابة ٤: ١١٦؛ وابن قتيبة: عيون الاخبار ٢٢٢

٢) المحاسن والمساوئ ٥٥٤

٣) ديوان الاخطل (طبعة صالحاني) ٢٩٨، ١ - ٢. وقد اخذ عن الحطيئة. الا أن ما يهمّنا في الموضوع كونه استغلّ هذا المعنى فنسبه لنفسه. وقد استغلّه قبله الشاعر النجاشي (العقد ٢: ٣٠٢ و٣: ١٤٢؛ الحصري ١: ٢١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٨٨-١٨٩) ويشبه هذا المعنى ما قال الاخطل في البيت ٧١ من رائيّته « خفّ القطين ». راجع الجاحظ: البيان ٣: ١٦٩؛

٤) الحماسة ٢٢٥، البيت ٢

وهم يهجون بعضهم بالعجز عن اتيان الشرّ، بل بخشية الله، كما قال الشاعر يهجو قومه :

لكنَّ قومي، وان كانوا ذوي عددٍ ، ليسوا من الشرّ في شيء ، وان هانا
كأن ربّك لم يخلق لخشيته سواهم ، في جميع الناس ، انسانا [١]

وقد قالوا : « الحليم مطيَّة الجهول » [٢] ، واظهروا ، في جميع مواقفهم ، اعجابهم بالقوة الباطشة واكبارهم لمظاهرها المختلفة . هذا فضلًا عن كون الحلم نفسه ، بذاك التحديد المذكور اعلاه ، قد انتهى عهده بانتهاء الدولة العربيـة الخالصة اي بانتهاء العصر الاموي ، فدفنه العباسيون باستبدادهم مع ما دفنوه من الصفات العربية القديمة [٣] .

وقد جهد ابن عبد ربه نفسه ، في مجموعته العجيبـة ، ليبرهن ان المثال الاعلى للاخلاق البشرية ان يجمع الانسان بين المقدرة على عمـل الخير والمقدرة على عمل الشرّ كذلـك . « فلا يرضى العاقل ان يكون الا اماماً في الخير والشرّ . » أوَ لم يقل الشاعر في مدح احد المحسنين اليه :

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضرّ عدوّ او لنفع صديق [٤]

وهذا موضوع رائج في الشعر العربي القـديم استغلّه المدح والهجـاء على السواء ، كما نرى في شعر الحطيئة [٥] وفي الكثير من شعر الحماسة [٦] .

اذا فهمنا هذه الدقائق رأينا ان الحِلم يفرض لا القوة والبطش فحسب ، بل المقدرة على استعمالها في سبيل الضرر دون الخوف من العواقب ، على نحو

---

١) العقد ١ : ٢٠٢
٢) العقد ١ : ٢٢٨، ٣ ؛ وفي عيون الاخبار لابن قتيبة ٣٢٢ : « الحلم مطيّة الجود » .
٣) راجع رأي الجاحظ : البيان ٢ : ١٥٤ ؛ وسنعود الى هذه الفكرة
٤) العقد ١ : ٢٠٢
٥) القصيدة ٧٧ : ٢٢ وتعليق غولدسيهر في ZDMG, p. 168-169 وقابل بما في ZDMG, 1893, p. 191 – وانظر كذلك عددًا من الاحاديث جمعها ابن قتيبة في عيون الاخبار ٢٦٩–٢٧٠ ليبيّن ان من شروط السؤدد مقدرة السيد على الضرر ؛ وان من اشهر ما انتُقد على آلهة الشرك القديمة انها « لا تنفع ولا تضرّ » .
٦) حماسة ابي تمام ١، ٦٥١ مثلًا .

ما جاء في الكامل في تحديد «الحلم المحض» قال: «يقال: حلُم اذا ترك ان يقول الشيء لصاحبه منتصراً، ولا يخاف عاقبة يكرهها، فهذا الحلم المحض.»[1] ولقد كان من الواجب ان نشير الى هذه الميزات في النفسية العربية قبل ان نباشر درس الحِلم. وسنرى في الشواهد التالية ما يؤيد هذه الوجهة من النظر:

كان حارثة بن بدر في مجلس صديقه زياد، فذكر احدهم حِلم الاحنف واثنى عليه. فابتسم حارثة وقال: «ما يبلغ حِلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوّه ضرّاً؟»[2] وقد يكون الاحنف نفسه يرى هذا الرأي، اذ اجاب من سأله اي اوسع حلماً أهو ام معاوية، فقال: «تالله، ما رأيت اجهل منكم! ان معاوية يقدر فيحلم، وانا احلم ولا اقدر؛ فكيف أقاس عليه او اداني؟»[3] ولقد كان للاحنف اسباب تدفعه الى اجتناب المقايسة. كان بشع الهيئة[4]: «اصعل الرأس، احجن الانف، أغضف الاذن، متراكب الاسنان، أشدق، مائل الذقن، ناتئ الوجنة، باخق العين، خفيف العارضين، احنف الرجلين» وكان الى ذلك بخيلاً يزعم ان الرأي من آرائه يساوي عشرة آلاف درهم[5]. فلم يبقَ له، والحالة هذه، في طلب السؤدد[6] الا ان يستند الى الحلم[7] وهي فضيلة لا ينازعه اياها الكثير من العرب.

وهناك الشعراء وهم لا يختلفون في وصف الحلم عن حارثة والاحنف. قال الحطيئة في مدح احد السادة:

وقِسٌ اذا ما شاء حلماً ونائلاً، وان كان امضى من أحدٍ وقيعِ[8]

---

١) الكامل ٢:١٠٢، ١٠ ٢) الاغاني ٢١:٤٢، ١٤ ٣) العقد ١:٢١٨

٤) الحصري ٢:٢٦٢، ٢٦٨؛ الجاحظ: البيان ١:٢٦-٢٧

٥) الحصري ٢: ٢٦٠-٢٦٢. على ان الجاحظ لا يذكره في كتاب البخلاء. ويذكر الكامل فضله على الارامل. وللاحنف شطر بيت يفيد ان الكرم فضيلة الاغنياء في (الجاحظ: البيان ٢:٢٦)

٦) كان سيد تميمي البصرة لا حميم بني تميم، اطلب ابن دريد: الاشتقاق ١٥٢، ١٤

٧) راجع، في كون الحلم سبيل السؤدد، ابن قتيبة: عيون الاخبار ١:٢٧١، ١٢؛ ٢٢٢، ٥، وفيه المثل: احلم تسُد.

٨) ديوان الحطيئة القصيدة ٥٨:٩

وقال النابغة الجعدي ، ذاك المخضرم المصطبغ على جاهليته بصبغـة صدر الاسلام :

ولا خيرَ في حلم ، اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدَّرا [١]

وقد سمع محمد هذا البيت فهنّأ الشاعر ودعا له بان « لا يفضّ الله فاه »[٢] وهو دعاء يفيدنا رأي نبي الاسلام في الموضوع ، وما ابعده عن « تطويبات» الانجيل ! [٣]

وقال شاعر آخر :

ان من الحلم ذلًّا انت عارفه ؛ والحلم عن قدرة فضلٌ من الكرم [٤]

ولا يخفى ذلك التأثير الذي احدثه في الخليفة عبـد الملك وفي معاصريه[٥] بيت الاخطل في بني امية :

شمس العـداوة حتى يُستقاد لهم واعظم الناس احلامًا ، اذا قدروا [٦]

فقد سار البيت سير المثل حتى اجمع النقّاد على انه امدح بيت وافخره في الشعر العربي[٧] . ولا سرّ في ذلك سوى ان الشاعر توفق الى الجمع بين البطش واللين، بين القدرة والعفو[٨]، وما الى ذلك من الصفات المتعاكسة فجعلها متوازنة

---

١) العقد ١ : ٢١٩، ٧ ؛ وابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٥٩، ٤٠٢ ، وفيه بيت آخر للنابغة الجعدي يقابل فيه بين الحلم والجهل ، وسنعود الى ذكر هذه المقابلة . وقد يكون مفيدًا ان نشير الى الاتفاق في الفكرة بين البيت المذكور اعلاه وهذا البيت لمالك بن حريم (حماسة ابي تمام ٥٢٠ ؛ وابن دريد : الاشتقاق ٢٥٤، ١٥ ؛ ٢٨٥، ٢) :

متى تجمعِ القلب الذكيَّ وصارمًا وانفًا حميًّا ، تجتنبْكَ المظالمُ

٢) العقد ١ : ١٤٠، ٧ و٢١٩ : ٨ ؛ الاغاني ٤ : ١٣١، ٢

٣) وليراجع ، مع هذا ، ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٢١ ، وفيه روايات سببها الاختلاف في نشأة الحديث.

٤) الحماسة ٥١٦ ، البيت ٤ ، واطلب : Goldziher, *op. cit.*, I, 224

٥) راجع كتابنا ... *Le Chantre des Omiades*, p. 72

٦) ديوان الاخطل ١٠٤، ٨

٧) الاغاني ١٠ : ٥، ٧

٨) وقد لاحظ عبد الملك (وفي رواية اخرى تُنسب هذه الملاحظة الى معاوية) ان الشعراء ، اذا ارادوا وصف الامويين ، شبّهوهم بالاسود الزائرة ، اما اذا مدحوا العلويين فانهم يكتفون بذكر صفاتهم الدينية . الاغاني ١٣ : ٥٨، ٦٢ ؛ ٢١ : ١٠، ٨ ؛ وابن قتيبة : الشعر

في نفس سامية[1] . ولولا هذا لاضحى الحلم ضحكة في نظر العرب.

واذاً فليس في الحلم من عنصر مطلق مجرّد. بل ليس ، في نظر العربي ، من وجود لتلك الفضيلة السامية فوق تغيّر الظروف ، وان من لا يتكيّف ليس بالرجل العاقل. أوَ لم يقل الشاعر دالاً على تغيّر اخلاق قومه نسبةً الى الحوادث العارضة :

احلامنا ترن الجبال رجاحةً ، ويزيد جاهلنا على الجهّال[2]

فالحلم فضيلة وقتية[3] ، اذا صحّ لنا التعبير ، بل فضيلة ظرفية[4] . يُستند في الحكم عليها الى حالة الحليم ومركزه من الهيئة الاجتماعية فان كان قوياً بطّاشاً ، ان كان اميراً او على الاقل «سيّداً مطاعاً»[5] ، فهي فضيلة . وان كان ضعيفاً او لا يمكنه ان يضر ، فهي نقيصة لا شك فيها.

ومن عناصر الحلم الجوهرية أن يعنو لارادة القبيلة سواء أكانت هذه الارادة توافق مصلحة صاحب الحلم ام لا. فلا يمكن الحليم ، والحالة هذه ، ان يلجأ الى

والشعراء ١٠٢٠١، ١١ ؛ وقابل بما ورد في الحصري ٣ : ٢٢٧ ، ومدح يزيد الاول في Wright, *Opuscula arabica*, p. 119,8 . وانظر ، في القاب «سجّاد ، ناسك ، عابد ، فقيه ، قارئ» ، التي يُنعت بها الهاشميون ، ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٢ السطر الاخير ؛ ١٥، ٤ ؛ ٢٨، ٢٦ ؛ ٣٩ . . . ؛ ٢٢٠، ١٦؛ ٢٠، ٢٦؛ ٢٢٢ : ١٠؛ ٢٢٧ : ١٨ ؛ المسعودي ٥ : ١٦٢ . على ان الطبري (٢ : ٤٢٩، ٨) ينعت «بالناسك» عبدالله بن يزيد الاول.

١) قابل بقول احدهم في مدح المهلّب : «يعفو عند قدرته» الاغاني ١١ : ١٦٢ ؛ وبما جاء في عيون الاخبار ٢٢٣، ٤ : «ما أُضيف شيء الى شيء أزين . . . من عفو الى مقدرة.»

٢) الحماسة ٧٢٥ ، البيت ٥

٣) قابل بما جاء في الحماسة ٢١٠، ٥ : «وقد يستجهل الرجل الحليم». والفعل فيه بصيغة المجهول، وما اراه الا معلوماً . ومن المفيد ان يُرجع الى تلك المقابلة التي ذكرها النابغة الجعدي بين الحلم والجهل (ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٥٩، ٢–٤) ولا ضرر في الصفتين الا بتجاوز الحدّ.

٤) قابل بما في الاغاني ١٣ : ٥٦، ١٠.

٥) راجع في هذه التعابير : «سيد مناع ، غير منازع ، غير مدافع ، لا يعصونه ، مطاع لا يعاصى» الاغاني ١١ : ٥٥، ١٦ ؛ الواقدي ٥٨، ٨ : اسد الغابة ٤ : ٢١٥، ٢٢٧ ؛ الطبقات ١ : ٤٨، ٤ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ٢٧٩، ٣ ؛ ١٢٤، ١٩ ؛ ١٢٨، ١٥ ؛ الازرقي ٤٧، ١٢ ؛ ٤٩ ، السطر الاخير ؛ ٥٨ – وقد ورد في نعت على هذه الصفة النثرية : «امير مطاع ومأمور مطيع» الجاحظ : البيان ٢ : ٢٦، ٦

حلمه اذا لم يوافق رجال عشيرته[1]. وقد قال يزيد بن الحكم في رثاء ابنه عنبس:

جهولٌ ، اذا جهلُ العشيرة يُبتغى؛[2] حليمٌ ، ويرضى حلمَه حلماؤها[3]

ومن فضل الحليم ان يستخدم حلمه عن بصيرة وتروٍّ فيترفّع عن دواعي النزق من جهة ، ويترفّع من جهة اخرى عن دواعي الشفقة والانسانية . فيسيّر حلمه كيف شاء ، كما قال الشاعر :

عليهم وقار الحِلم حتى كأنما وليدهم ، من اجل هيبته ، كهلُ
اذا استُجهلوا ، لم يعزب الحلم عنهم؛ وان آثروا ان يجهلوا عظم الجهلُ[4]

او كما قال عمرو بن كلثوم :

الا لا يجهلنْ احدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[5]

وهاكم بيتاً في المعنى نفسه :

وللحلمُ خيرٌ ، فاعلمنَّ ، مغبّةً من الجهل ؛ الّا أن تُشمَّسَ من ظلم[6]

وهذا ، وهو اوضح :

لئن كنت محتاجاً الى الحِلم ، انني الى الجهل ، في بعض الاحايين ، أحوجُ . . .
ولي فرسٌ للحِلم بالحلم مُلجمٌ ؛ ولي فرسٌ للجهل بالجهل مُسرجُ[7]

---

١) راجع معلقة عمرو بن كلثوم : البيت ٥٢

٢) ولا شك ان عاطفة حاتم طي اقرب الى الانصاف في قوله (الديوان (Schulthess) القصيدة ٣٧ : ١٤) :

سأندره ان كان للحقّ تابعاً ؛ وان جار ، لم يكثر عليه التعطّفُ .

٣) الاغاني ١١ : ٣ ١٠٤ . وهو يشبه قول ليلى الاخيلية في توبة (الاغاني ١٠ : ٧٩؛ الحصري ٣ : ٤٧؛ الحماسة ١٠ ٣) :

وكن أكيسَ الكيسى ، اذا كنت فيهم ؛ وان كنت في الحمقى فكن انت احمقا

وقد هجي بنو تغلب بما يعاكس هذه الفكرة فقيل :

تتنامم حلماء عن اعدائهم وعلى الصديق تراهم جهّالا

٤) الحماسة ٧٧٠ ؛ ٢–٤ ؛ والطبري Goldziher, *op. cit.*, I, 224

٥) واضح انه لم يقصد بالجهل عدم المعرفة ؛ او عكس العلم ؛ وليس في هذا شيء من الفخر . ولا اخال الشارح العربي (في طبعة Arnold) فهم حقّ الفهم لفظة « الجهل » ، فجرّ وراءه في الخطأ فريتاك وبعض المستشرقين ، فعلَ غيره من الشرّاح .

٦) الحماسة ٤٩٠ – وقد قال الشارح : « . . . الا انْ تنفر من ظلم يركبك فان الجهل في ذلك الوقت ارجح من الحلم . »

٧) العقد ١ : ٢٠٢ : وعيون الاخبار ٣٢٨ ، ١٨ ؛ و Goldziher, *op. cit.*, I, 223-224

وليس احقّ من هذه الاستعارة الغريبة في الدلالة على اخلاق العربي . فان له فرسين في اصطبل صفاته : احدهما يختال عليه مظهرًا الحلم ، والثاني — وقد يكون اميل الى استخدامه — يركبه اذا اراد الاسراع في ادراك غايته . اما اذا اراد ان يجمع النقيضين فيستحق المدح بالحلم دون ان يناله المزء بالضعف فيجب عليه ان يعمل بقول الشاعر :

وتجهل ايدينا ، ويحلم رأينا ؛ ونشتم بالافعال لا بالتكلّم [١]

هكذا ظهر قيس بن عاصم ، سيد بني تميم ، بل « سيد اهل الوبر » على قول محمد [٢] . وهو من مشاهير الحلماء اخذ عنه خاصة الاحنف بن قيس التميمي . ولم يكن في الحقيقة على شيء من الوداعة واللطف ، وقد ضرب ابن عمه ، في بعض مناقشاته ، بقوسه فهتم اسنانه [٣] . وعُرف في التاريخ العربي بوأد بناته [٤] ، اي بدفنهنّ حيّات على اثر الولادة ، لا تأخذه في ذلك شفقة ولا شفاعة . ويُذكر ان امرأته تمكنت من اخفاء احداهنّ بضع سنوات ، فلما رآها ابوها تسير في خيمته عزم على دفنها ، فصاحت الامّ واعولت الفتاة . ولكن كل هذا لم يثنه عن عزمه [٥] .

١) الحماسة ٣١١:٢

٢) اطلب ترجمته في الاغاني ١٢ : ١٤٩ ؛ العقد ١ : ١٢٤ ؛ الحصري ١ : ٨

٣) ابن دريد : الاشتقاق ١٥٤ ؛ الاغاني ١٢ : ١٥٤:١ ؛ الحصري ١ : ٨

٤) وعددهن ١٢ ؛ وقد رزق ايضاً ٣٢ ولدًا ذكرًا (اسد الغابة ٤ : ٢٢٠) وفي الاغاني ذكر لغير ما تقدم من فظائع قيس . على ان شخصيته ظلّت محبّبة في نظر التقليد الاسلامي لانه وفد على النبي ، ولانه حرّم على نفسه الخمرة في الجاهلية ، كما يزعمون . ومهما يكن من زعمهم فقد ظلّ يشرب الخمرة ويسكر حتى بعد وفوده الى المدينة (الاغاني ١٢ : ١٥١) اما اسطورة ابنائه الاثنين والثلاثين فقد يكون اصلها في البيت المذكور في الاغاني ١٢ : ١٥٤:١٣ . وقد ذكر الاغاني (١٢ : ١٥٥،٧) احدى بناته ، واذًا فانه لم يدفنهنّ جميعًا . . .

٥) الاغاني ١٢ : ١٥٠ – وقد اراد النبي ان يفتخر بلاشاة تلك العادة البربرية . فردّت عليه هند ، ام معاوية ، ردًا جديرًا بالانتباه (الفخري ١٤٤ ؛ وابن سعد : الطبقات ٨ : ١–٤ ، ١٧٣) وليُنتبه خاصةً لما بدا على القرشيّة من الاستغراب اذ سمعت بتلك العادة . وهي عادة لم تتجاوز حلقةً من سادة تميم كما يصرّح الكامل (ص ٢٧٧) . وقد يكون اول من اتخذها قيس بن عاصم نفسه ، في زعم التقليد العربي (راجع ...Wilken, *Matriarchat*, p. 53) على ان هناك من ينسبها الى المهلهل (الاغاني ٩ : ١٨٢:١) ومنهم من يدخلها في اسطورة اخرى

وبينما كان قيس عند النبي رآه يشمّ احدى بناته[1] فاستغرب الامر. فردّ عليه محمد بان الله نزع من قلبه ، دون شك ، عاطفة الحنوّ. فلماذا اكتفى النبي بهذا

النيس (ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٠:٤٧٠) واذًا فلا يكون ابن عاصم اول من سنّها للعرب. الا ان كرهه للبنات مشهور ، كما قدّمنا ، وكذلك كره الاحنف بن قيس وهو من سادة تميم (البيهقي ٢٠٦٠٢ ١٦). اما في غير تميم فقد ذكروا ، في مكة ، رجلا واحدًا كان « يحيي الموؤودات » اي يخلّص البنات ، وهو سعيد بن يزيد (النوَوي ٢٦٥ ، وليُقرأ في السطر الخامس: ترعرعت ، وابن سعد: الطبقات ٣: ١٤٬٣٧٧) ولكن مجال عمله كان ضيقًا ؛ لان عادة وأد البنات ، ان وُجدت في مكة ، فقد كانت قليلة الانتشار ، كما يُستنتج من كثرة فتيات قريش ، حتى ان احد القُرشيين يسمي بناته بالارقام الهندية: الاولى، الثانية. . . (ابن سعد: الطبقات٧: ٢٣٠) كما كان يفعل بعض الرومانيين. على ان ارباب الحديث (اطلب الكامل ٨٬٣٧٧) اهتموا بان يوجدوا شرحًا لائقًا للآيات القرآنية ٦: ١٥٢ ؛ ١٦: ٦٠ ؛ ١٧: ٣٣ ؛ ٦٠: ١٢؛ ٨١: ٨. . . ويؤلفوا ترجمة حياة معتبرة لذاك الحنيف المجهول السابق النبي، فاخذوا على انفسهم ان يدلّوا على موضع قرب مكة كانت قريش تعرض فيها بناتها، على زعمهم (الاغاني ٩: ١٢٢) ولا يخفى ان الفرزدق يفتخر ويتبجّح بكون جده صعصعة كان اول من قام باحياء الموؤودات. وقد خلّص هكذا ثلاثين فتاة (ابن حجر ٢: ٤٩٤) وهو عدد قليل لو كانت تلك العادة شاملة كما يزعمون (ابن دريد: الاشتقاق ٣٬١٤٧ ؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٨٩ ,J. Hell (Farazdak's Lobgedicht, 4) فكان ان فخر الفرزدق اضلّ المحدثين في هذا الموضوع . والا فكيف تمكن التميميون ان يفاخروا بعددهم الذي يوازي عدد النجوم؟ (الاغاني ٨: ٦٬١٨٩ ؛ ابن قتيبة: عيون الاخبار ١٤٬٢٤٣) هذا ، ولا يمكننا ان نستند ، كما فعل ولهوسن ، الى بيت ورد في حماسة ابي تمام (ص ١١٧ : البيت الاخير) ، وهو مستقى دون شك من الآيات القرآنية ، او مشير اليها اشارة صريحة . فالطبيعة البشرية واحدة في جوهرها في كل زمان ومكان. اطلب في الحماسة (ص ١٤٢–١٤٣) ابياتًا لوالدٍ يعطف على بناته الصغيرات ، كما ان هناك شواهد عديدة تفيد الضدّ (ابن قتيبة : عيون الاخبار ٣٬١٧٥–٤ ؛ الجاحظ : البيان ٢: ١٧٢ ؛ العقد ٢: ١٢٬١١٩) . ومهما يكن من امر فلا نرانا بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا ان وأد البنات لم يتجاوز بعض العشائر ، وقد كان تطبيقًا مسبقًا للعادات الملتوزيانية ، في سبيل تحديد النسل. وهو، لو كان شاملًا ، كما يتصوّره البعض، لكان عقبة كؤودًا في سبيل النسل العربي. وفضلًا عن ذلك فهو لا يتفق وتعدّد الزوجات ، تلك العادة الجارية عند العرب حتى قبل محمد.

١) شمّ الاولاد من دلائل الحنوّ عند العرب. كان النبي يشمّ ابنه ابراهيم (النووي ١٢٢) وابناء ابن عمه جعفر الطيار (ابن سعد: الطبقات ٨: ١٨٬٢٠٦) وليُقابل بما ذكر ابن حجر ٢: ٣٬٢٤ وفيه ان محمدًا يغمز ارنبة انف ولد صغير . وهناك غير ذلك من الامثلة (الطبري ٢: ٩٬١٠٥ ؛ ٣: ٥٬١٧٠ ؛ ٩١٨ ؛ الطبقات ٣: ١٦٬٤٠ (عن الخليفة عثمان) الكامل ١٨٬٣١٦)

الردّ البسيط ولم يفرض على قيس ان يعده بالمحافظة على بناته ؟ قد يكون ذلك لان سيد تميم وفد على النبي في سبيل معاقدة سياسية لا دينيّة[١]، فوجب ان يُراعى جانبه.

ومن الواضح ان رجلاً كهذا[٢] كان ابعد من ان يظهر، امام قومه، مظهر الوداعة واللطف. ولكن الاحنف يؤكد انه تعلّم الحلم من قيس[٣]. قلنا: لعل قيساً استحقّ هذه الشهرة على اثر حادثة خارقة طالما تسامر بها الناس تحت المضارب، فجمعها هواة الاحاديث، ودوّنها ارباب النوادر. وملخّصها انه « كان قاعداً بفناء داره، محتبياً بحمائل سيفه، يحدّث قومه حتى أُتي برجل مكتوف، ورجل مقتول. فقيل له: « هذا ابن اخيك قتل ابنك. » فوالله ما حلّ حبوته ولا قطع كلامه. ثم التفت الى ابن اخيه فقال له: « يا ابن اخي، اثمت بربّك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك. ثم قال لابن له آخر: « قم، يا بني، فوارِ اخاك، وحلّ كتاف ابنَ عمك، وسق الى امه (اي الى ام اخيك) مائة ناقة دية ابنها، فانها غريبة »[٤] فكان هذا المشهد المسرحي كل ما قام به في سبيل ادراك ثاره.

بيد ان هناك حادثة من النوع نفسه، الا انها تفوق هذه ببساطة وصدق عاطفة، ورباطة جاش، كما انها تبعد عن حبّ الظهور. وهي ان احد الاعراب — وكان يجدر بالتاريخ ان يحفظ اسمه ! — قُدّم اليه قاتل ابنه ليقتاد منه، وكان اخاه؛ فالقى السيف من يده، وقال:

اقول للنفس تأساءً وتعزيةً : احدى يديَّ اصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه هذا اخي، حين ادعوه، وذا ولدي[٥]

---

١) كانت غاية الوفود، على الغالب، ان تُقرّ بحكومة المدينة ليس غير؛ وكانت، بعض الاحيان، تدين بالاسلام.

٢) يسكر ويكاد يعتدي على عفاف اخته؛ يظهر امام النبي في مظهر مريب (الاغاني ١٢: ١٥٥ ؛ ١٧: ١٥٦)

٣) عيون الاخبار ٢٢٦ ؛ العقد ١: ٢١٧

٤) العقد ١: ٢١٧ ؛ الاغاني ١٢: ١٥١ ؛ اسد الغابة ٤: ٢٢٠

٥) الحماسة ١٠٠

يظهر من كل ما تقدّم ان الحلم صفة الدهاة الاقوياء . وهي تفرض الغنى كما يقول حسان :

ربّ حلمٍ اضاعه عدم الما ل، وجهل غطّى عليه النعيمُ[١]

كما انها تفرض المقدرة على الضرر ، دون ان يُخاف الحلم عواقب اعماله[٢] . وهكذا فان الحلم لا يضاف الا الى السادة والاشراف ، فيقال « احلام سادة »[٣] ، كقيس بن عاصم المتقدّم الذكر ، وابي سفيان شيخ مكة ، وطلحة[٤] « حواري » النبي الغني الكريم ، وسعيد بن العاص[٥] الاموي المعروف بكرمه وعطفه ، وسنان بن ابي حارثة المرّي ، احد سادة غطفان[٦] ، وعتّاب ابن ورقاء الرياحي[٧] ، وعمرو بن العاص وقد اكثر التاريخ الرسمي من

---

١) الجاحظ : البيان ٢ : ٢٧

٢) انظر الفصل الذي يخصه ابن عبد ربه بذكر الحلم (العقد ١ : ٢١٧–٢١٩) وهذه الصفة تبيّن لماذا لم يذكر عليّ بن ابي طالب في ذوي الاحلام ، على تقواه ولينه وحنوّه ؛ ذلك انه لم يكن على شيء من الذكاء السياسي او الدهاء ، ولا من الحزم وقوّة الارادة حتى كان يعجز عن ان يفرض طاعته على اهل العراق من حزبه (راجع خاصةً ابن سعد : الطبقات ٥ : ٦٧، ٢٤ . . .) ولقد كان من واجب السيد الحميري ، ذاك الشيعي المتحمّس ، ان يفتخر بهذه الصفة في شخصية علي . . . (راجع المسعودي ٥ : ٤٢ ، وقابل بما ذكر الجاحظ : البيان ٢ : ١٢٧، ١٣ وقد ورد فيه : « مجدود » بدل « محدود » وهي صفة طالما وصف بها عليّ . وقد يكون التصحيف مقصودًا في العقد واشاله) وهناك نصوص تمدح حلم الهاشميين اجمالًا فتقول ان الحسن بن علي تنازل عن الخلافة حِلماً ! (النوَوي ٢٠٥) اما مدّاح العباسيين فيكتفون بالاشارات البعيدة الى حلم ممدوحيهم ، وكأني بهم يخافون ان يذكروهم ببيت الاخطل الخالد في حلم الامويين ! . . .

٣) الاغاني ١١ : ١٢٢، ١٣

٤) ابن سعد : الطبقات ٣ : ١٥٧، ١٩

٥) ابن حجر ٢ : ١٩٥، ٨ ؛ الجاحظ : البيان ١ : ١٢١

٦) راجع الاغاني ٩ : ١٥١، ١٥٢ ؛ ١٠ : ١٤٨–١٤٩ ، وغير ذلك من المنوعات المتفرقة في هذه المجموعة ، وليس فيها ما يشير الى حلمه الذي يذكره صاحب العقد ١ : ٢١٩ . وقد راجعت غير الاغاني من المجاميع كالطبري والمسعودي فلم أرَ ما يبرّر حلم سنان المذكور ، الا ان يكون كرمه الذي مدحه به زهير (ابن دريد : الاشتقاق ١٧٥)

٧) وهو من مشهوري القوّاد ، ابلى البلاء الحسن على عهد عبد الملك (الطبري ٢ : ٨٠٥–٨٠٦ ، ٨٢٨ ، ٨٧٧–٨٧٨ ، ٩٤٠–٩٤٤ ، ٩٤٦–٩٥٢ . . . ابن دريد : الاشتقاق ١٢٦) . وقد

الاجحاف بحقه بسبب ما اداه من الخدم لمعاوية . على ان حلمه ، وكبر نفسه ، وحزمه اشهر من تُذكر[1] . ثم الاحنف بن قيس ، ومالك بن مسمع[2] وقد قيل عن كل منهما : اذا غضب ، استلّ مائة الف سيوفهم من اغمادها ، دون ان يُسأل عن سبب غضبه .[3] وهي من المبالغات العربية التي اقرّ بها الاحنف نفسه[4] . ولنضف الى هؤلاء الحلماء اسماء بن خارجة الفزاري[5] وقد « ذكر بالحلم والصبر والعقل »[6] ؛ وزياد ابن ابيه ذاك الوالي الحازم[7] ؛ واخيرًا سلمه — او سلم — بن نوفل سيد بني دُوَل يُذكر عنه ان رجلًا وثب على ابنه

مدح الفرزدق حلمه (العقد ١ : ١٩٢ ؛ ٢ : ٦١) ولا يظهر هذا الحلم في منازعاته مع المهلّب . اما في حلم هذا فراجع الجاحظ : المحاسن ٢٧'١٦٢ ؛ البيهقي ٤٠٨ ؛ الكامل ١١٩'٢٢ ؛ الاغاني ١١ : ١'١٦٤

١) اطاب في حلمه العقد ١ : ٢٢ ، ١٧ '٩ ؛ كتاب الفاضل ٢٧٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ٦'٧٨ ؛ ابن حجر ٣ : ٢ . وقد كان متساهلًا مع النصارى ؛ وظهر في مصر رفيقًا ، او على الاقل ، ارفق ممن تبعه من الولاة الذين ضاعفوا الضرائب (البلاذري ٢١٦'٢١٨) واظهر دماء ومرونة في حادث عبيد الله بن عمر قاتل الهرمزان (ابن سعد : الطبقات ٥ : ٨–٩) . وراجع في بغض الشيعيين لعمرو Goldziher, *WZKM*, XV, p. 333. n. 1 ويمكن ان يُردّ على هذا البغض بمدح ابن العبري : مختصر الدول ١٧٦ . ومن ادلّة رزانته وحكمته ان طلحة والزبير اختاراه حكمًا في احد اختلافاتهما (ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢'٩٢ ؛ واطلب ايضًا ٢٢٢) . اما العباسيون فقد ضبطوا املاك ذرّيته (الاغاني ١٠ : ١٦٩)

٢) العقد ١ : ١ ٥' ٢٢ : ابن قتيبة ٢٧٢'١ واطلب ايضًا الطبري ١ : ٢١٧٩ ؛ ٢ : ٢٤٠ ، ٤٤٧ ، ٥٨٤ ، ٦٨٢–٦٨٤ ، ٧٢٠ . . . وكانت بكر ، عشيرة مسمع ، تحبّه حبًا جمًا حتى عُيّرت بذلك فقيل :

وبكرٌ ترى ان النبوّة أُنزلت على مسمع في الرحم ، وهو جنينُ

ابن الفقيه ١٢٢'١٢ . واطاب ، في شرف عشيرته ، ابن دريد : الاشتقاق ٢١٢–٢١٤

٣) اطاب Dozy, *Musulmans d'Espagne*, I, 139

٤) وقد ينسى الاحنف حلمه احيانًا (الطبري ٢ : ٤٦٢'٣) حتى في حضرة معاوية (الكامل ٤'٤٠) فيرفع يده على منافسه (ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٢٥'٦) . وان في ترجمة حارثة بن بدر (الاغاني ٢١ : ٢٠) ما يدلّ على ضعف نفوذ الاحنف حتى في قبيلته

٥) الاغاني ١٣ : ٧'٢٨ ٦) كتاب الفاضل ٢٤٤

٧) الاغاني ١١ : ١٣٢ . وفي رأي معاوية ان زيادًا ورث الحلم عن ابي سفيان (الجاحظ : البيان ٢ : ٢٩) والحلم مقرون بالحزم في رأيه ، واذًا فلا يمكن ان يجرّد منه ذاك الداهية .

وابن اخيه فجرحهما. فأُتي به. فقال: «ما أمنك من انتقامي؟» قال: «فلم سوّدناك الا ان تكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه؟» فاحتمل جهله، وخلّى سبيله[1].

هذا ولا يخفى ما في الحلم، كما في غيره من الفضائل العربية، من الرغبة في احداث الجلبة وحبّ الظهور فهو صفة للهيئة الخارجية اكثر منه فضيلة نفسية، بل هو مظهر من مظاهر التجلّد الرواقي تشوبه صبغة قرَيشية. في تلك البيئة الميّالة الى المشاهد المسرحية، في ذاك الشعب المتحدّر دون شك عن سلالة عريقة في المدنية قبل ان تعود الى حالتها الفطرية، يكفي الانسان بان يقوم بالفعلة البارزة المؤثرة او بالقاء الجواب المسكت الرنّان كي يتصف بصفة الحلم، فيذكر اسمه الى جانب الحلماء المشهورين. وليس من الضرورة، في اكتساب تلك الصفة، ان يكبح الانسان شهواته او ان يقاوم كبرياءه او ان يطرد عن فكره الرغبة في الانتقام. بل ان من الممكن ان يتفق الحلم وما تثيره الحياة اليومية من الميول الشرسة والاحقاد المتأصلة. وها ان مثال قيس عاصم من اوضح الادلة على ذلك، كما ان من اوضحها ايضاً حوادث القتل السياسي التي كان يعزّزها النبي، والتي تتفق والحلم في اعتبار المسلمين[2].

يجتهد الحليم في ان يبرهن لنفسه، ولقومه خاصة، بانه فوق الاهانة فيتجنّب الردّ على الشاتم احتقاراً له[3] او خوفاً من شتم اشد وقعاً[4]، كما كان يفعل بعض الشعراء. اذ يظهرون الترفع على منافسيهم فلا يردّون على

١) كتاب الفاضل ٢٧٥؛ العقد ١: ٢٢٠ — وراجع، عن سلم بن نوفل، ابن دريد: الاشتقاق ١٠٨؛ الكامل ٧٤–٧٥؛ واطلب، في مركز «السيد» العربي، كثيراً من الامثال كقولهم: سيد القوم اشقاهم (الحماسة ٣٢٤) وسيد القوم خادمهم (الحصري ١: ٣١) ولم أكُ سيدكم حتى تعبّدت لكم (ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٨٩، ٧، والجاحظ: البيان ١: ١٥١، ٦؛ وكل الفصل في السؤدد (عيون الاخبار ٢٦٩... وخاصة ٢٧١–٢٧٣) ويذكر الاغاني (٨: ٢ و١٢: ٧٩) وابن حجر (٢: ٢٤٣) شيئاً عن حلم سلم مع ابن الزبير.

٢) ابن حجر ٢: ٥٢، وفيه المقابلة بين الحلم والجهل، كما سنرى.

٣) وقد يشعر الشاتم بهذه الملاطفة احياناً (ابن قتيبة: عيون الاخبار ٢٣٢، ١٢)

٤) العقد ١: ٢١٨، ٢٧ و٢٨

هجائهم[١] . وقد كان من عادة الاحنف ان يقول مفسر حلمه : « رب غيظ تجرعته مخافة ما هو اشد منه »[٢]

***

بقي ان نتقدم خطوة اخرى في تحليل « الحلم » ، وذلك بدرس الصفة او النقيصة التي تناقضه ، فكلما حللناها حللنا طبيعة الحلم .

نقيض « الحليم » « الجاهل » او « السفيه » . وهو امر لا اختلاف فيه ، بل ان التناقض بين الصفتين بلغ حتى ان البشرية باجمعها تقسم ، على قول احد الشعراء[٣] ، الى حلماء وجهال . ومن المنتظر ان تكون الاكثرية المطلقة في القسم الثاني ، فلا يرى في الف رجل الا حليم واحد[٤] جدير بهذا الاسم .

وقد ادركنا اجمالاً معنى الحليم ، فلزمنا ان نسأل ماذا كانت تمثل للعرب قبل الاسلام كلمة « الجاهل » ؟ هل هو « الجهل » بمعنى الامية او الخلو من المعارف ؟ هذا ما يبدو للمتسرع في الفهم لان « الجهل » يناقض « العلم » كما يناقض « الحلم » . ولا شك في كون الجهل بمعنى عدم العلم يقترن غالباً ، لسوء الحظ ، بضيق النظر ، والحمق ، والتسرع . وكلها من منافيات الحلم[٥] .

ولهذا رأينا ان اشهر حلماء العرب يعرفون بالذكاء بين معاصريهم . ذكرنا

---

١) كجرير مثلاً (العقد ٣ : ١٤٦) وغيره في الاغاني ١١ : ٤١ ؛ Wright, *Opuscula arab.*, p. 68,8 والعقد ٢ : ١٥٨ ؛ الحماسة ٥٠٩ ، ٦-٧ ؛ وابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٧٢،٨

٢) العقد ١ : ٢١٨ ؛ عيون الاخبار ٢٢٤

٣) الكامل ٤٣٥،٩

٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٢٧،٦

٥) قابل بما ورد في العقد ٢ : ١٧٤،٢ ؛ ١٧٥،١٥ ؛ ١ : ١٦١،٩ : « لا يجهلون بعد علم . » و« يجهلون » تتضمن المعنيين فتناقض العلم والحلم معاً ؛ والمسعودي ٥ : ١٥٢،٣ (وهو مثل غريب في ذاته وفي نسبته الى يزيد الاول ، ذاك الامير المثقف المحب للعلم ، ولا شك في تصحيف النص ، على ما نرى ، والاغاني ٢١ : ٢٠٧،٨ . . . اما في المسعودي ٥ : ١٠٧-١٠٨ فاني اقترح ان يقرأ النص : « سبق جهلهم حلمهم » لا « علمهم » وهو امر كثيراً ما يقع في ناموس الابدال اللغوي فتبدل الحاء من العين والعين من الحاء في اللفظ كما في قول العامة : محهم = معهم ، وفي النصوص القديمة كثير من التقارب بين العلم والحلم حتى ان من الشراح من يفسر حلم بعقل . راجع Broennle, *Die Commentatoren des Ibn Ishâq und ihre Scholien*, p. 53

منهم ابا سفيان ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وزياداً . وها اننا نضيف اليهم المغيرة[١] ، فنتم سلسلة « دهاة » العرب في صدر الاسلام. وقد اتينا على الاسباب التي تمنعنا من ان نضيف اليهم علي بن ابي طالب ، وهو « محدود » بعيد عن الدهاء السياسي.

وان من المفيد ان نلقي الآن نظرة على التخريج اللغوي للفظة « عقل » . للغويي العرب تحليلات عميقة دقيقة حتى انها تتجاوز الحدّ احياناً ، منها انهم قالوا : «سُمّي العقل عقلاً لانه يعقل (اي يربط) الجهل . »[٢] فلو قبلنا بهذا المعنى الاصلي أوَ يكفينا في تحليل كل ما تحتوي عليه لفظة « الجهل » اذا ما قوبل بها الحلم خاصة ؟

اننا لا نرى ذلك ، لانه يقودنا الى ان ننسب للبدو قبل الاسلام اهتماماً بالامور العقلية والثقافية لا يمكن ان نسنده الى شيء. كان العرب قبل الاسلام يخصّون باعتبارهم صفةً واحدة ، بل فضيلة انسانية شاملة ، هي « المروة » . اما « العلم » فقد وجب عليهم ان ينتظروا ظهور الاسلام وانتشاره كي يعرفوا وجوده . واذاً فليس « الجهل » نقيض « العلم » بالمعنى الحصري.

هذا من جهة . ومن جهة اخرى فاننا نراهم كثيراً ما يفتخرون «بجهلهم». وقد تقدّمت لنا الشواهد على ذلك . أوَ يكونون ، حتى في « جاهليتهم » ، على تلك الدرجة من الانحطاط كي يفتخروا « بعدم العلم » . ليس في « الجاهلية » شيء من مبرّرات الاحتقار ، ولا من دوافع الازدراء . انما هي ذاك الزمن « السعيد » الذي كان يعيش فيه الناس مستريحين ، دون ان « يعرفوا محمد » كما يقول الاخطل[٣] ، دون ان يخافوا من « السلطان » و «الحدود» التي سنها القرآن . هذا هو معنى الجاهلية الاصلي ليس غير . اما كل ما علق باللفظة بعد ذلك من معاني الاحتقار والازدراء فانما كان بتأثير العباسيين.

---

١) اطلب ، في حلم المغيرة ، الطبري ٢ : ١١٢–١١٤ ؛ النووي ٥٧٢

٢) قابل بما في ابن دريد : الاشتقاق ٢٩، ١٤٦، ٥ : العقل يمنع عن الجهل ؛ ثم : ان لكم احلاماً وعقولاً . (الازرقي ٢٦٢)

٣) الديوان ٢٢١، ٤

من السهل ان نعدد الامثلة والنصوص القديمة التي يظهر فيها فعل « علم » مناقضاً لفعل « جهل »[1] ، وفي كلها يتقدم « علم » . وهناك نصوص تبدأ فيها الجملة « بجهل » وتنتهي « بعلم »[2] . وغيرها نرى فيها مقابلة بين « علم » و«حلم» على طريقة في الانشاء اثيرة لدى العرب[3] . ومهما يكن من امر فيمكننا القول انه كلما رأينا في المقطع الاول من الجملة لفظة « حلم » ، كان لا بدّ ان تأتينا المقابلة والتضاد بلفظة « جهل » . واذا اتى في المقطع الاول « جهل » او « سفه » ، وهما مترادفان ، اتى على الغالب في المقطع الثاني «حلم»[4] . نستنتج مما تقدم صلة بين هذه المعاني ، او ، على الاقل ، ان « الجاهل »لا يناقض «العالم» دائماً ، وان الجهل بمعنى نقيض العلم ، وان كان مضموناً في اصل اللفظة : فهو لا يمنع كون اللفظة تدلّ ايضاً على التسرّع والاندفاع والحمق والشراسة وما الى ذلك مما كان يراه العرب بعض الاحيان من صفات الرجولة . حتى يظهر من الصعب احياناً ان يميز المفسر او الشارح في لفظة « الجهل » ومشتقاتها بين هذين المعنيين المتجاورين[5] . وقد استفاد الاسلام من هذا

---

١) اضف الى ما تقدم ذكره من الامثلة الاغاني ١١ : ١٧٬١١١ ؛ القرآن ١١ : ٤٨ ؛ المتلمّس : الديوان ٢ : ٢

٢) الاغاني ١١ : ٢٠٬١١٠ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ١٦٬٩٢ ؛ اليعقوبي ٢ : ٦٬٢٥٠ — وقد يُخلط بين « علم » و«حلم» في الكتابة كما يُخلط بينهما في اللفظ . ومما يجدر بنا ذكره ان المثل العربي المشهور « ان العصا قُرعت لذي الحلم » (الحماسة ٩٧) يقابل قولنا : *Intelligenti pauca* ولم يفهمه نحويو العرب حق الفهم في عهد تفسير النصوص القديمة ، اطلب Becker. *Die* K. Vollers, *Gedichte des Mutalammis*, I, v. 8 و *Kanzel...*, p. 339 وفيه يترجم «ذو الحلم» ترجمة لا غبار عليها بلفظة *der Verständige* والشطر الثاني من البيت : « وما عُلّم الانسان الا ليعلما » يؤيد هذا المعنى . ثم ان الآية الانجيلية المشهورة (متى ١٠ : ١٦) عبّر عنها العرب الاقدمون بقولهم : « كونوا حُلماء كالحيات . . . » (ابن قتيبة : عيون الاخبار ١ ، ٢٢٤)

٣) النووي ٢٩٢ ؛ الجاحظ : البخلاء ٢١١ ؛ ٢٧ : ٦ ؛ البيان ١ : ١٦٧٦ : ٤٬٨٨ : ٢ : ١٠٢ ؛ ٨ : ابن قتيبة : عيون الاخبار ٧٤ ؛ العقد ١ : ٩٬١٦١

٤) الحطيئة ٣٦ : ٢ ؛ البلاذري ١٤٬٣٤٢ ؛ وبيت ابن ابي الحُقيق في الاغاني ٢١ : ١٠٩٢ : الحماسة ٢١٢ ، ٥٢٩ ، ٦٩٢

٥) كما هو الحال في الآيات القرآنية ٤ : ٢١ ؛ ٦ : ٥٤ ؛ ١٥ : ١٢٠ وغيرها . وفيها لفظة

الازدواج بالمعنى فوصم عصر الجاهلية بالجهل نقيض العلم ، والصق بابي جهل — وهي في الاصل كنية لا احتقار فيها — هـذا المعنى الازدراني الظاهر في بيت حسّان :

سمّاه معشره ابا حكمٍ والله سمّاه ابا جهلِ[1]

اما في اصلها ، فمعناها المتسرّع ، المندفع ، الـذي لا يضبط عواطفه ولا يملك نفسه. ولقد كانت خليقةً بان تُطبّق على غير واحد من اقارب ابي جهل من آل مخزوم ، وهم مشهورون بانفتهم وترفّعهم وتيههم ؛ او لم يقـل معاوية : « اذا لم يكن المخزومي تيّاهاً لم يُشبه قومه .»[2] وان يكن الحديث قد حفظ هذه الكنية باغتباط ليعيّر بها ابا حكم ، فلقد فعل ذلك لما اظهر الرجل من مقاومة عنيفة للاسلام[3] . واذا استُعمل « الجهل » نقيضاً للحلم — ولنا الشواهد العديدة على ذلك[4] — يُدلّ به على جميع الصفات ، فضائل ونقائص ، الناتجة من حياة البداوة الشظفة غير المثقفة[5] يعدها تسرّع الشباب[6] ، ومجـاوزة الحدّ في

« بجهالة » تفيد : « بتهوّر وتسرّع » ، كما انها تفيد : « عن غير علم » . انظر ايضاً هجاء النابغة الذبياني لملك الحيرة : « وارث الصائغ الجبان الجهول » ، وفي « جهول » المعنيان المذكوران : عدم العلم ، والتسرّع والحمق .

١) حسّان : الديوان ١٢٨ : ١

٢) الجاحظ : البيان ٢ : ١٧٧، ١

٣) ابن دريد : الاشتقاق ٩٢ . وانظر ، في ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢٧٦، ١٨ ، ما كان يوليه من الاعتبار اهل مكة .

٤) يُضاف الى الامثلة المذكورة اعلاه ، والى ما ذكره غولدسيهر في الجزء الاول من « دروسه المحمدية » ، ما يلي : الحماسة ٤٩٩ ، البيت الثاني قبل الاخير ؛ ٥١٢، ٣ ؛ ٥٢٢، ٥ ؛ ٦٩٢، ٣ ؛ ٧٢٥، ٥ ؛ Wright, *Opuscula*, p. 120, 4 ؛ الاخطل ٦٨، ٣ ؛ الاغاني ٢ : ١١٦ ؛ ٤ : ١٢١، ٣–٤ ؛ ٨ : ٥٢، ٦ ؛ ٥٢، ١ ؛ ١٠٥، ٥ ؛ ١١ : ٧٦، ١ ؛ ٨٣، ٩ ؛ ١٠١ ؛ ١٤٦، ٩ ؛ ١٣ : ٤٦، ٣ ؛ ١٦ : ١٥ . ولقد غنّت احدى القيان في حضرة الرشيد فغيّرت قول الشاعر في بني اميّة « يحلمون ان غضبوا » بقولها : « يجهلون ان غضبوا » (الاغاني ٤ : ١٦١)

٥) قابل بقول يهود المدينة لمحمد : « ما كنت جهولاً ولا فاحشاً » (الخميس ١ : ٤٩٤، ١٢)

٦) الجاحظ : المحاسن ٢٢٨، ٩ وهو يشير الى ان الانسان كلما طعن في السن نقص جهله ؛ الحماسة ٤٩٩، ٣

استعمال القوّة اذا لم يضبطها العقل . فالجاهل عدوّ لمحبّ السلام[1] ، ظلوم لا يعرف العدل الصحيح[2] ، وقد يذهب ضحية اهوائه فتضلّه النساء[3] . والجاهل ضعيف الرأي، قليل التفكير[4] عاجز عن ضبط بوادر غضبه[5]، شبيه بمن يعرف عند اللاتين بـ« *impotens sui* »[6] . الجهل هو جفاء البدو[7] في عاداتهم الجاهلية[8] وفي كلامهم الخشن البذي.[9] وفي تناسيهم واجبات المخالقة والمصانعة. الجهل يعرّض اربابه لخفر الذمم ، ولانتهاك حرمة قانون الشرف الذي سنّته عادات القفر ، بل لاحتقار شرائع الضيافة[10]، وواجبات الصداقة[11]؛ والجهل

---

١) قابل بما في القرآن ٢٥ : ٦٤ : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هَوناً . واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً »

٢) في القرآن ٣٣ : ٧٢ : « . . . وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً . »

٣) في القرآن ١٢ : ٣٣ : «...وإلّا تصرف عني كيدَهنَّ أصبُ اليهنَّ وأَكن من الجاهلين. »

٤) راجع بيتي الافوه الاودي في الشعر والشعراء ١٠٠،١٧ حيث يقابل « الجهّال » « بأهل الرأي » .

٥) الاغاني ٣ : ١١٦ ، وفيه لفظة « الجاهل» تفسر لفظة « حديد » ؛ قابل بالجاحظ : البيان ١ : ١٠٤،١٩ : « الحدّة كناية عن الجهل »

٦) يجب ان نفهم بهذا المعنى قول المثل : « الحلم والحلم اخوان » (ابن قتيبة : عيون الاخبار ١ : ٣٠٩،١٢)

٧) العقد ٣ : ٢٠٧،٢١

٨) الحصري ٣ : ٢٤٨ . قابل بالعذر الذي تقيمه ليلى لصاحبها توبة : « كان فتى له جاهلية» وكل هذا النصّ يدل على ان ليس في لفظة « جاهلية » معنى عدم العلم . انما تريد الشاعرة ان تبيّن ان صاحبها المسلم لم يتمكّن من الاخذ بالعادات الاسلامية الجديدة التي تعاكس حياة « اللهو » القديمة . وفي « اللهو » مرادف « للجاهلية » . وهناك من يذكر عادات بعض القرشيين الفتّة قبل الاسلام ، ويزيد تفسيرًا لها : « كانوا اهل جاهلية » (الاغاني ٨ : ٥٢،١) وقد يُذيع المجهول الاسرار (عيون الاخبار ١ : ٦١،١٤)

٩) الاغاني ٣ : ١١٦ ؛ ١١ : ١١٩،١٩ : « كان حديدًا جاهلًا » . الجهل يرادف الحمق، في الاغاني ١١ : ١٤٦،٩ ؛ ابن قتيبة ٥ : ٦٥،١٤

١٠) الحماسة ٢ : ٩٦،٣

١١) الاغاني ١٦ : ١٤ ، وقابل بقول حارثة بن بدر : « ان سبّني جهلا نديمي » (الاغاني ٢١ : ٤٢،١٩) وان من صفات الكمال ان يظلّ الانسان حليماً حتى في سكره (الاغاني ١١ : ١٤٧،٧)

يمنع صاحبه الاضطلاع بالروح الجديد الذي ادخله الاسلام بين العرب، والذي كان من الصعب على اول المسلمين، كذوبة صاحب ليلى الاخيلية، ان يسيروا بموجبه.

وقد احتج كثير من ولاة الامويين على بقاء تلك الصفة القديمة، فاكثروا من الخطب في الجوامع [1] ولكن دون جدوى. فقد ظلت روح «الجاهلية» سائدة مدة طويلة. وكان افضل السامعين واكثرهم اذعاناً للمذهب الجديد، من امكن ان يُقال عنهم: «ستر حلمُهم جهلَهم!» [2]. على ان ما لم يصل اليه ولاة الامويين بخطبهم التهديدية في منابر الكوفة والبصرة، ادركه العباسيون اذ جهدوا في دكّ النظام الاجتماعي العربي القديم فاخضعوا الجباه لسلطتهم المطلقة، فلاشوا تلك الصفات القديمة، وقضوا على «المروءة» العربية وما فيها من عناصر صالحة كان من الممكن استخدامها في سبيل النظام الجديد، لو كان لهم شيء من الدهاء السياسي المرن.

قد ينتج من كل ما قدّمنا ان «الحلم» العربي مظهر خارجي، وهيئة ظاهرة موافقة للحالة الحاضرة اكثر منها فضيلة عميقة على قول الاحنف: «لست حليماً ولكني اتحالم!» [3]. وهو مظهر ضروري في تلك البيئة الديموقراطية حتى الفوضى. فوجب على من شاء الاتصاف بالحلم ان يبالغ في كظم غيظه، فلا يتسرّع في القول ولا في العمل، والا فتكون العاقبة وخيمة اذ انّ لكل

١) راجع خطبة زياد في البصرة (الطبري ٢: ٧٣ ...)

٢) قابل بما في الجاحظ: المحاسن ١٤٬٢٢٩؛ والحماسة ٢٢٣٬٥٢٢؛ ٥٢٩٬٥٠٥؛ والمصري ٣: ٢٠٦. وفي الآداب العربية النصرانية القديمة نرى «جَهَل» بمعنى «أثِم، أخطأ، ضرّ» راجع Dr. G. Graf, *Sprachgebrauch der aeltesten christ. arabischen Literatur*, p. 86.
وقد ورد في الحماسة (٦٥٤) «جهل» بمعنى اهان حتى الضرب فجاء:

وهم جهلوا عليك بغير جرمٍ وبلّوا منكبيك من الدماء

وجاء فيها ايضاً (٦٣٦) «الجهل» بمعنى الكيد، وحبّ الضرر:

جهلاً علينا، وجبناً من عدوّهم لبئست الخلّتان: الجهل، والجبنُ

وليقابل بهذا البيت الغريب وفيه «الجهل» بمعنى جيشان القدور على النار (الحماسة ٢٬٧٥٠):

ودُهم تصاديها الولائد جلّة اذا جهلت اجوافها لم تحلّمِ

٣) العقد ١: ٦٬٢١٨؛ وانظر بعض مواقف الاحنف، ورأي معاوية فيه، ابن قتيبة: عيون الاخبار ١٬٢٧٤

فعل تأثيره البعيد في المحيط العربي . فتعلّم البدويّ الحلم خوفاً من عواقب تسرّعاته ، كما تعلّم اجتناب اهراق الدمـاء خوفاً من الثار ، لا حبّاً للمؤاخاة الانسانية . واتخذ « السيد » يعمل على تلافي البوادر حفظاً للتوازن في القبيلة . وكان من العادات البدويـة القديمة ، التي لانخطئ اذا دعوناها « بالبرلمانية » ، ما فتح له المجال الواسع لاستعمال الحلم ، فغدت هذه الصفة من اشهر الصفات السياسية والادارية ، وغدا اربابها جميعهم من كبار رجال الدولة ، وقد اضطرتهم الاحوال لمخالقة الجماهير ومداهنة الرأي العام.

هذا في مجرى الحياة العامة . اما اذا عرضنا الحلم في الصفات الشخصيـة ، وانتبهنا لما في طبيعة البدوي من الكبرياء واحتقار الغير والميل الى التخلّق بالاخلاق الحكيمـة ، فانه يبدو لنا صورة مصغّرة ، بل مشوّهة لفضيلة الوداعة المسيحية .

ولقد عرف العرب فضل الحلم لما فيه من هـذا المزيج الغريب الرامي الى التوازن بين الفضائل والنقائص ، وهم ابعد من ان يقدروا قيمة الفضيلة البسيطة الوديعة التي لا تُظهر جلبة ولا تحدث ضجـة فلا يعرفها الا ضمير الانسان ولا يراها الا الخالق « الذي يرى في الخفية » وهل كان من وجودٍ لحاتم الطائي ، ذاك المثال الاعلى للكرم والجود لو لم تنشر مآثره الشعراء ؟ أوَ لم يكن حاتم نفسه يرى في الكرم لا الاحسان الى بني جنسه ، بل مادّة الفخر والمجد السائر المذكور ، فيقول متبجحاً :

أماويّ ان المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الاحاديث والذكرُ(١)

وان من الصعب الآن نحكم مثل هذا الحكم على الحلم ، اذا مـا ذكرنا مواقف الحلماء ، ورغبتهم الشديدة في الظهور ، وميلهم الى الافتخار بحلمهم في اشعارهم واقوالهم . ولا يخفى ان هـذه التحفظات تحطّ ، دون شكّ ، من قيمة تلك الصفة الاخلاقية . بيد اننا لا ننكر منفعتها العظيمة في تلك البيئة العربية التي كثيراً مـا حاول المصلحون ان ينقذوا فيها من نتائج الفوضى ومساوئ القوة الغاشمة ، فلم ينجحوا . حتى ان الاسلام نفسه عجز عن تثقيف العرب ثقافـة سياسية دائمة .

---

١) اطلب ابن قتيبة ١٢٧-١٣٠ و Goldziher, op. cit., I, 42, n. 11

الدر المنتخب

في تاريخ مملكة حلب

من قلم حبيب زيّات (نيس : فرنسة)

لابن شدّاد كتاب جمع فيه تاريخ وخطط حلب ودمشق والجزيرة . وسمّاه « الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » . ولا يزال مخطوطاً . ولا نعلم منه نسخة كاملة في الخزائن العامة . ومنه مجلّدان فقط في خزانة بريتيش موزيوم من نسختين مختلفتين . وهما الجزء الاول رقم add. 23334 في وصف حلب وملحقاتها . بخط لا بأس به ، لا يخلو من هنات وتحريفات في النقل . والجزء الثالث رقم add. 23335 في وصف دمشق واعمالها . ولكن ، لسوء الحظ ، اصاب هذا المجلّد بالل بالماء ، ورطوبة شديدة . فالتصقت اوراقه ، وطمست سطوره . فلم نجد سبيلًا الى نسخه او تصويره لطبعه ، كما كان في النية . ولم نستطع ان ننقل عنه الّا ما قلّ وندر .

ويشبه الجزء الاول المذكور ، في اقسامه ومشتملاته : الجزء المحفوظ في دار التحف الاسيوية في لينينغراد ، رقم ١٦٢ من برنامج البارون ڤون روزن[1] . انتهى منه كاتبه سنة ١٠٢٢ للهجرة (١٦١٣ م) ومثاله ، فيما اخبرنا الاستاذ ريتر ، جزء آخر رقم ٣٠٨٤ في خزانة جامع ايا صوفيا . جمع بين القسم الاول وثلاثة ابواب من القسم الثاني فقط . واحسن من هذه النسخ كلّها نسخة ثمينة فيها نقص يسير ، بخط غاية في الاتقان والوضوح ، وقفنا عليها في خزانة الڤاتيكان رقم ٧٣٠ V يظهر انها بقلم المؤلف ، اذا صحّ تعليق احد القرّاء في

(1) *Notice sommaire des Manuscrits Arabes du Musée Asiatique* par le Baron von Rosen. St Petersbourg, 1881, p 99.

زاوية احدى الورقات الاخيرة . ومما يؤيد هذه النسبة ، بعض التأييد ، بقاء مواضع بياض في بعض الصفحات . ومن الغريب وجود بعض اوهام وملاحن في الضبط ؛ لا ندري هل هي سبق قلم من المؤلف ام من غفلات الناسخ .

ومن الجزء الثالث رواية ببعض التصرف في مجلد في خزانة جامعة ليدن في هولاندة Arab. 1466 جعلها كاتبها كتاباً مستقلاً برأسه سماه « برق الشام في محاسن اقليم الشام » (كذا) . وقد قابلنا بعض صفحاته على ما نقلناه من لوندرة ، فوجدنا ان الكاتب اسقط بعض عبارات الاصل ، واغفل كل ما جاء فيه عن امراء دمشق ، وترك مواضع نقص وبياض . ولم يحسن التمثيل والنقل احياناً . ومثل هذا التصرف الجائر نكبة لتاريخ دمشق بعد ما اصاب نسخة لوندرة من التلف . بحيث اننا لا نعلم اليوم رواية حُفظت فيها صفة خطط حاضرة الامويين واعمالها ، كما صدرت من قلم ابن شدّاد بالكمال والامانة .

وابن شداد هذا هو عزّ الدين محمد بن علي بن ابرهيم بن شدّاد الحلبي الكاتب المتوفى سنة ٦٨٤ للهجرة (١٢٨٥/٦ م) . وهو غير ابن شدّاد مؤلف سيرة صلاح الدين المطبوعة باسم « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ، ولقبه فيها بهاء الدين ، واسمه يوسف بن رافع بن تميم بن شداد . توفي في حلب في صفر سنة ٦٣٢ (١٢٣٤ م) . وقد ظنّ صاحب تاريخ نهر الذهب ان مؤلف الكتابين واحد ، وقال انه لم يقف على تاريخ منسوب لابن شداد خاص بحلب[1] (ج ١ ص ١١) . وهذا الوهم عجيب ممن اراد الاحاطة بتاريخ وطنه ، وتفرغ للتأليف فيه . واعجب منه جهله موقع عمّ من اعمال حلب القديمة ، وادّعاؤه انها اختصار اسم عمّق او تصحيفه (كذا)[2] . وقد كان يكفيه ان يراجع معجم البلدان ليقرأ فيه قول ياقوت الحموي : « عمّ قرية غنّاء ذات عيون جارية . واشجار متدانية بين حلب وانطاكية . وكل من فيها اليوم نصارى . »[3]

---

١) وممن وهم ايضاً في نسبة تاريخ حلب الى مؤلف النوادر السلطانية صاحب الاعلام (قاموس تراجم) وزعم ان مؤلف الاعلاق الخطيرة كان رحالة . وان كتابه المذكور « رحلة » . وقد جهله كل الجهل . وترجمه بزهاء سطرين فقط (٣ : ١١٧٩ و ٢ : ٥٩٥)

٢) المجلة البطريركية ج ٨ سنة ١٩٣٢ ص ٥٢٥ ٣) ياقوت ٣ : ٧٢٩ (طبعة اوربة)

ومما يزيد في التحسّر على نقص مخطوط الاعلاق الخطيرة ان كل من كتب بعده على حلب ودمشق ، واراد تعداد ما في كلّ منهما من الجوامع ، والبيع ، والمدارس ، والزوايا ، والحامات ، والمحلات ، والحارات ، والاقنية ، وسائر الابنية والمصانع ، لم يجد غنى عن الاستناد الى ابن شدّاد ، والاستشهاد باقواله . فكان كتابه منذ القرن السابع منهلاً يستقي منه كل من اراد تعريف شيء من خطط المدينتين . واشهر من نقل عنه ، وعلّق عليه محبّ الدين بن الشحنة ، في كتابه « نزهة النواظر في روض المناظر » . وهو كالشرح لتاريخ والده المطبوع بعنوان « روض المناظر في علم الاوائل والاواخر » . وكانت وفاة محبّ الدين بن الشحنة سنة ٨٩٠ للهجرة (١٤٨٥ م) ولا نعلم انه يوجد من تاريخه المشار اليه نسخة كاملة . ولعل اكثر ما حفظ منه مرويّ على اختلاف في الضبط والامانة في المختصر المعروف بعنوان « الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب » المنسوب خطأً مع ما تداخله من زيادات النساخ الى محبّ الدين محمد بن الشحنة . وهو الكتاب الذي تولّى طبعه المرحوم يوسف بن اليان سركيس سنة ١٩٠٩ ، دون ان تهوله كثرة ما فيه من التحريف والتشويه واللحن ، ولاسيما في ضبط الاعلام . ومع انه ، كما قال ، عني بمقابلته على اربع نسخ مختلفة ، وبذل جهده في تسديد بعض ما تصحّف فيه باقلام جهلة النسّاخ ، لم يُوفق الى احسان نقده واصلاح فاسده ، بحيث بقي الكتاب كثير الاوهام جمّ الاغلاط . ولما استحسن اخيراً كاتب سرّ المعهد الفرنسي بدمشق مسيو سوفاجه العالم الاثري نقل فصول منه الى الفرنسية[1] ، وخدمها احسن خدمة بالتعليق والتحقيق ، اسفنا جداً لعدم احتياطه قبلاً بمعارضة هذه الفصول على بقية الاصل المخطوط من «نزهة النواظر» . او بالحري بمراجعة الجزء المحفوظ من الاعلاق الخطيرة في رومة ولوندرة . وهو الاصل الذي استمدّ منه ابن الشحنة كل ما رواه من تاريخ حلب وخططها . وقد فاتتنا ايضاً هذه المراجعة ونحن نطالع مخطوطات بريتيش موزيوم ، لعدم تحصيلنا هنالك نسخة من الدر المنتخب المطبوع ، وألهانا درس ما تكلّفنا السفر

(1 J. Sauvaget. *Les Perles Choisies d'Ibn Ach-Chihna (Mémoires de l'Institut Français de Damas)* Beyrouth 1933.

من اجله عن مثل هذا الفضول . ثم تفرَّغنا اخيرًا لهذا النقد فلم نكد نجد صفحة خالية من شائبة ، مبرَّأة من خلل او تبديل وتحريف . وبلغنا قريباً من الباب العشرين (ص ٢٢٦) وقد اجتمع امامنا من جريدة الاغلاط الواضحة ما ملأ سبع صفحات كاملة . فيها ما له اجلّ شأن في الاعراب ، والرسم ، واللغة، وضبط الاشعار والاعلام . فتمثّل لنا حينئذٍ سأم القراء من سياقة هذه الاستدراكات المملّة ، وقلة ارتياحهم الى مثل هذه التصحيحات الطويلة الذيول. فاخترنا العدول عن هذا الاستقصاء في حقّ كتاب ينحول النسب دعي في الادب الى الكلام عليه جملة ، وكشف النقاب عن اصل وضعه ، وحقيقة جامعه. بينما يتيسر لنا تحصيل نسخة سريّة كاملة من الاعلاق الخطيرة لنخدم بها العلم والوطن ، اذا أعان الله على هذه النية.

واول ما نبدأ به اسم الكتاب « الدر المنتخب ». وهو ليس لابن الشحنة — وقد سبق ان اسم تاريخه « نزهة النواظر » — ولكن لابن خطيب الناصرية المتوفّى سنة ٨٤٣ للهجرة (١٤٣٩ م) ذيّل به على تاريخ ابن العديم « بغية الطلب في تاريخ حلب ». ولابن خطيب الناصرية ايضاً اكثر لفظ المقدمة الاولى المطبوعة . الحقها الجامع بمقدّمة اخرى وجيزة من عنده صرّح فيها ان الكتاب نبذة انتخبها من « نزهة النواظر » . وهذا اغرب ما في الكتاب ان يُنتحل له عنوان وخطبة من مؤلّف ، ومتن من مؤلّف آخر . ثم يُخلط ايضا هذا المتن باقوال وحواش شتى لمصنّفين ونسّاخ مختلفين ، في ازمنة متباينة ، بحيث اصبح هذا المجموع كشكولًا او شبه سفينة نوح.

وقد تعدّدت نسخ « الدرّ » على علّاته حتى لا تكاد تخلو منه اهم الخزائن في الشرق والغرب . ويُستفاد من النسخ المحفوظة في الفاتيكان رقم 286 V. و 286 B. ، وفي باريس رقم 1683 ، ان اول من اختار هذه النبذ من تاريخ ابن الشحنة هو زين الدين احمد بن علي بن الحسين المعروف بالشميفي . ورتبها على ٢٥ باباً . ولابن الملا الحلبي مختارات نظيرها من التاريخ نفسه في ١٧ باباً فقط كما هو مذكور في نسخة منها في خزانة اكسفرد رقم Laud. Or. 206 ثم جاء بعد الشميفي نسّاخ علّقوا على مواضع من ابوابه حواشي نبّهوا فيها على

ما استجد في زمانهم . ومنهم ابو اليمن المعروف بالبتروني المفتي والمدرس بمدرسة خسرو باشا بحلب . وبعض تعليقاته بتاريخ اواخر ذي القعدة سنة ١٠٣٦ (١٦٢٧ م) ولا يخلو كل منها من فائدة اثيرة . وعلى هذا المنوال كان كل من عُني بهذا الكتاب من النسّاخ الحلبيّين يضيف اليه ما يعنّ له ويدمجه في المتن دون ان يذكر اسمه ، او يشير الى مأخذه . فاجتمع في الكتاب على التوالي عدّة ملحقات واقوال نُسب بعضها الى ابن الشحنة نفسه مع ان تاريخها متأخر عن زمانه ، كالزيادة التي زيدت في الكلام على المدرسة الاسدية (ص ١١٩) رُوي فيها عن ابن الشحنة انها خربت سنة ٩٣٥ (١٥٢٨/٩). ومعلوم ان ابن الشحنة توفي سنة ٨٩٠ . ومثالها ما جاء في تعريف المدرسة المجدية (ص ١٢٠) وانها دثرت ولم يبقَ لها اثر ولا عين سنة ٩٣٦ (١٥٢٩/٣٠ م) . ومن هذا القبيل ايضاً ما نُقل عن لسان ابن الشحنة ان اذنة جُدّد لها قلعة حصينة في الدولة العثمانية (ص ١٨٢) وهو قد تقدم زمانها بسنين كثيرة .

ومن هؤلاء النساخ المحشّين ، بل في طليعتهم ، الشماس بولس الحلبي ابن البطريرك مكاريوس الزعيم . ونُسخه هي اكثر ما تُرى في الخزائن العامة . ومنها نسخة بخط يده ناقصة اكملها كاتب آخر منذ اوائل الباب الثاني عشر ، ولم يذكر اسمه في خاتمتها . وهي محفوظة في خزانة جامعة ليدن ، رقم ٥٠١ : Arab. وكان الشماس بولس مولعاً بالنسخ والتحشية ، ونقل اقوال المؤرخين ، في كل موضوع يحاول استطلاع اخباره . ومن هذا النوع كتابه في تاريخ انطاكية المحفوظ عندنا بقلمه . دوّن فيه كل ما وقف عليه من كلام المؤرخين في الشرق والغرب حسبما قرأه في المخطوطات العربية التي اتصلت به ، او قرب نسبه بقلم المرسلين اللاتين في حلب . وكان شديد التعلق بوطنه ، مشغوفاً بتاريخ مسقط رأسه . ولذلك عُني بنقل « الدر المنتخب » ، والحق به كعادته كل ما عثر به في مطالعاته من زيادة في صفة حلب ، او بسط في الشرح ، الكل من المؤرخين الاسلاميين او المسيحيين مَن ملقته موقتهم . وقد نبه اكثر الاحيان على هذه الملحقات والتعليقات بقوله « حاشيـة الكاتبه وجامعه » . وصرح في نسختي الفاتيكان باسمه ونسبه فقال : قال كاتبه الفقير بولص ابن بطرك الشام

مكاريوس » . وقد اندمجت حواشيه وزياداته في متن الكتاب في بعض النسخ حتى ذُكرت كأنها لابن الشحنة نفسه . وبلغت جملتها احياناً عدة اوراق متتابعة كالتي في الصفحات ١٩٧ و١٩٨ و٢٠٠-٢٠٤ ومنها ايضاً اغلب ما في الصفحات ٢٠٧-٢٢١ . ومن هذا القدر وحده تتضح كثرة ما ادخله الشماس بولس على المتن وابدل به نظامه ، وشوّش كيانه .

وقد كان يكفي للتنبيه الى ما احدثته يد الشماس ووالده البطريرك من التصرّف بالكتاب استشهاده بتاريخ « الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم » (ص ٢٤ و٢٠١ و٢٠٣ من المطبوع) ومعلوم ان مكاريوس هو الذي عرب هذا التاريخ من الرومي . وروايته بعض الاخبار من « الكتب القديمة الرومية » (ص١٨٠ و١٨٨) ونقله عن « القسيس ميخايل الانطاكي في بدء خبر يوحنا القس الدمشقي » (ص ٢١٢) . وقوله في الكلام على وادي الفوار وما تحته من السرداب « هذا المكان تحت دير مار جرجس الحميرة وشاهدناه » (ص ٢٦٦) . وإكثاره من الاستشهاد باقوال كتبة النصارى كالبطريرك سعيد بن بطريق ، ويحيى بن سعيد الانطاكي ، ومحبوب بن قسطنطين المنبجي ، وجرجس بن العميد ابي الياسر (وليس ابي الياس) ، والمفضل بن ابي الفضائل في تاريخه النهج السديد .

والشماس ايضاً كل ما ورد من اقوال المؤرخين الاسلاميين كالمسعودي ، وسبط ابن الجوزي ، وابي علي القلانسي ، وصاحب النجوم الزاهرة ، وابن الوردي في خريدة العجائب ، والخنابلي ، وابن الملا ، وسواهم ممن لا نطيل باستيفائهم . ومن هذه النقول كلها تتبين ايضاً وفرة نصيب الشماس في هذا المجموع الخليط .

وجملة القول ان « الدر المنتخب » ، كما هو على علاته ، لا يصح مطلقاً ان يُنسب برمّته وعنوانه الى ابن الشحنة . بعد ان تداولته اقلام النساخ ، وعبثت به ، ودسّت فيه ما ليس منه ، وافسدت كثيراً من نثره ونظمه ، ورسم اعلامه ، حتى ذهب اللحن والخطأ فيه كل مذهب . ولا يصح ايضاً ان يؤخذ عنه ، دون تحرز شديد ، ولا بد من معارضته بنسخة الام ، اي «نزهة النواظر» ، وفرز المتن فيه من التعليقات والحواشي ، وايضاح ما اشكل فيه بمراجعة الاصل الاول وهو الاعلاق الخطيرة .

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه
الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية

٨

(تتمة)

نصّ الميمر (تابع)

٦ — اخفاء الصليب

١ — ردم القبر — واما الكتبه والفريسيين لما سمعوا بهذه القوه التي ظهرت في مقبرة سيدنا يسوع المسيح . تـوامروا في ما بينهم بان يحرقوا المكان بالنار . فاجابوا عظما اليهود وقالوا لروسا الكهنة [٢٢٣]هذا هو حجر تحت من صخره . وليس تعمل النار فيه شي . ولكن ان رأيتم من الراي . ان تخلّوا اليهود يرموا عليه التراب حتى لا يظهر البته تذكاره . فوافقهم هذا الراي جميعهم . ونادوا في مدينة اورشليم كلها قايلين . جميع الرجال والنسا اذا ما كنسوا تراب في بيوتهم ومقصوراتهم . واصطبلاتهم . يجوا به ويرموه على مقبرة ذلك الضال الذي يقال له يسوع . والذي لا يصنع هكذا يخرجوه من الجماعه . وياخذوا غرامه[1] رباعي فضه

٢ — قصاص اليهود — وصار هذا الامر في اورشليم كلها عاده يصنعوا جميعهم

---

١ — وردت جرامه بنقطة على الجيم وهو يعبّر هكذا دائمًا عن الغين كما في كلمتين [illegible] [illegible] النفس و [illegible] الغضب، صفحة ٢٢٦

في كل يوم الى زمان اسفسيانوس[١] الملك الذي اخرب اورشليم فلما تسلط على اليهود ولما يعودوا يصنعوا هكذا. وهذا ما اخبرنا به يوسف الرامي وبرنباس[٢] العبرانيين . ومن ذلك الزمان الى اسفسيانوس الملك مايه وسبعين سنه[٣] . ولم يزالوا هكذا حتى عاد تل تراب على موضع المقبره . وصار عالي على المدينه كلها . فارسل اسفسيانوس ملك الروم على اليهود هلاك وفساد عظيم حتى انه قتل منهم ثلاثين [٢٢٤] الف . واسر منهم الف وسبعمايه . وكتب الى بطلماوس رئيس القبط[٤] . يقول له لا تعطي اليهود رجا في ارض مصر ولا يتاجروا ولا تجعلهم على اجباب الخمر ولا على معاصير العنب[٥] . ولا على جرون غلاتهم . لكن يكونوا بطالين مبعودين من كلشي . حتى تبطّلوهم منكم . واليهود ايضا الذين في ارض مصر اتعبوهم جدا . ويضيق عليهم اكثر من ابايهم في زمان فرعون لما كانوا عبيد المصريين . حتى ان طفل واحد من المصريين يعذّب عشره من العبرانيين . ولا يقدروا يصنعوا به شرّ . بل يطلبوا منه ويسالوه ان يشفق عليهم[٦] . لان الرب هو الذي اذلّهم وخضعهم من اجل ما صنعوا له من الشرور[٧]

٣ – الصليب لم يخفَ – فتقاصرت تلك القبيلة الذي صلبوا رب المجد حتى كادت تضمحل من كثرة القتل الذي كان فيهم من الملوك والغلا والوبا الذي جلبه الله عليهم من اجل خطاياهم . واما اليهود الذي بقوا في اورشليم نسوا عاده ابايهم . ولم عادو يرموا تراب على قبر يسوع ولانه قد صار تل عظيم على

---

١ – ܐܣܦܣܝܢܘܣ Vespasianus ملك من سنة ٦٩ حتى ٧٩

٢ – ابنى السين كما في اليونانية بدلًا من برنابا

٣ – او بالاحرى سبعين سنة لميلاد المسيح ونرجح ان اضافة كلمة « مايه » غلطة ناسخ

٤ – لا نعرف اي البطالسة يقصد وقد كانوا حكاماً على مصر وقسم من سوريا قبل المسيح . ولعله يعني بالقبط المصريين كلهم . لان هذا الاسم على ما يقال تحريف « اجبت » اي مصر

٥ – لعله يعني ضمان المال الاميري المرتب عليها

٦ – هنا ينتهي كلام الورقة الساقطة من نسخة حلب

٧ – لعل اغلب ما جاء هنا عن اليهود في القطر المصري اضافة من احد النساخ الاقباط او السريان النازلين وادي النيل

مقبرة يسوع وموضع الجلجله حتى ان لا بقا احد يذكرهم البته . وكانوا يسموا ذلك التل اقرانيون[1] اي يسوع . ويسموها [٢٢٥] الجلجلة[2] . وان الشيطان اضل عقل اليهود تابعيه . وغيّر القول . واشاع الامر قايل . انزع الصليب من بينكم . ولم يكن يعلم انه سوف يمجد الصليب عند الملوك . وكان[3] الذين آمنوا باسمه . وتغلق ابواب البرابي[4] من اجله . وان كان اليهود[5] الذين هم آلة الشيطان الذي ينطق فيها . ارادوا ان يخفوا الصليب . لكنهم لم يقدروا يخفوه الى الانقضى وهو ايضا مكتوب في قلوب المومنين به . يتذكرونه كل وقت . وصورته قدامهم ينظرون اليها . وان كانوا اخفوه فهو يشبه الشمس بقوته يغيب في الليل ويظهر في النهار . كمثل الخارج من خدره . هكذا ايضا الصليب المقدس اخفوه اليهود من اجل حسدهم الردي للرب يسوع المسيح . لكنه ظهر وعاد مضيا جدا[6]

٤ – امجاد الصليب ونعمه – وان الصليب هو مقوّي الملوك محبي الله ويجعلوه لهم تاج . وهو على القضيب الذي في يديهم . والصليب مصوّر في بيوت الملوك . ويجعلوه في الطرق وعلى العُمد وزوايا البيوت . ليكون لهم قوه . ولجميع العابرين . والصليب مكتوب على السفن ينجيهم من الرياح العواصف الرديه [٢٢٦] وهو مكتوب على تاجات الملوك ليعطيهم النعمه . الصليب المقدّس هو قدام كل

١ – قلنا انها كلمة يونانية [illegible] معناها الجمجمة وقد تركها المترجم على صيغة المفعول به كما وجدها في الاصل اليوناني

٢ – في الميمر القبطي صفحة ١١ ان اليهود « اقاموا على ذلك الحال مستمرين يردم التراب على المقبرة الطاهرة والجلجلة مايتي وثلاثون سنة الى ان علا التراب على اسوار المدينه ونسي ذلك المكان ولم يعرف ولا صار احدًا يعلم خبره ». وهو يهمل ذكر خراب اورشليم وينتقل بعد ذلك الى الكلام عن رؤيا قسطنطين

٣ – الارجح ان اصلها « وكل »

٤ – هياكل الاصنام كما سترى

٥ – في ح ٣٧ : « وان اليهود »

٦ – في ح ٣٨ يزيد : « ويعطا للهيكل قربان »

كتابه يُكتب[1] . يا لهذه القوة والفخر[2] الذي للنصارى المومنين لانهم ليس يصنعون شي من امور العالم الا بالصليب . ولا يصنعوا مذبح الا بالصليب[3] . ولا يسيم[4] كاهن الا بالصليب . ولا يعمدوا الا بالصليب . والذي يكون له الصليب ومعه . فان لـه عزن عظيم . الصليب هو يلجم صغر النفس ويبطل الغضب الذي يجلب السخط . الصليب هو على موايد المومنين ويبارك طعامهم . وهو في ولايمهم[5] .

• - الملوك اعداء الصليب - وهو يهلك الغير مومنين الذين هم اعدايه . كما اهلك ديوقلتيانوس[6] وجعله اعما بعينيه[7] . لانه لم يجعله له معيناً . بل عدواً مبيناً . واتصل مثل مكسيانوس[8] الذي فتن وهو في الحياه وتعطل لسانه في فيه . لانه كان افترى على الصليب . وايضا اهلك يوليانوس الكافر[9] المنافق . لانه لم

---

١ – تركيب يوناني . وفي ح : « تنكتب » ونظنه يعني الكتابات الرسمية . كل هذه الاوصاف لا تنطبق الا على بلاد مسيحية وتدل على ان الميمر وُضع قبل ان يحتل الاسلام اورشليم كما سبق القول

٢ – هكذا وردت بضمة على الفاء .

٣ – يعني تكريس المذبح ، وفي ح ٣٩ يزيد : « ولا يكرز اسقف الا بالصليب ولا [illegible] الا بالصليب ولا يرسموا الا بالصليب »

٤ – نرجح ان اصلها « يسمون »

٥ – وفي ح هذه الزيادة : « ومع الذين يشربون الخمر بسكر وفرح . وهو يماحك السكيرين بغضب عظيم » ونرجح انها دخيلة . وسنرى ان النص الخابي يبتدئ من هنا [illegible] يبتعد عن نصنا بزيادات لا مبرر لها

٦ – تكتب بالتاء اليونانية واللاتينية وتلفظ « ديوكلتيانوس » . ملك سنة ٢٨٦ وفي سنة ٣٠٣ اعلن الاضطهاد العام على المسيحيين . وكان في سنة ٢٩٢ قد ترك مملكة الغرب [illegible] كلوروس والد قسطنطين . فتنزل في سنة ٣٠٥ نهائياً عن الامبراطورية

٧ – لم نكن نعلم انه فقد البصر في آخر حياته . وفي ح . « اعمى بعينه »

٨ – مكسيانوس هرقل شاطر ديوقلتيانوس المُلك سنة ٢٨٦ . تبنى قسطنس كلوروس . وتنزل مثل ديوقلتيانوس سنة ٣٠٥ . ولعله يقصد مكسيميانوس دازا الذي [illegible] سنة ٣٠٥ وذبح فيلقاً مسيحياً في غاليا وانكسر في طرسوس في حزيران سنة ٣١٣ فانتحر . [illegible] نعلم انه اصيب في لسانه وجسمه بمرض البرص او السرطان . راجع كيرول ١٣ : [illegible] حاشية ٢٥

٩ – ابن اخت قسطنطين ملك سنة ٣٦١ وقُتل في حرب الفرس سنة ٣٦٣ . جدد

بتمه وخلاه خلفه . وذلك المنافق الكافر صار قرن الهلاك امام الرجال. ورذل الانبيا الاطهار . وكان يتلوهم[١] دفوع كثيره . ويعترف فيهم الذي لا يجب فتحه فيه ولسانه المقطوع[٢] . ويقول اني قراتهم وفهمتهم . بالحقيقه [٢٢٧] يا احباي انه لم يقراهم ولم يفهمهم . ولو انه عرف معناهم ومجد نُخر النصارى فلم يكون يموت موت شرير . لانه صار عدوّ الصليب . في حياته . فلاجل هذا الما الذي كانت الخنازير تشبع منه . مات ذلك المنافق . وهو عطشان منه[٣] . وشرب من بول الخيل ومن بوله هو ايضا . ولم يكن جسده يستحق ان يُجعل في قبر . كمثل انسان فقير ولا كفن لجسده من اجل انه صار عدوًا للصليب[٤] .

٦ – التشبه بالمصلوب – فمن اجل هذا يا احباي لا نعود نصنع كاعمال اوليك. ولا نكون اعدا للصليب . لا[٥] يلحقنا الذي صاب اليهود الذي اتفقوا على عود الصليب ليخفوه . هم ذبحوا بنيهم وبناتهم[٦] . واكلوا لحومهم من اجل الجوع العظيم الذي جلبه عليهم السيد المسيح[٧] من اجل المكيده التي صنعوا به لما صلبوه . وايضا ارادوا يخفوا خشبة الصليب المقدس كما قد عرّفنا يوسف وبرنباوس العبرانيين في اقاويلهم[٨] من اجل ما اصاب اليهود . ومنذ

الاضطهاد على المسيحيين وحاول اعادة الوثنية الى عزها الاول وتنظيمها على نظام الكنيسة . انتصار صاحب الجبر على هؤلاء الملوك الاربعة وتأثره من اضطهاد يوليانس وموته يدل على انه كان معاصرًا لهم كما اسلفنا القول

١ – اي يطالعهم وقد قرأناها سابقًا « يتلبهم » . وكان يوليانس يطالع الكتب المقدسة لينقض بها الدين المسيحي

٢ – في ح : « ويعترف في الذي يجب [illegible] ولسانه المقطوع » والجملة مضطربة في كلتا النسختين ولعله يقصد ان يوليانس لم يكن يستحق ان يتلفظ بالايات المقدسة التي كان يقرأها

٣ – تركيب يوناني محض

٤ – بعض هذه التفاصيل عن مصرع يوليانس لم يكن معروفًا

٥ – في ح ٤٠ : « لئلّا » وهو الصحيح

٦ – في ح : « هم ذبحوا بنيهم وحدبهم [illegible] » ونظنه يريد « وحيديهم »

٧ – وفي ح : « الذي جلبه عليهم الاله الحق يسوع المسيح ربنا » ونرجح ان نص [illegible]

٨ – وفي ح : « في بدو اقاويله » ويظهر ان القديس كيرلس يشير الى حكاية مكتوبة

الله[1] يا احباي ان نكون غير مومنين بالمسيح وبصليبه المقدس . ليلا تاتي علينا هولاي الشرور كلهم . لان عظيمه هي قوة الصليب [٢٢٨]

وانا اجترى واقول لكم من اجل آدم ابو البشر وبنيه . خلقهم الله شبهه ومثاله[2] . فان كان ادم شبه الله ومثاله كما هو مكتوب . اعلموا انتم ايضا ان ابن الله الوحيد هو صليباً كله لما بسط يديه على عود الصليب وعاد مثالًا واحد معه[3] حتى خلصنا من خطايانا نحن الذين امنا به . ونحن ايضا نتشبه به . اذا وقفنا نصلي . نبسط ايدينا مثله[4] . وايضا نتشبه بابايتنا الارثوذكسيين تنيّحوا وهم يمجّدوا الصليب المقدس[5] .

٧ — رؤيا الصليب

١ - قسطنطين - وانا ايضا اشرح لكم هذا الفضل العظيم جدا والمجد الذي وهبه الله لنا على يدي الملك قوسطنطينوس الملك المنصور[6] . هـذا كان من اصل جيد محبًا لله جدا . ومن اجل هذا مجده المسيح بصليبه المقدس ونجاه وسلّمه في جميع الاماكن من جميع الحروب الى يوم موته . هذا الذي زيّن البيع

ومنسوبة الى يوسف وبرنابا كانت مشهورة في عهده . وقد كتب اسم الثاني «برنابا» وكان سابقًا كتبه برنباس كما رأيت وكلا الشكلين مأخوذ عن اليونانية

١ - في ح : ٤١ « ومعاذ الله ان يكون هذا »

٢ - وفي ح : « من اجل آدم ابو البشر وبنيه نحن . وهذا خلقه الله كشبهه ومثاله »

٣ - اي ان السيد المسيح لما بسط يديه على الصليب اصبح شكله شكل صليب . فالصليب مثال المسيح كما ان ادم مثال الله

٤ - ما زال المسيحيون ، في الشرق يبسطون ايديهم للصلاة . وفي آخر صلاة المساء قبل الرقاد يتلو الرهبان اللبنانيون مزمور « ارحمني يا الله » باسطين ايديهم كالصليب حتى ينتهوا منه

٥ - وفي ح : « الوحيد » ولا حاجة لهذه الزيادة

٦ - نرى القديس كيرلس يسرد في هذا الميمر اعاجيب الصليب : تحلية الماء في جب حقل يندوم . شفاء اكلاوبا واقامة ابنه من الموت . اهلاك اعداء الصليب اي اليهود وديوقلسيانوس ومكسيميانوس ويوليانوس . رؤيا قسطنطين محبه . العجائب التي ظهرت بعد اكتشاف الصليب منها ظهور صليب لامع في السماء . فكل هذه الاخبار لا تخرج بحد ذاتها عن الموضوع وان طال في شرح بعضها فتجاوزه . وكلها تتعلق بالآية الاولى : «ملك الرب . . . »

بكل زينه رفيعه فاخره . وجعل رجاه في الاله يسوع المسيح وصليبه المقدس . وكان ملتجي اليه بامانه قويه . واغلق ابواب البرابي وموضع عبـادة الاوثان . ووهب للكنايس وللابا الاساقفة الارثوذكسيين مجد عظيم في [٢٢٩] جميع الاماكن الذي تحت حوطته[١] . واخفا اعدايهم[٢] وتعالى عليهم اعني الملك قسطنطين . هذا الذي مجد الصليب المقدس . وهذا قسطنطين لم يكن يعرف الصليب من البدى من كثرة عبادة الاوثان . الذي كانت مبسوطه على كل مكان من الملوك الكفار ديوقليتيانوس[٣] ومكسيميانوس واما هذا الملك قوسطنطينوس فكانا ابايه نصارى بارين[٤] . وعاد هذا ايضا على جاري عادته . وكان كمثل مصباح يضي على الذين على الارض كلها . وكان كل احد يتمنّا ان ينظره من اجل حسنه وجماله وسجاعته . وكان متباعد من كل عبادة الاوثان . ولهذا احبه ديوقليديانوس واقامه على كل ما له[٥] . وعلى النهي والامر . لانه كان ذو حسن وصورة ملاك . وكان من جنس الملوك الذي للروم الاولين[٦] . وكان سجيعا جدا في الحروب حتى ان كل حرب يمضي اليه يخضعهم الرب قدامه لانه كان يحبّه .

٢ – حرب الفرس – فبينما هو ذات يوماً[٧] من الايام في الحرب يقاتل الفُرس في

١ – كل هذا مطابق لما نعرفه من التاريخ

٢ – لعل الاصل « أخزى » . وهو يشير هنا الى انتصار قسطنطين على مكسنس عامل رومية سنة ٣١٢ وانتصاره في ١٨ ايلول سنة ٣٢٤ على صهره ليثينيوس الذي جدد الاضطهاد على المسيحيين . وهذا يوافق كلامه في رسالته الى مكاريوس اسقف اورشليم ان اداة الآلام ظهرت على اثر تخلص المسيحيين من عدوهم الاكبر

٣ – ربي قسطنطين في جيش ديوقلتيانوس وجاليريوس . وكان الاضطهاد على المسيحيين عاماً كل الامبراطورية

٤ – كان والده قسطنس كلوروس مبتعدًا عن عبادة الاوثان ويعبد « الاله الواحد » ويظهر عطفاً كبيرًا على المسيحيين خلافاً للامبراطرة زملائه

٥ – يعني هنا ان ديوقلتيانوس احبه لاجل حسنه وشجاعته وليس لاجل تباعده عن عبادة الاوثان لان ديوقلتيانوس كان وثنياً مضطهدًا الكنيسة

٦ – كان والده من اسرة رومانية عريقة في النسب . كابرول ٣ : ٢٦٢٢

٧ – جاءت على هذا الخطأ في كلتا النسختين

ايام صبابه في موضع يقال له قلرامح[1]. وكانوا حشدوا حشودًا كثيرًا جدا . الفرس اكثر من الروم[2]. لانهم كانوا اعطوا الاجره لسبعة امم حتى جاو[3] [٢٣٠] معهم لينصروهم[4] . وكانوا يقولوا انا ناخذ جميع كورة الرومانيه ونجعلهم لنا عبيدًا . وانهم صنعوا لهم الة لحفر المغاير والسراديب ليعبروا فيها في غد ذلك اليوم . وكانوا يقولوا اننا نقتل قسطنطين هذا الذي اخرب كورتنا كلها . ونغضي الى انطاكية وناخذ الملك وماله الى الاسر . وان قسطنطين فكر في نفسه . وقال من الذي يستطيع ان يحارب هذا الجمع الكبير . وللوقت قام وارسل الى الفرس وقال لهم . ليس نحارب بعضنا بعض . حتى نعرض بعضنا بعض مع شعبنا[5]. وان كان لنا استطاعه للحرب معكم . والّا اخلينا لكم كورتنا . ونغضي نحن . ولما سمعوا الفرس هذا الكلام فرحوا . وظنوا ان قسطنطين ذلّ وفزع منهم .

٣ – الرؤيا – وبينما هو نايم الملك قسطنطين ذات ليله وقلبه حزين وعيناه مفتوحتان وهو ينظر الى السما متفكر من حزنه . فتباعد عنه النوم . وبقي مستيقظ يتفكر . فبين ما هو كذلك . نظر الى السما فرآا صليب نور[6]. وكتابه

---

١ – ܩܠܪܐܡܚ، ولعلها تل رامح . وقد اشبنا الكلام في المقدمة عن هذا الحادث وظروفه . ولعله وقع لقسطنطين وهو يحارب في الشرق قبل تبوئه العرش لانه صحب ديوقليتيانوس في حرب فلسطين سنة ٣٠٣ . وفي الاساطير السريانية ان البرابرة احتشدوا على نهر الدانوب ܕܢܘܒܝܣ . فاصلحها الاب بدجان في مجموعته ܕܐܟܢ معه اي نهر التيبر في رومية . انما الاسطورة اللاتينية القديمة الواردة في نسخة مخطوطات مكتبة باريس رقم ٢٧٦١ وافقت الاساطير السريانية بقولها « في السنة السادسة للملك قسطنطين اجتمع البرابرة على نهر الدانوب » راجعها في مجموعة A. Holdar, *Inventio Sanctæ Crucis*, Lipsiæ, 1889

٢ – اي الرومان

٣ – وفي ح : ٢٣ « جاؤو »

٤ – وفي ح : « ليخدموهم »

٥ – وفي ح : « ليس نحاربكم حتى نعرض بعضنا يبعض مع شعبنا »

٦ – فالرؤيا لم تحصل اذًا في الحلم ولا امام الجيش كله، كما جاء في اوسابيوس، بل شاهدها قسطنطين وهو ممتد على فراشه يتفرس في السماء . والميمر القبطي يوافق هذا بقوله صفحة ١١ « وبات ليلته بنكد عظيم ولم ينام عجاه . فلما كان كذالك تفرس في السماء وكواكبها ونجومها . فاظهر له الله علامة الصليب في جو السماء . بنجوم زاهرة نيرة مضيئة اكثر من ضو

حوله . هكذا على هذا المثال[١] . قوسطنطين بهذه [٢٣١] العلامه تغلب جميع اعداك[٢] . فاطلب الى الاه ابايك فانك تجده[٣] . فلما قام باكر تعجب وقال ترى لمن هذه العلامه . ولمن من الالهه تكون . وانه امر ان يدعوا له الكهنه وخبرا[٤] مملكته . وقال لهم من اجل الرويا والعلامه . الذي ابصرها واستخبر منهم . لمن هي من الالهه . فقال بعضهم انهـا لفقلاداريون[٥] القوي صاحب الغلبه في الحرب . لانه ظهر لك ليعطيك الغلبه . ولهذا يجب ان ترفع له القرابين . وقال بعضهم انهـا لهرقليس[٦] ويجب ان ترفع لهم القرابين لانهما يريدوا ان يعطوك الغلبه في الحرب . ولم يدري قسطنطين ماذا يصنع . لانه كان نصراني ابن نصراني[٧] . ولم يكن يعرف كيف علامة الصليب . لانه لم كان في ذلك الزمان كنيسه مبنيه . ولا صليب ظاهر . ولم يكن قسطنطين هذا ولد الا في زمان هدم الكنايس . الزمان الذي كان فيه على النصارى الضنك والطرد[٨] .

النجوم » . وفي ح ٤٣ : « عيناه شاخصات الى السماء » . وفي س ١١ : « رأى الملك في نصف الليل ملاكاً من نور حاملاً صليباً من نور وعليه كتابة » فرواية ميمرنا تختلف عن الميمر القبطي في ما يختص بشكل الصليب وعن الاساطير في شكل الرؤيا

١ – وفي ح ٤٤ يزيد : « وصوتاً قايلاً له »

٢ – لا ذكر للكتابة في ق ١٣ بل ان اوسيبيوس الشيخ هو الذي قال لقسطنطين : « بهذه الاشارة تغلب اعداك » . وفي ح : « تغلب جميع الامم »

٣ – وفي ح فقرة دخيلة هذا نصها « فلما سمع هذا القول قال في نفسه ان هذا الصليب لامر عظيم وقال ليس هذا الصليب في السما الا مثاله على الارض . فوقته صاح على امه هلانه وقال لها نظرت شي عظيم قد اذهلني وفزعني . عند ذلك قالت امه هلانه الملكه وما هو الذي ابصرت . فقال لها ابصرت علامة الصليب في السما . فلما قام باكر تحيار وقال . . . »

٤ – ٥ فهنا موضع نقطة تحت الهاء للترخيم وتمييزها عن كبراء

٥ – ܕܐܪܝܘܢ . قلنا ان اريون اله الحرب عند اليونان ، والدال للاضافة . اما ܠܦܩܠ فلم نعرف لها اصلا ولا معنى

٦ – ܗܪܩܠܝܣ هو بلا شك هركولوس البطل او هرقل وقد ورد هنا على صيغته اليونانية

٧ – وفي ح ٤٥ : « ابن نصرانية » اشارة الى والدته التي على ما يقال لم تتنصر الا بعد اهتداء ابنها . اما سبق القول ان والده كان يعبد « الاله الواحد » ولا يبعد ان تكون زوجته مشاركة له في عقيدته هذه . ولا ننسى ان العماد كان يعطى عادة في سن الشبوبية

٨ – وفي ح ٤٥ : « ولم يكن قوسطنطين هذا ولد الا في زمان هدم الكنايس والضنك

٤ – النصر – وبينما هو مفكرًا في ذلك اقترب اليه واحدًا[1] من الغلمان وكان سجيع [٢٣٢] محب لله[2] . اسمه اوسيكينوس[3] . وكان قوي الايمان دَيّن . ولم يقدر يظهر ذلك . لانه كان زمان الطرد[4] . وهذا اقترب الى قسطنطين في السر وقال له . يا سيدي اسمع قول عبدك . هذا المثال الذي رايته في السما . هو علا[مة] صليب السيد المسيح الذي صلبوه اليهود عليه[5] . وليس هو لاحد من الهة ديوقليتيانس الملك . فلما قسطنطين هذا القول الذي قاله اوسيكينوس . اجاب وقال . ان انا نلت الغلبه بهذا المثال الذي رايته . فانا اومن انه الاه ابايي[6]

وللوقت احضر رمحه الجيد وجعل عليه صليب ذهب وجعله قدامه[7] . وللوقت

والطرد على جميع النصارى . وهكذا كان يومن بالمسيح في خفية هو ووالدته . » وهذه الجملة بلا شك دخيلة لانها تناقض ما قبلها مثل اكثر الفقر الزائدة في هذا النص

١ – جاءت على هذا النمط في كلتا النسختين

٢ – وفي ح : « محب للمسيح » ولعله اصح

٣ – ܐܘܣܝܟܢܘܣ بنقطة فوق الكاف لمنع الترخيم ولعله اوسيبيوس . وفي ق ١٣ «اوسينوس البندي الشيخ » . وفي س ١٢ ان قسطنطين علم من احبار النصارى ان هذه العلامة للمسيح فاستدعى اوسيبيوس اسقف رومية وتلقى منه مبادئ النصرانية واعتمد منه . واوفده مع والدته للبحث عن خشبة الصليب . وفي ق انه اعتمد من سيبطروس بابا رومية وهو البابا سلفستروس خلف اوسيبيوس . راجع في علاقة قسطنطين بالبابا سلفستروس معجم كبرول ٣ : ٢٦٨٢ وما يليه .

٤ – الاضطهاد الذي اعلنه ديوقلسيانوس على المسيحيين سنة ٣٠٣ والغاه قسطنطين سنة ٣١٣

٥ – هذه الجملة ساقطة في ح ٤٦

٦ – وفي ح : «ان نلت الغلبة بهذا المثال الذي رايته فانا اومن به انه اله ابايه» ونصنا اصح

٧ – وفي ح : هذه الفقرة الزائدة «ولما تم الميعاد الذي افرضه قسطنطين بينه وبين الفرس . عدّوا البحر ليقاتلوه . فاعطاه الرب العز والنصراة في ذلك اليوم وانهزموا كل جموع الفرس . » ونظن ان صاحب هذه الفقرة الدخيلة مصري لانه يسمي النهر بحرًا والمصريون يسمون النيل بحرًا واحيانًا البحر الاعظم تمييزًا له عن فروعه التي يدعون الواحد منها بحرًا . وهذا يدل على ان الناسخ او الذين املوا عليه اعتمدوا في بعض الفقرات الدخيلة على نسخ غير التي نقلوا عنها . وفي ق ١٤ : « بعد ان آمن قسطنطين بالسيد المسيح فرحت به والدته وامر ان يعمل مثال الصليب من ذهب ويُرفع على علم . ونقش ايضًا مثال الصليب على رأسه في تاجه وامر ان ينقش على آلة الحرب وعلى جميع العسكر »

انهزموا كل عساكر الفرس والذين معهم. وولّوا هاربين حتى انهم لم يجتمع منهم اثنين في طريق واحده . ولم يزل القتل فيهم الى ديارهم. ورآا قوسطنطين بعينيه في الجو. جمعٌ كثير وسيوفهم مساوله في ايديهم. وهم يقاتلوا الفرس[١]. فلما نال الغلبه بالصليب. رجع الى داخل المدينه. وجميع حاشيته وغلمانه ولم يعلم واحد منهم[٢]. وهذا الذي كان كما [٢٣٣] عرفونا الابا المعلّمين وكتبوهم لنا من البدي[٣].

٥ - فوز الكنيسة - وان الله الذي يقيم الملوك في المملكه. وهو الذي يقتلهم منها . اهلك ديوقليتيانوس واعما عينيه من اجل عبادته للاوثان . ونزع المملكه منه. وبارادة الله اتفقوا شعب روميه وانطاكيه[٤] واكابرهم واخذوا قوسطنطينوس واجلسوه على كرسي روميه . وجعلوا على راسه اكليل المملكه والتاج. ورفعوا اليه عطاياهم الهدايا وكانوا يمجدوا الله من اجل رحمته وحلمه ومحبته للبشر[٥].

والوقت اطلق جميع الذين في الحبوس[٦] وكل مكان ووهب سلامه كثيره للكنيسه[٧] . وكتب رساله الى جميع الاساقفه الارثوذكسيين بكلما كان لكي يصلّوا عنه وعن مملكته[٨]. ويكون الله له ساترًا ومعينًا. وكانت سلامه

---

١ - لعل هذا اصل ما جاء في اوسابيوس عن رؤيا الصليب التي ظهرت عند غروب الشمس لقسطنطين ولكل الجيش والتي خلطها المؤرخ مع الحلم. اما في ميمرنا فلا تناقض بين الحلم والرؤيا وقد اختص قسطنطين بكليها . وفي ح : «وهم يقتلوا الفرس» ونصنا اصح

٢ - وفي ح: «ولم يتلم واحد منهم» اي لم يُقتل. ولعل قصده لم يُعلم احدًا بالرؤيا

٣ - وفي ح ٤٧: «كما عرفنا المعلمين الكتاب العبرانيين وكتبوهم لنا من البدي» ولعله يشير الى مفكرة كتبها يوسف الرامي ونيقوديموس او كتبها احد المؤرخين عنها

٤ - في ب شطب على اسم روميه وابدله بانطاكية ثم اعاده الى اصله فظهر مطموسًا

٥ - خلف قسطنطين اباه في سنة ٣٠٦ على حكم غاليا وبريطانيا ودخل رومية بعد انتصاره على مكسنس عاهلها في ٢٩ تشرين الاول سنة ٣١٢ كما سبق القول فخرج الشعب لاستقباله يرقدموا له تمثاله مصوغًا بالذهب وترسًا واكليلًا . راجع معجم كابرول ٣: ٢٦٢٧

٦ - من المسيحيين

٧ - كان قسطنطين اصدر في سنة ٣١١ امرًا بحرية الاديان . وبعد استيلائه على ايطاليا سنة ٣١٢ اصدر امرًا آخر باعادة ملوبات المسيحيين . وفي شهر شباط سنة ٣١٣ اتفق مع صهره لشينيوس على الغاء الاضطهاد في الامبراطورية كلها وهو الامر المعروف «بمنشور ميلان» édit de Milan . راجع كابرول ٣: ٢٦٢٨ و٢٦٦٥ و٢٦٧٢

٨ - لا نعرف الى اي رسالة يشير صاحب الميمر

عظيمه ونعمه محيطه به من كل ناحيه[١] . واعطا الله للكنايس على ايامه خيرات عظيمه . وجميع المومنين امرهم ان يثبّتوا كنايس المجد على زمان مملكته . وولد له ابناً . ودعي اسمه قسطنطين على اسمه[٢] ومن بعد [٢٣٤] هذا ولد له ولداً اخر اسمه قوسطنطين[٣] . ولما كبروا قليل جمل اكليل المملكة والتاج عليهم[٤] .

وسمع قوسطنطين الملك بان الناس يعبدون الاوثان في اماكن كثيره . فارسل امره الى كل مدينه بان يغلقوا ابواب البرابي . ويأخذوا مفاتيحها ويعطوهم لقوامة الكنايس بكل مكان . وانهم وجدوا في البرابي اموال عظيمه . فارسلوهم[٥] لبنيان الكنايس بكل مكان كما امر الملك[٦] .

٨ — البحث عن الصليب

١ — سؤال اليهود — وللوقت قام قوسطنطينوس الملك بسرعه[٧] . واخذ معه

---

١ — توفق كثيراً في ملكه وانتصر على كل مزاحميه واعدائه واصبح امبراطور الشرق والغرب . راجع ترجمته لاوسابيوس معاصره في مجموعة الاباء اليونان لـلاب مين مج ٢٠ ولتاودوريطوس مج ٨٢ ولسقراط مج ٦٧ . راجع مختصرها في معجم كابرول ٣ : ٢٦٢٤—٢٦٧٤

٢ — كان يُدعى قسطنطين الصغير او قسطنطين الثاني . رفعه الى مقام القياصرة سنة ٣١٧ مع ابنه الاكبر كريسبوس المولود له من خليلته مينرفينا قبل زواجه الشرعي من فاوستا . كابرول ٣ : ٢٦٢٩

٣ — قسطنت الاول ولد سنة ٣٢٠ كابرول ٣ : ٢٦٢٠ وله ولد آخر باسم قسطنس الثاني رقاه الى مصاف القياصرة سنة ٣٢٤ كابرول ٣ : ٢٦٢١

٤ — في ١٧ ايلول سنة ٣١٠ قسم قسطنطين الملك بين اولاده واولاد اخته . فاقطع قسطنطين الثاني غاليا وبريطانيا واسبانيا . وقسطنس الاول ايطاليا وافريقيا وبلاد اليونان وقسطنس الثاني بلاد الشرق اعني آسيا وسوريا ومصر . كابرول ٣ : ٢٦٢٤

٥ — الهاء والميم مكشوفتان فاخذناهما عن ح .

٦ — نفذ هذا الامر تدريجاً . وفي سنة ٣٣١ اقفل في لبنان معبدي الزهرة في بعلبك وفي افقا جنوب العاقوره ، كما سبق القول . وفي هذه السنة بنى في الشرق كنائس عديدة منها كنيسة انطاكية . كابرول ٣ : ٢٦٢٣

٧ — وفي ح ٤٨ فقرة طويلة دخيلة اليك نصها : « وللوقت قام قسطنطين الملك بسرعة

والدته وزوجته[1] واخته العذرى واواني عظيمة وغلمان كثير وعبيد. واساقفه قديسين. ودخل الى اورشليم. وهم معه. وامر بان ياتوا اليه بعظما اليهود. وطلب منهم قايل. انا اريد ان تعرّفوني موضع خشبه الصليب الـذي رفع عليها يسوع[2] وموضع القبر الذي وضع جسده فيـه. حتى ابني لـه موضع كاستحقاقه [في] مملكتي[3]. فقالوا له اليهود يا سيدنا الملك. هوذا زمان كثير من حيث صُلب يسوع. والآن اكثر من سته اجيال لهـذا الامر. من حين اخرب اسفسيانوس الملك هذه المدينه[٢٣٥] واحرقها بالنار. وقتل ابانا. والـمر الذين بقوا منهم[4]. لانهم لم يبقا منهم الا قليل. فارسلهم الى ارض مصر. وهوذا نحن البقيه عبيدًا لملك الروم الى الان. فقال لهم الملك قسطنطين اذ لم تعرفوني موضع صُلب فيـه الرب والا لكم[5] عقوبةً عظيمه. وتعرّفوني ايضا موضع خشبة الصليب. وموضعُ ترك جسد الرب فيه.

٢ – علماء الناموس – فاجابوه اليهود قايلين يا سيّدنا الملـك. اطلب الـذين يعرفون الناموس ويفهموه والروسا الذين فيهم. وهم يعرّفوك الـذي تطلبه.

وقال لامه ماذا نصنع في امر الصليب امضي بنا نطلبه في اورشليم في موضع صُلب المسيح. وان الصليب يخلصنا من جميع الشدايد. وانا عازم انه يخلص الكنيسه وكل اولادها من الشيطان وجميع حياله. وانا باعلم ان هذا الصليب الذي انا طالبه فهو يهب لي القوه على كل اعداي. ومبارك الذي صُلب على [٢٦] هذا الصليب. فلما سمعت ام قسطنطين الملك ارسلت منـادي ينادي في كل مدينة رومية. ويقول يـا معاشر المؤمنين كل من يخرج ويمضي مع الملك وامه هـلانه الى اورشليم في طلب الصليب المعظم. فلما تم المنادا اجتمع الى الملكه هلانه خلايقًا عظيمه في طلب الصليب المقدس. فلما طلبوا المسير الى بيت المقدس امر الملك ان يأخذوا اخته العـذرى وزوجته . . . »

١ – فاوستا Fausta تزوجها سنة ٣٠٦. وشت بابنه كريبوس فقتله. ولما علم ببراءته قتلها سنة ٣٢٦. كابرول ٣: ٢٦٢٢

٢ – وفي ح زيادة « والحربة والاكليل والشوك والاكفان الذي كانت عليه »

٣ – سقطت في ت، وفي ح: «لمملكتي »

٤ – لعله يعني بالجيل عمر الانسان. وفي س: « اكثر من مايتي سنة مضت على هذا ونحن صنارًا »

٥ – في ح : « . . . فان لكم »

لان فينا قوم ليس يعرفون هذه المدينه . كيف يعرفون الذي يطلبه الملك فقال عرفوني . من هم علما الناموس . وانا اطلقكم تمضوا الى منازلكم بسلام . وانهم جابوا اليه سبعه رجال قايلين هولاي هم الذين يعرفون الناموس جيد . وهم الروسا[١] . وهذه اسايهم . يهوذا . بنيامين . افيصا . ادوث . يسوا[٢] . شالوم[٣] . يصون[٤] . فاجاب وقال لهم ان اردتم ان تحيون بحياه هـذه الدنيا والاخره ايضا . فقوموا بسرعه واوروني موضع خشبة[٥] صليب سيـدي يسوع المسيح . والقبر الذي وضع جسده فيه . [٢٣٦] وان لم تعرفوني . فاني اهلك اجسادكم بعقوبة شديده وارواحكم يحرقها الرب بنارٍ لا تطفا . فاجابه واحد منهم اسمه بنيامين . وقال يعيش سيدى الملك . امرني اشرح لك الذي انا اعرفه . اما هذه المدينه فانها اخربت ثلاث دفوع من ملوك الروم[٦] . وبعض اباي قتلوهم . وبعض منهم مضوا الى الاسر الى ارض مصر . وهم هناك الى الان ولم يعودوا الى منازلهم دفعةً اخرى . وان كان بقي من جنسنا بقيه فهوذا هم في هذه المـدينه . ونحن تحت رقّ العبوديه لملوك الروم . ونعطيهم الخراج . وليس نتفرّغ لمعرفـة هذا الاشيا كلها . والبحث عنها . بل نحن نعيش على سنّة ابابنا . وهذا الامر الذي يطلبه الملك ليس نعرفه .

٣ – يهوذا – فلما سمع الملك قوسطنطين ذالك القول . امر ان يطرحوا في

---

١ – وفي س ان الملكة هيلانه هي التي افتتحت التحقيق مع اليهود فاختاروا الفًا من علمائهم . فقرعتهم على قلة ايمانهم وطلبت منهم ان يدلوها على مكان الصليب فاختاروا منهم ثلاثين . والاختلاف بين الاساطير وميمرنا دليل على انه غير مأخوذ عنها

٢ – اي يسوع لاحظ كتابة الاسم خلوًا من العين . وهو دليل على الترجمة عن اليونانية التي ينقصها هذا الحرف

٣ – في ح ٥١ ܫܠܘܡ وقد كتبها ب اولًا مثله ثم وضع الالف مكان الواو . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن اصل واحد

٤ – تنفرد ميمرنا بذكر اسماء هولاء العلماء السبعة

٥ – في ح : « فقوموا بسرعه واوروني خشبة » ونصنا اصح

٦ – افترعها بومبيوس سنة ٦٨ ق . ب من المكابيين . وخربها طيطوس في عهد والده اسبيانوس سنة ٧٠ م . ثم جاء ادريانوس سنة ١٣١ فمحا آثارها

جبٍّ ليس فيه مآ . ولا يعطوا خبز . ولا ما حتى يموتون . ففُعل فيهم كذلك . ولما كان بعد سبعة ايام وهم اسفل الجب صرخوا قايلين . ليامر سيدنا الملك بطلوعنا الى فوق ونحن نعرفه بكل ما يطلبه . فامر ان يطلّعوهم الى فوق[1] . اجاب واحد منهم اسمه يهوذا ٠[٢٣٧] وقال ليامر الملك يعطوني الما حتى اشرب . وانا اعرفك كلما تطلب[2] . فعند ذلك امر الملك بان ياتوا بخبز وما . فاطعموهم واسقوهم . فلما تقوّا قلب يهوذا بالاكل صرخ قايلاً . يا سيدي الملك المحب لله وللناس . داوود ابينا يقول بالروح الذي سمعنا عرّفناهم الذي قالوا لنا ابانا ان[3] لم تخفي عن ابناهم الى جيل بعد جيل[4] . قال ابي سمعان ان ابي يهوذا حدّثني[5] . ان في الزمان الذي صُلب فيه يسوع لما عرفوا اليهود انه قام من بين الاموات اجتمعوا براي واحد . واعطوا فضه عظيمه للحراس قايلين لهم [قولوا][6] ان تلاميذه جاو ليلًا وسرقوه ونحن نيام ولم نعلم . فابانا كذبوا على قيامة الرب من اجل عمـا قلوبهم . وبعد هـذا ظهرت قوات عظيمه في مقبرة

---

١ – وفي ح ٥٣ هذه الزيادة : «فلما اطلعوهم فاذا هم قد تغيرت اجسادهم من برودة ذلك البير لانه كان عميق جدا الى اسفل الارض » . ولا ضرورة لهذا الشرح

٢ – في س ان الملكة هيلانه لما ضايقت العلماء المسماة امرَ اليهم يهوذا انه يعرف مكان الجلجلة فقدموه لها . ولما سألته أبى ان يبوح بشيء فطرحته وحده في الجب . فانت ترى الفرق بين هذه الاساطير وميمرنا . اما الميمر القبطي فيقترب منه بقوله ان اليهود قدموا لقسطنطين سبعة من علمائهم اكبرهم يهوذا . وبعد ان انكروا معرفة بمكان الجلجلة وطرحهم في الجب قدموا له يهوذا المذكور قايلين : هذا الشيخ اكبر سنًّا منا وعنده الكتب والتواريخ .

٣ – لعل الاصل « اننا »

٤ – وفي ح : «الذي سمناهم عرفناهم . الذي قالوا لنا ابانا لم يخفوا عن ابناهم الى جيل آخر »

٥ – في س ١٥ : « حدثني والدي سمان عن الكاهن زكي (الذي هو نيقوديموس ووالد اسطفانوس اول الشهدا) ان المسيح صُلب ظلماً وان اسطفانوس رُجم بغير ذنب موجب» . وفي س : ١٤٦٤٤ من المتحف البريطاني : « سمعت ابي سمان يقول نقلا عن جدي زكي . . . » فالاساطير تسمي جد يهوذا « زكي » وميمرنا يسميه يهوذا

٦ – عن ح ٥٣ وقد سقطت في نسختنا

يسوع حتى انه اقام الموتى والمقعدين يمشون . واخرج الشياطين من الناس . فمن اجل هذه حسدوه اليهود ونادوا بهذا القول الذي فكروه . قايلين. كل اليهود الذي باورشليم وما حواها[1] اذا كنسوا تراب يرماوه على مقبره يسوع . وكانوا يصنعوا هذا زمان طويل الى ان جا [٢٣٨] اسبسيانوس ملك الروم[2] . وقتل جنسنا[3] . ولم يزالوا يفعلوا هكذا حتى عاد تل عظيم .

٤ - الجلجلة - والك الدليل عن هذا في اناجيل يسوع المسيح . يدل باي موضع جُعل فيه . وللوقت امر الملك بان ياتى له بالاناجيل . فقرا فيهم فلم يجد فيهم شي سوى انه يقول انهم مضو به الى موضع الجلجله الذي هو موضع الاقرانيون[4] . وصُلب هناك . والقبر ايضا الذي وضع جسده فيه هناك[5] . فاجاب الملك وقال ليهوذا عرِّفني موضع الجلجله . وانا اطلق سراحك . فاجاب يهوذا وقال . ان راا سيدي الملك يتمنا ويجي معي فانا اوريه الجلجله الذي هي موضع الاقرانيون .

وللوقت قام الملك والمجد لله والدته علانه . وجميع عظمايه ومضى بهم الى الجلجله . وطلع بهم الى تل عالي[6] على كل المدينه قدر ماية

---

١ - وردت هكذا في كلتا النسختين ، وترجمته [illegible] « وما حولها »

٢ - ملك من سنة ٦٩ حتى ٧٩

٣ - وفي ح : « قتل من جنسنا ناساً كثيرين »

٤ - قلنا انها كلمة يونانية [Greek word] ومعناه جمجمة . وقد وردت في اناجيل متى ويوحنا ومرقوس . ففي متى ٢٧ : ٣٣ « ولما بلغوا الى مكان يسمى الجلجلة الذي هو موضع الجمجمة » . وفي مرقس ١٥ : ٢٢ « أتوا به الى موضع الجلجلة الذي تفسيره موضع الجمجمة » وفي يوحنا ١٩ : ١٧ « فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع المسمى الجمجمة وبالعبرانية يسمى الجلجلة » . فانت ترى ان المترجم العربي ترك كلمة جمجمة على اصلها اليوناني وجاء العرب فاضاف اليها ال التعريف مع انها [illegible] في اليونانية

٥ - وفي ح ٥ : هذه الزيادة « والصليب داخل القبر » ولا ذكر الصليب في الاناجيل ، فهي اذاً دخيلة كغيرها من الزيادات الخاصة بهذا [illegible]

٦ - في ح تال حاله وكانت هكذا في نصنا ، فكشط الناسخ اللام الثانية من حرف ل ووضع مكانها ياء فصارت عالي [illegible] وهو من ذلك [illegible] عن اصل ، واحد كما قدمنا

ذراع[1] . يجري قدره عشرين فدان[2] . فقال يهوذا للملك هذه هي الجلجله على قدر امتك . وعلى قدر لسانا نحن العبرانيين كافانا[3] . وان قوسطنطين الملك لما راا ذلك التل العظيم وذلك الموضع القفر . تلف جدا . فلما راه يهوذا . وهو حزين القلب . اجاب وقال له [٢٣٩] لا يحزن سيّدي الملك فان الاستطاعه لتاجك ان يكون الذي طلبته . ويتم ارادتك . من اجل ان جنسنا هم الذي صنعوا هذه الشرور . ارسل الآن في مملكتك كلها . بان ياخذوا جميع اليهود[4] . ويأتوا بهم الى ها هنا . هم وبهايمهم وجميع الة الحفر معهم[5] . لان ابانا هم الذي ردموا . والابنا يرفعوا . فابانا اكلوا الحصرم . واسنان اولادهم ضرسوا[6] .

٥ - رفع الردم – وان هذا الراي وافق الملك وعظمايه . وللوقت كتب الى جميع مملكته قايلا . هكذا انا قسطنطين المرتبط[7] تحت رجلي سيدي يسوع المسيح . الاله العظيم الحقاني[8] . اكتب الى عُظما المدن بكل مكان وجميع بلادهم كل مدينه وتريه . يكون فيها عشره رجال الذي تحت سلطان مملكتي الى ان تاخذوا جميع اليهود السكان عندكم وترسلوهم[9] الى اورشليم . ومعهم

---

١ – هذا لا يعني ان الردم كان مئة ذراع بل ان التل كان يعلو على المدينة مئة ذراع .

٢ – قياس للمساحة مختص في القطر المصري ولم يدخل الى لبنان الا بعد الاحتلال المصري سنة ١٨٣١ وهو [illegible] حتى الان يسمون بالفدان الثور . فوجودها في النص دليل على تعريبه في القطر المصري كما قلنا

٣ – عن السريانية ܓܓܘܠܬܐ أعني الصخرة وتدعى ايضاً في العبرانية [illegible] ومنها جاءت كلمة جمجمة عربية وGolgotha في اللغات الغربية . راجع معجم Vigouroux عند هذه الكلمة . لاحظ ان كتابتها في العربية مخالف للفظها انما مطابق لكتابتها في السريانية . وهو من دلائل الترجمة عن هذه اللغة كما مر بك

٤ – وفي ح ٥٥ : « بان يقبضوا على جميع اليهود غصباً عليهم »

٥ – وفي ح بريد : « ومعاديرهم واياك ومجارف » وهي دخيلة على الارجح

٦ – وفي [illegible] : « ان الابناء يتحملون تبعة مساوئ ابائهم » ولعله دخيل هنا

٧ – وفي ح : « المرتفض والمحتزم » وهو خطأ

٨ – هذا التعبير موافق لعهد الوثنية . وصيغة المنشور موافقة للأوامر الرسمية في ذاك العهد

٩ – وفي ح : « غصباً وكسراً » ولعلها دخيلة

بهايمهم وجميع الة الحفر. ومن اخفا واحد منهم او ستر عليه اهلكته هو واهل بيته[١] من العقوبه. فلما اخذوا كتب الملك[٢]. قبضوا على جميع اليهود بكل مكان. وارسلوهم الى اورشليم[٣]. [٢٤٠] وجميع الة الحفر معهم. فجاوا من كل كوره الى اورشليم. وهم خلق كثير مثل نجوم السما[٤]. وان قسطنطين الملك اقام عليهم وُكلا يكونوا ناظرين عليهم فيما يصنعوه. وترك في اورشليم من الغلمان الفين. ومن الروسا والمقدمين والولاة قوم اخر. ليحثوا اليهود كلهم على العمل في النهار والليل. حتى يكملوا ارادة الملك قسطنطين. وخلّف عند والدته اساقفة قديسين. وهم اثناسيوس رئيس اساقفة انطاكيه. وانبا يوسف رييس اساقفة اورشليم الذي هو الرابعشر الذي جلس في اورشليم من بعد التلاميذ في الختان[٥]. وانا ايضا كيريللوس انا واحد منهم[٦] لان المسيح الذي رحمني. ودخل[٧] بي الى البيعة وبشّرت باسمه المقدس.

٩ — العثور على الصليب

١ — ظهور القبر — وقام الملك المحب لله ومضى الى روميه. من اجل اهتمام المملكه. وان الملكه هلانه. دعت عظما اليهود وقالت لهم. كملوا الذي

---

١ — وفي ح : « لا يأمن ما يجرا عليه هو واهل بيته »

٢ — في ح ٥٦ : « فلما نفذت كتب الملك »

٣ — وفي ح : « وارسلوهم الى الملك الى اورشليم »

٤ — نظن ان الامر كان مقتصرًا على فلسطين

٥ — راجع ما قلناه في المقدمة في هذين الاسقفين

٦ — اي احد اساقفة اورشليم وليس احد شاهدي الاكتشاف. لانه سُقِّف على اورشليم سنة ٣٦٨ كما قلنا. وهذا تصريح واضح انه صاحب الميمر.

٧ — لعل واو العطف هنا خطأ. الا اذا اراد القول « ان المسيح هو الذي رحمني ودخل بي » فسقطت كلمة « هو » في النسخ

اراد الملك وامره . لئلا تكونوا مستحقين الموت[١] . وكانوا الغلمان يحشوهم[٢] النهار والليل لان [٢٤١] قول الملك كان قوي جدًّا[٣] . وكانوا يريدوا ان يكملوا امره . وكان اوّل يوم بدو بالعمل فيه هوذا قد اعلمناه . وهو الثاني عشر من شهر مارديوس[٤] الذي هو برمهات[٥] ولم يزالوا يعملوا فيه الى يوم الثالث عشر من شهر توت[٦] فظهرت راس المقبره . فعرّفوا الملكه قايلين اننا قد وجدنا مقبرة المخلّص . وللوقت قامت مسرعة والاساقفة معها . فجاؤو لينظروا القبر . فلما راوه . خرّوا وسجدوا عليه[٧] واذا بنور عظيم قد اشرق عليه كمثل البرق . واخذ يهوذا طوريه[٨] وجا الى جانب الحايط من شرقي المقبره . ومعه جميع الاساقفه . فحفروا عند ذلك فوجدوا حجر عظيماً[٩] . فدحرجوه . وللوقت ظهر فم القبر . وكان الوقت قد امسا ذلك اليوم . فمضوا ولم يدخلوا للغد . وكان هناك رقود في تلك الليلة جمع كثير من مومنين من الشعب وكانوا ينظروا النور يلمع كلهيب النار . الى ان اشرق نور الصباح[١٠] .

---

١ – انت ترى ان الملكة هيلانة نابت عن ابنها في الاشراف على رفع الردم وانه هو الذي فتح التحقيق ونظم العمل ، فليس لها هنا الدور الاول كما في الاساطير السريانية

٢ – وفي ح ٥٧ يزيد : « ويعينوهم » ولا داع لهذه الزيادة

٣ – وفي ح : « لان قال الملك لا ترحموهم ابدًا وكانوا يريدوا . . . »

٤ – اي شهر اذار عن اليونانية [illegible] وهو من آثار الاصل اليوناني

٥ – اسم الشهر عند الاقباط . وهو كما قلنا من دلائل التعريب في القطر المصري

٦ – في ح : « الرابعشر من شهر توت الذي هو ايلول » فقوله الرابعشر خطأ واضافة اسم الشهر الموافق له عند اللبنانيين والحلبيين زيادة من الناسخ

٧ – وفي ح : « ساجدين له »

٨ – وفي ح : « طوريه اعني معور » واسم طوريه من دلائل تعريب الميمر في القطر المصري

٩ – اي الحجر الذي كان يسدّ باب مغارة القبر . وقوله حائط المقبرة يدل على ان جزءا منها كان مبنياً الا اذا عنى جانباً منها . ولا يعقل ان تكون كل هذه التفاصيل مخترعة وهي تدل على معرفة صاحب الميمر بهيئة القبر المقدس والقبور في ذاك العهد

١٠ – كل هذه التفاصيل الواردة في الصفحات ٢٣٤ – ٢٤١ عن مجيء قسطنطين والبحث

٢ – العثور على الصلبان – فلما ان اشرق الصبح قامت الملكة[1] . وبكرت الى القبر ومعها الاساقفة وقوم من المؤمنين[2] من الشعب . ودخلوا الى القبر . ومعهم بخور كثير طيب وقناديل موقدة مملوءة[3] . وبينما [٢٤٢] هم داخل القبر . تطلعوا فراو ثلاثة صلبان موضوعة[4] مع بعضهم بعض وعليهم كتاب رق . فلما نظفوا الموضع ودخلوا الاساقفة اخذوا الكتاب الرق . فوجدوه مكتوب في العبراني[5] . فاعطوه ليهوذا يقراه لهم . والشعب كلهم يسمعون[6] . وهكذا مكتوب فيه . انا يوسف الرامي . ونيقوديموس رفعنا صليب يسوع واللصين[7] من موضع الاقرانيون ووضعناهم في القبر[8] الذي فيه جسد يسوع الذي قام من الاموات[9] . وعملنا هذا في الليل من اجل خوف اليهود . ولم يعلم احد بالذي صنعناه . لان اليهود كانوا تآمروا بان يحرقوا صليب يسوع .

عن مكان القبر والصليب ورفع الردم غير مذكورة في الاساطير السريانية . فهي تكتفي بقولها صفحة ٢١ ان يهوذا ذهب مع بعض المؤمنين الى مكان الجلجلة وصلى طويلًا وقال « اذا كان الله يريد ان يملك ابن مريم واذا كان ابن مريم هو المسيح فتتصعد رائحة بخور . ثم شمر عن حقويه ومسك فأساً وحفر فوجد ثلاث صلبان » فعل ذلك بأمر الملكة . والاساطير تغفل عن ذكر تدخل قسطنطين ولا تذكر شيئاً عن ظهور القبر . فانت ترى ان الفرق واسع بينها وبين ميمرنا فهو لم يأخذ عنها مع انها ترجع الى القرن السادس . اما الميمر القبطي فقد سقط منه كل ما جاء عن الحفر واختصر البقية

١ – وفي ح ٥٨ : « الى ان اشرق الصباح قامت الملكة هيلانه » دون ان يردد كلمة الاشراق

٢ – وفي ح : « وقوم اخر من المومنين »

٣ – وفي ح : « مملوة بخورًا »

٤ – كل هذا يؤيد ما قلناه انه يعني عمارة القبر وان الصلبان وجدت فيها لا داخل الناووس لانه لا يسعها

٥ – وفي ح : « في خط عبراني »

٦ – لم يكن الشعب يفهم الا الارامية التي تعلمها في بابل . فلعل الكتاب كان بلغة ارامية

٧ – هذا يؤيد ما قلناه سابقاً عن صليب « اللص » ان صحته « اللصين »

٨ – صُلب المسيح على الجلجلة على رمية حجر من القبر الذي دُفن فيه كما يشهد سائح بوردو الذي سافر الى اورشليم سنة ٣٣٣ . راجع كبرول ٣ : ٢١٢٥

٩ – اي ان القبر كان فارغاً لان المسيح قام من بين الاموات

ومن اجل هذا السبب انقلناهم من موضع الاقرانيون . ووضعناهم في موضع كان جسد الرب يسوع فيه وهذا الصليب الذي عليه اللوح المكتوب هو صليب يسوع المسيح[١].

٣ – اكرام الصليب – وان الاساقفه لما سمعوا ذلك القول . اخذوا الصليب . واعتنقوه وقبّلوه وجاوا به وهم حاملوه الى ان دفعوه للملكه . وانها لما اخذته اعتنقته . وجعلته في حضنها وقت طويل . وهي تقبّله . وعندها جماعه من عظما دولتها ومن المومنين [٢٤٣] وانهـا البسته غفاره كانت للملك قسطنطين[٢] .

---

١ – فصليب السيد المسيح عُرف اذًا من الكتابة. ولا ذكر هنـا للعجائب المدوَّنة في الاساطير التي استمانوا بهـا لمعرفة الصليب الحقيقي بين الصلبان الثلاثة فاعترض عليها النقدة لتناقضها. فقد ذكرت الاساطير ان الصليب عرف من اقامة شاب ميت مرت جنازته صدفة من هناك الساعة التاسعة وان الشيطان الذي كان ساكنًا في احد الحضور صرخ متهددًا يهوذا بقوله: « اني غلبتُ العالم بيهوذا الاول وغُلبت الان بيهوذا الثاني. فانا ذاهب الى ملك آخر يقتص منك يا يهوذا » مشيرًا الى استشهاده بعدئذٍ باسم قرياقوس.

وفي ح ٥٩: بعد ان ذكر ان الصليب الحقيقي يُعرف من الكتابة التي عليـه جاء بفقرة دخيلة اخذها عن نسخة لا نعرفها وحشرها بعد هذا الكلام واليك نصها: « ولكم دليل بذلك ميتًا يتوضعوا عليه فايما ما كان منهم صليب المسيح فهو يحيي الميت ويقوم من ساعته . وعندما سمعوا هذا الكلام قالوا من اين لنا ميت في هذا الوقت . فعند ذلـك اجاب يهوذا وقـال للملكة هلانة يا ايها الست الجليلة اعلمك الى امرًا وهو ربح فقالت له الملكه ومـا هو امر الشيخ قال ان في نهار امس مات في هذه المدينة ميت فامري في اخراجه من القبر واحضره الى ها هنا بين هذه الجموع واطرحي عليه الصليب الاول والثاني والثالث فايما ما كان صليب المسيح فهو يقيم الميت . فلما سمعت من الشيخ اليهودي هذا القول ارسلت الاجنـاد [٦٠] بطلب الميت والشيخ كان معهم يورجهم قبر ذلـك الميت . فلما وصلوا الى القبر فحفروه واخرجوا ميت واخذوه الى عند الصلبان وشالوا الاول ووضعوه على ذلك الميت فلم يحس معه شي . وعزلوه . . . بهر (كلمة ممحوّة لم يبقَ منها سوى الحرفين الاخيرين) ووضعوا الثاني على الميت وحين وضعوه اختلج وتحرك . فلما ابصرته الملكة هلانه اخذته وقبلته وحطته . وتعجبوا الخلق كلهم من العجب الذي نظروا في ذلك الميت انه كان يختلج ويتحرك من بعد ما كان له في القبر يوم ونصف . ولم يقدر الميت ان يقوم قايم فلوقتهم شالوا الثالث وطرحوه على الميت وللوقت والساعه نهض ذلك الميت وجلس جالس بين ذلك الخلق . وان الاساقفة لما نظروا هذا اخذوا الصليب . . . »

٢ – وفي ح ٦٠ : حشر الناسخ فقرة اخرى دخيلة لا تقل سخافـة عن الاولى لم نعد

وامرت يُلبس حلل حسنه . وامرت ايضا ان يكون ملفوف عندهـا الى ان تكتب للملك بكلما كان . وامرت الغلمان بان يحثوا على اليهود الى ان ينظّفوا المواضع جيداً. وامرت بان يحصوا جميع الذين كانوا يعملوا في التراب . فوجدوا عدتهم ثلاثة آلاف ومائة رجل من العبرانيين[1].

٤ – تبشير قسطنطين – وكتبت هلانه الملكه لابنهـا قايله . طوباك والخير

مصدرها . واليك نصها الحرفي : « وصارت توضعه على عينيها وتسجد له [٦١] وتقول له فيك يكون لنا القوة على جميع اعدائنا . وفيك يبعد الشيطان وجميع حياله عنا . وبدت ذلـك الاعوام يتباركوا منه . ورجع في ذلك اليوم خلقاً كثير من اليهود الى الله تبـارك اسمه . وقالوا نحن مومنين بك يا يسوع ابن الله الذي اظهرت لنا صليبك المبارك في هذا الوقت . فلما تباركوا من الصليب المعظم عند ذلك امرت الملكة لجميع الاجناد والمقـدمين والعساكر ان يجلسوا ولا احد يتكلم بكلمة حتى تسايل هـذا الرجل الذي كان في تلك الـدنيا وكيف حالها . عند ذلك قالت له الملكة ايها الرجل اخبرنا ايش كنت تبصر من قبـل يجيك هـذا الصليب وقوته . عند ذلك قال لها الرجل ايها الست القويه اني كنت في هوته عظيمه وليس كان لي راحة في هذا اليوم ونصف الذي بت في القبر . وفي تلك الهوته عوالم كثيره . وناس معلقين بالسنتهم في لهيب النـار . ومنهم من هو مربوط اليدين والرجلين وهو ملقى في قعر تلك الهوته ولما كنت انا في تلك الهوته ولم كنت حسّ ولا ادري الا وقد ابرق علينا برق عظيم فسقطوا الكل على وجوههم [٦٢] ايضا وخمدت عنا النار وما رايت الا وشي خطفني من بين ذلك النار حتى حطني في هذا الموضع . وما كنا في تلك الهوته الا من طغيان اجماتنا حين صلبوا المسيح ابن الله . وكل اليهود مطروحين في تلك الهوته العظيمه وصوت يقول ا بن اقول لكم لان لم يكون عليكم رحمة الله طول الدهور . قالت له الملكه وما بالك فزعان . فقال لها من ما ابصرته من العـذاب المرهوب . ولكني انـا مومن بايسوع المسيح ابن الله الحي الازلي الذي صلب وقام بعد اليوم الثالث انا مومن به انه الاه الحق الاه الاحيـا والاموات والاه الخلايق كلها . وبعد هذا القول امرت الملكه هلانه ان يلبسوا الصليب . . . »

١ – وفي الاساطير صفحة ١٢ ان عدد اليهود السـاكنين في ضواحي اورشليم كان ثلاثـة الاف . ولم يكن منهم احد في المدينه لانها كانت خراباً .

ولاحظ ان المسيحيين الحاضرين لم يعنوا بتكريم القبر كما أكرموا الصليب الـذي سفك المسيح دمه عليه . ولعل هذا سبب قلة قسطنطين لمكاريوس اسقف اورشليم باكتشاف علامـة او اداة الالآم ، اي الصليب والمسامير ، وسكوته عن ذكر القبر ذكراً خاصاً . لان اكتشـاف الصليب كان يعني اكتشاف القبر ، وكان يفوقه قيمة لدى المؤمنين .

يكون لك[١] . طلبت يا ابني الحبيب فوجدت . وقرعت ففتح لك باب قيامة الرب[٢] . ووجدت الذي العالم كله لا يستحقه . اعني الصليب المقدس. صليب سيدنا يسوع المسيح . طوباك يا ابني الحبيب . لانك تركت عنك اهتمام العالم. وقنياته الباطله . حتى وجدت ما هو افضل من جميع الذخاير . وجميع الاحجار والجواهر النفيسه . اتعنا يا ابني وتعال لتعاين لابس الاله . ايضاً هو الذي الاله البسه[٣] . فاذا رايته في حسنه وجماله . شبابك يتجدَّد مثل النسر[٤] . تعنا يا ابني وتعال لترتل وتسجد وتقبِّل الصليب الذي رايته باعلان [٢٤٤] وهو يعطيك الغلبه في الحروب كلها[٥] .

٥ – سجوده للصليب – فلما اخذ قوسطنطين الكتاب وقراه . وعلم انه قد وجد الذي يطلبه عند ذلك فرح بسرَّه . وقام بسرعه وجا الى اورشليم . فلما سمعت والدته والاساقفه ان الملك اتا . اخذوا الصليب المجيد والبسوه غفارة الملك وحللاً فاخره . ورفعوه على بغله . واتو به اليه . وان الملك لما راه نزل من على مركبته واخذه وجعله في حضنه . وبكا عليه . ورفع عينيه الى السما . وقال اني رايت الرب اله اباي اليوم في سفر الجسد يصنع عجايب عظيمه بالذي استراح عليه اعني الصليب معطي الحياه[٦] .

١ – تركيب غير عربي . وفي ح ١٣ يزيد : « لان الذي طلبته من الرب وهبه لك »

٢ – اي باب المقبرة الذي خرج منه المسيح لما قام

٣ – تركيب غريب . ولعله يريد الذي لبسه الاله اي امتد عليه

٤ – ولد قسطنطين في سنة ٢٨٠ او قبيلها فيكون في السادسة والاربعين حين اكتشاف الصليب

٥ – وفي ح ٦٣ هذه الاضافة الدخيلة : « اسرع وتعال اتبارك من هذا الكوكب المضي . ونوقتها اطوت الكتاب وارسلته مع خامس عشر فارس وساروا حتى وصلوا الى روميه الى عند الملك قسطنطين . وقرى الكتاب وفهم ما فيه وما ذكرته امه من اجل الصليب المعظم وكيف وجدوه . وكيف كان خروجه من المزبلة والعجايب الذي صارت [٦٦] . فلما فرغ من قرية الكتاب . امر ان ينادوا في مدينة رومية يا معاشر النصارى قد امر الملك ان تمضوا الى اورشليم لنسجد للصليب ونتبارك منه . فلما اصبح الصباح شدت العساكر والجيوش وخرجوا سايرين ليلهم ونهارهم حتى وصلوا الى مدينة اورشليم . فلما سمعت امه . . . »

٦ – وفي ح : ٦٦ يقع قبل كلمتي معطي الحياه هذه الفقرة الدخيلة : « واما العساكر

وكان الاساقفه والذين يرتلون ماشيين قدام الملك وهم يرتلوا بتسابيح روحانيه الى ان وصلوا الى داخل المدينه . فلما دخلوا الى باب المدينه . قالوا هذه التسبحه . افرحي يا صهيون مدينه الملك العظيم يسوع المسيح . فهوذا الملك وعظمايه قد اتوا اليك فارحين وهم يمجدون الملك الرب[1] الذي ملك على العود .

وان الملك مضى الى الموضع الذي كانوا يعملوا [٢٤٥] فيه . فدخل الى القبر وسجد قايلا ووجهه على الارض . اشكرك يا وحيد لاب من اجل انك جعلتني مستحق ان اسجد في المكان الذي جُعل جسدك فيه . وابصر المواضع كلها الذي يصفوها[2] اليهود . ومضى الى موضع الاقرانيون موضع صُلب الرب فيه . فسجد ايضا عليه .

١٠ — بناء الكنائس

١ – تنظم العمل – وبعد ذلك اخذ الصليب وجعله داخل القبر حتى يبني له

والجيوش تقدموا الى الصليب ونكسوا روسهم وسجدوا له وتباركوا منه . وقال قسطنطين الملك انا مومن فيك يا ابن الله الذي وهبت لي هذا الصليب الذي فيه اغلب اعداي وفيه اسحاق (اسحق) الشياطين [٦٥] جميعهم قدامي وهذا الصليب الذي ابصره موسى النبي في فردوس الرب في شبه الشجره الذي كل الدنيا مستوره تحت ظلاله هذا الصليب هو علامة دين النصرانية . هذا الصليب مقوي الضعفا . هذا الصليب هو غلبه على ابليس . هذا الصليب هو سلاح القديسين . هذا الصليب هو نزع الشياطين . هذا الصليب هو فرح الادميين . هذا الصليب هو مقاتل الاعدا . هذا الصليب هو سيف الرهبان . هذا الصليب هو حافظ الاطفال . يا اخوة الصليب المقدس هو زينة النصارى . هذا الصليب هو قوة الدنيا . هذا الصليب يفتح الابواب المغلقة . هذا الصليب هو الذي يغلق الابواب في وجه المضاده هذا الصليب هو الذي يقود القديسين الى ملكوت السما . هذا الصليب هو يحفظ النصارى من قتال الشياطين . هذا الصليب زين الصبيان . هذا الصليب هو لنا مثل العجره على النهر . هذا الصليب [٦٦] يحفظنا من فخ المضيه . وفي ذلك الوقت صاح في اعلا صوته وقال تعالوا ايها الشعوب المومنين بالمسيح حتى نضع هذا الصليب على عيوننا وعلى روسنا وعلى ما امنا فانه لنا مثل الصور على المدينه هذا الصليب يحفظنا من الشياطين . فيجب علينا يا اخوة ان نسبح المسيح ابن الله فانه افدانا بصليبه المقدس معطي الحياة . وايضا انت المخلص في هذا الماء تعطي القوة للذين يطلبونك . فلما فرغ الملك من هذا الكلام وكانوا الاساقفه والذين يرتلون . . . »

١ – في ح سقطت كلمة « الملك »

٢ – في ح ٦٧ : « وصفوها »

كنيسة كاستحقاقه . وقال للاساقفة . اني ابني مدينة جديدة . في الموضع الذي حطوني من السحابة لما خلصني الرب من الفرس . لما ارادوا ان يقتلوني[١] . وايضا ابني كنايس لتمجيد المسيح وصليبه المقدس . فقالوا له الاساقفه الرب يحفظ تاجك بقدرته زمان طويل بالسلامه . يا ايها الملك حتى تكمل ما قد ضمرت به . وانه جمل صناع في جميع الكنايس وكل واحد منهم في صنعته وشغله . وجمل اساقفه على الاجرا كلهم[٢] . واعطا ايضا لوالدته اموالًا كثيره من عنده[٣] لتنفق منهم على بنيان الكنايس[٤] [٢٤٦] وامر ان ياتوا اليهم باشيا كثير من اصناف الحجاره الكريمه من البلور وغيره . ومن جميع الاخشاب الزكيه . من العاج وغيره . والنحاس والفضه . ورصاص كثير جدا . حتى يحصنوا[٥] جميع الاماكن .

٣ – كنيستا القيامة والصليب – وسلّم الامر لوالدته في اورشليم حتى تبني الكنيسه موضع المقبره[٦] ويدعوا اسمها القيامه المقدسه[٧] المحييه بالسلام . وتبني كنيسه اخرا وتدعوا اسمها على اسم الصليب . حول الاقرانيون[٨] . وجعل الابواب من عندك . ورجع الى مدينته بسلام وهو[٩] يمجد المسيح وصليبه المقدس .

١ – ... يشير الى الملائكة الذين رآهم شاهرين السلاح يطاردون عدوه .
٢ – ... مكاريوس اسقف اورشليم الاشراف على زخرفة كنيسة القيامة ، كما ... النور .
٣ – ... تصرفها خزينة المملكة كما سبق القول . وفي ح : « من ماله »
٤ – ... اوسابيوس ... انها بنت ايضاً كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون .
٥ – ... « يحصنوا »
٦ – نرى ان القديسة هيلانة اشرفت فقط على بناء هذه الكنيسة ولم تقم ببنائها كما فعلت في كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون
٧ – ...
٨ – ... ان الكنيسة قبر المسيح ، وغربًا على رمية حجر معبد الجلجلة ، وفي اسفله على ... الكنيسة الصليب حيث اكتشف الصليب حسب الرواية الحديثة
٩ – في ح ٦٨ : « وهو مبتهج بمجد الصليب »

وارسل الى يورشليم جميع ما يحتاجون اليه . وكانوا العمالين كثيرين جدا . حتى انك تقول انهم اكثر من الذين كانوا يعملون في هيكل سليمان في ذلك الزمان . فكمّلوا الكنايس المقدسه . وزينوهم بكل حسن . وعادوا كمثل ملك السما في حسنه . وكرّزهم انبا يوسف اسقف المدينه . ومعه اساقفه كثير ارثوذكسيين[1] جآو لتجديد الصليب المقدس[2] . واليوم الذي كرّز فيه كنيسة القيامه في الرابعشر من شهر ايلول[3] الذي هو يوم ظهور الصليب المقدس والقبر المجيد . [٢٤٧]

٣ – صليب النور وجوذا – وعمّدوا يهوذا هو والذين معه على يدي الاب انبا[4] يوسف . وعاد هذا يهوذا رجلا مصطفى جمع كثير من الامم واليهود وتعمّدوا . ولما كان الوقت ليكمّلوا القرابين المقـدسه . ظهر صليب نور من على مقبرة يسوع . وكان ذلك من اول النهار الى الساعة التاسعه[5] منـه . وكل الامم الذين في اورشليم . وما حولها . كانوا ينظروه . وطلع الى السما . في الساعة التاسعه . وكل احد ينظر اليه . وكانوا يحزن قلت قـايلين في نفوسهم انهم لا يعاينوه دفعه اخرى . فلما كان الغدّ وقت الصبح جاو الى المقبره يصلّوا . فرآو صليب اخر داخل القبر وهو يلمع كالبرق . فلما راا الاب انبـا يوسف هذا الامر والاعجوبه كتب هو والملكه كتاب الى الملك قسطنطين ليعلمه ما كان[6] . وانه لما سمع ذلك مجد الله وصليبه المقدّس . ومن بعد هـذا تنيّح

١ – جاء في اوسابيوس (ك ٤ ف ٤٣ ع ٤٥٤) ان تدشين الكنيستين كان في سنة ٣٣٥ بحضور الاساقفة العائدين من مجمع صور

٢ – لعله يريد « لتمجيد »

٣ – في ح ٦٩ : «من شهر توت» والاصح كما جاء في ق ١ : «السابع عشر من شهر توت» الموافق للرابع عشر من ايلول

٤ – وفي ح : «الاب الارثذكسي» . وفي الاساطير السريانية ان الملكة هيلانه استدعت اوسابيوس اسقف رومية فعمد جوذا

٥ – على الحساب الشرقي اي الثالثة بعد الظهر

٦ – يظهر ان هذه الاعجوبة غير التي ظهرت في بدء اسقفية القديس كيرلس حوالي سنة ٣٤٨ وكتب عنها رسالة الى قسطنس ابن قسطنطين . ولعل هذه الفقرة دخيلة او محرفة

القديس الاب انبا يوسف . واقاموا عوضه يهوذا . وهو الخامس عشر من بعد الابا الرسل في الختان[1] . وعاد يهوذا في اسقفيته مكرّم من اجل امانته الارثذكسيه . ولما تنيّح ايضاً يهوذا . اخذ اسقفيته . واحد يقال له [٢٤٨] مرقوس . وهو اول من عاد اسقف لاورشليم . بغير ختان .

١١ — عبادة الصليب

١ – كيفية عبادة الصليب – وانا قلت هذا لمحبتكم[2] يا احبابي . حتى اعرّفكم كيف معنى تعبدكم لظهور الصليب في الرابعشر من شهر ايلول[3] . وهوذا الان الامر ظاهر من القول الذي قلته لكم ان ظهور الصليب هو في الرابعشر من شهر ايلول[4] . وتجديد الكنيسة المقدسة كنيسة القيامه ايضاً الرابعشر من شهر ايلول[5] . وهولاي شرحناهم لكم لتمجيد المسيح وصليبه المقدس . والان

---

١ – في الاساطير السريانية ان الملكة اوعزت الى اوسابيوس اسقف رومية فقام يهوذا اسقفاً على اورشليم باسم قرياقوس بعد وفاة الانبا يوسف . وسألت قرياقوس المذكور ان يبحث لها عن المسامير التي استعملت لصلب المسيح . فقصد الى المكان نفسه وصلى فظهر له نور فوق المكان المخبئة فيه وشاهد المسامير تلمع كالشمس فحملها الى الملكة التي صاغتها لجاماً لفرس ابنها يحرسه في الحرب . وتختم الاساطير بقولها «هذه هي حكاية اكتشاف الصليب للمرة الثانية سنة ٣٩١ه»، مشيرة الى اكتشافها للمرة الاولى على يد بطرسية كما سبق القول . فانت ترى ان لا ذكر في ميمرنا لاسقف رومية ولا لقرياقوس ولا لاكتشاف المسامير التي سبق فقال انها خبئت مع الصلبان . ويذكر الميمر القبطي اكتشاف المسامير بالطريقة عينها على يد يهوذا الذي تسمى قرياقوس . مما يثبت ان مصدر ميمرنا غير مصدرها ويرجح انه اقدم منها عهداً لانه لم يأخذ عنها

٢ – وفي ح ٧٠ : « لاخوتكم »

٣ – وفي ح : « شهر توت »

٤ – وفي ح ٧١ : « شهر توت على راي المصريين » وقد كتب ناسخ ب : « على راي شهور » ثم شطب عليها بينما ح يكتبها كاملة . وهو من دلائل نسخ الاثنين عن اصل واحد ويبدو الظن الذي يطرق على الذهن في ان النص الحلبي منسوخ عن نص بكركي الاقدم منه عهداً بقليل

٥ – جاء في سياحة اثيريا الاسبانيولية ان الاساقفة ادمجوا عيد ارتفاع الصليب بعيد تدشين الكنيسة لان الصليب ظهر في اليوم المذكور . راجع كابرول ٣ : ٢١٢١ ولعل الناسخة فهمت بعكس الحقيقة . فالميمر هنا يقول انهم احتفلوا بتدشين الكنيسة يوم عيد ظهور الصليب . يؤيد

فلنكفّ ها هنا من القول تُقرّب الى الاهتمام بالمعموديه المقدسه . والقربان في دفعه واحده[1] . لان الوقت قد اقترب . وايضا من اجل تعب الذين اتوا الينا اليوم الى هذا الموضع المقدّس[2] . فمجّدوا الاله عمنوايل يسّوع المسيح وصليبه المقدس المخلّص للذين يؤمنون به . يا احباي لا نكون نعبد الصليب المقدس بتواني . ونوجد اننا نعبد المسيح بلساننا لا غير . ونبارك بافواهنا ونفكر بقلوبنا بكثرة الالهه الذي لسلامم الوثنيين[3] . ايش هو الكلام ام ايش هو فكر القلب . وما هو اعتقاد اللسان . الا الايمان الكامل الذي من القلب[4] .

٢ – التحذير من الاريوسيين – [٢٤٩] يقول بعض الحكما من اجل دابه في البريه يقال لها حملًا او فهدًا عظيم هايل جدا من قدامه يشبه الحمل . ومن خلفه يشبه الثور . حتى انه يقطع قلوب الشجر العوالي . ويا كلهم . ولوانه

هذا ما شرحه سابقًا عن ظهور الصليب اولًا في ١٤ ايلول واعتماد قسطنطين ثانيًا على بناء كنيسة فوق الجلجلة حيث القبر ومكان الصلب . وتدشينها بعدئذ في ١٤ ايلول يوم ظهور الصليب .

فان صح هذا ، ونحن اقرب الى تصديق القديس كيرلس من السائحة اثيريا ، سقط البرهان الذي ادلى به الاب كلير والقائلون قوله « ان الصليب لم يكتشف قبل سنة ٣٣٥ لانه ظهر في احد اعياد تدشين الكنيستين اللتين دشنها الاساقفة الماندون من مجمع صور سنة ٣٣٥ المذكورة » راجع كابرول ٣ : ٣١٢٧ . ومع ذلك فكلام اثيريا لا يعني حتمًا ان الصليب وجد بعد تدشين الكنيستين المذكورتين بل ان الصليب ظهر في اليوم الذي عُين لتدشينهما « لان صليب السيد وُجد في اليوم نفسه » quoniam crux Domini inventa est ipsa die فنفهم من هذا ان عيد التدشين عين في يوم ظهور الصليب لا بالعكس كما فهم الاب كلير ومشابهوه

١ – جاء في المؤرخ سوزومين ان عيد التدشين اصبح من الاعياد الكبيرة التي يُمنح فيها سر المعمودية . وغاية القديس كيرلس من ادماج الحفلتين اكتساب الوقت الذي ذهب باطالة العظة . ولما كان اسقف اورشليم فقد كان من حقه الاشراف على نظام الحفلة وتغيير البرنامج عند الضرورة . راجع في عيد التدشين سوزومين مج ٢ ع٢٦ وكتاب فنسان وآبيل Vincent et Abel عن اورشليم مج ٣ ص ٢٠٤

٢ – هذا الاستدراك مع ما سبق ينفي تلفيق الميمر كما سبق لانه ابن ساعته .

٣ – هذا يدل على ان ظل الوثنية لم يتقلص بعد من الوسط الذي يعيش فيه سامعو العظة . مما يوافق اواخر القرن الرابع كما سبق القول

٤ – في ح : « او ايش الايمان الكامل الذي للقلب »

نقط[١] هذا هو نجس في قلبه وجسده . هكذا الهراطقه الغير مومنين . لا يثبتوا فكر واحد . يرفعوا القرابين على اسم المسيح . وهم يجعلوه انسان لا غير[٢] . ان كان المسيح انسان وليس هو الاه يا ايها الهرطيقي . فلماذا تعبد انسان ولا تثبت بفكر واحد بعد قليل تقول المسيح ليس هو الاه[٣] . فغضبك ايها الهرطيقي هي علامة الامانه الارثوذكسيه الذي انت تهرب منها . وفكرك يقول انك تاكل من الاشجار الجيده والرديه . الذي هو انك تقرا في الاناجيل وتعرف كلامهم وتجعلهم كمثل قضيب الشيح الكثير الغش تعكزوا عليها . فلا تذكروا يا احباي كلام الهراطقه . ولا تدخلوا كنايسهم . وتصلوا فيهم . لان ليس لهم كنايس[٤] . لكن اجعلوا لكم فكر جيد . وامانه مكمله بالله . وصليبه المقدس . ونقول ونعترف بلساننا وقلبنا ان عمنوايل اله بالحقيقه . لانه هو الكاهن . [٢٥٠] وهو القربان[٥] .

٣ – اعتاد اسحاق – وانت ايضا يا اسحاق السامري[٦] الذي تريد ان تكون من قطيع سيدنا ايسوع[٧] المسيح بالمعموديه الذي تاخذها بكلام الله[٨] . وانت

---

١ – وفي ح ٧١ : « ولونه نقط » اي منقط وهو اصح . والارجح انه يشير هنا الى الزرافة التي تأكل الاشجار العوالي ولونها منقّط . ولم يكونوا يعرفونها في فلسطين بل يظنون انها خرافة وثنية

٢ – يقصد هنا الاريوسيين وهو من دلائل القاء الميمر في ابان استفحال امرهم بين اواسط واواخر القرن الرابع كما بينا سابقاً

٣ – اي اذا انكرت الوهية المسيح وعبدته في آن واحد اصبحت وثنياً تعبد انساناً بصفة اله

٤ – لم يكن الاريوسيون يرغبون في ان يتميزوا عن بقية المسيحيين لا بطقوس ولا بكنائس خاصة كما قلنا

٥ – فكرة متواردة في مواعظ القديس كيرلس كما قلنا

٦ – يعود القديس كيرلس الى تكميل قصة اسحاق السامري الذي اهتدى لما شاهد اعجوبة الصليب في بئر حقل يندوم

٧ – ايسوع حسب كتابتها في اليونانية

٨ – وفي ح : « بالمعمودية الذي تأخذها كلام الله او فتقول مع انبا واكس الفس وانت تومن . . . » ولا معنى لهذه الزيادة

تومن بكل قلبك . فاقترب الى موضع الاعتقاد[١] لتاخذ باسمانه وُطهر . فان كنت تثبت رايك ونيتك وقلبك للمجي تعال . وتكمل ارادتك[٢] . فصرخ اسحاق بصوت عظيم وقال انا اومن واعترف بان المسيح يسوع ربي هو ابن الله الحي . وهو تجسّد من مريم العذرى الطاهره . ووُلد في العالم وصلب عنا وقبر وقام في اليوم الثالث . وصعد الى السموات . وجلس عن يمين الاب . وايضا ياتي بمجده العظيم ليدين الاحيا والاموات كل احد كاعماله[٣]. فلما آمن اسحق هكذا بقلب مستقيم وكل الذين معه تعمّدوا باسم الاب والابن وروح القدس. ورجال ونسا كثير من الامم امنوا وتعمّدوا في ذلك اليوم.ومجدوا الله وصليبه المقدس.

فعظيماً هو مجد الاهنا . والمجد الذي لجنسنا . نحن النصارى[٤] حتى نكون نشبهه في جميع اعمالنا الذي نصنعها . ولنرافقه في كل حين . ونكرم الصليب المقدس من اجل الذي ارتفع [٢٥١] عليه سيدنا يسوع المسيح . الذي له المجد ولابيه الصالح وروح القدس الى ابد الابدين امين امين[٥].

رحم الله من كتب ومن قرى ومن سمع وقال امين امين[٦] . . .

١ – وردت هكذا في كلتا النسختين ونظنها تحريف « الاعتماد » لتشابه الميم والقاف في السريانية وهو من دلائل نسخ الاثنين عن نص آخر كرشوني.

٢ – وفي ح : ٧٣ « تعال لتتم وتقول وتكمل ارادتك » ونصنا اصح

٣ – هذا النص مطابق لنص قانون الايمان القديم المستخرج من عظات القديس كيرلس والذي كان خاصاً بكنيسة اورشليم .وهو يقف وسطاً بين قانون مجمع نيقية سنة ٣٢٥ وقانون مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ . راجع مقالة الاب لباشله Le Bachelet في معجم اللاهوت ڤاكان ٣ : ٢٥٤٠

٤ – قلنا ان المسيحيين القاطنين في اورشليم في القرن الرابع كانوا يدعون نصارى نسبة الى الناصرة وطن المسيح كما جاء في الاساطير السريانية

٥ – وفي ح ٧٦ يزيد : « وعلى الدوام امين »

٦ – هذه الجملة للناسخ

المؤسسات الفينيقية الاولى*

بقلم الامير موريس شهاب
امين دار الآثار اللبنانية

اسم فينيقية

لقد اعتدنا ان ندعو « فنيقيين » سكان الساحل السوري من مصب العاصي الى جبل الكرمل . ولكن يظهر ان « الفنيقيين » انفسهم لم يتسموا بهذا الاسم الا في العصور المتأخرة، اي لبضعة قرون قبل المسيح .

وقد قال بعض العلماء ، ومنهم سيت خاصة ، ان الفنيقيين هم ذاك الشعب الاسيوي الذي ذكرته النصوص المصرية باسم «فنكو» . على ان هذا الرأي لا يدعمه الا القليل من المريدين حتى ان علماء المصريات انفسهم يترددون في قبوله .

والظاهر ان اسم « فنيقية » نشره اليونان اولاً فعمموه ، على كون بعضهم لم يجهل انه ليس بالاسم الاصلي للبلاد التي دعوها به . فكان هيكاتي يعلم ان اسم هذه البلاد « كنعان » وقال غيره من مؤلفي اليونان — وقد ارادوا ان يجسموا فونيكس — انه كان جدّ اجينور الصوري والد قدموس ، او اخاه او اسمه الفنيقي .

واذا القينا نظرةً على تلك المراسلات التي تبادلها في القرن الرابع عشر ق . م . ملوك الفنيقيين والفرعون امينوفيس الرابع ، حمو توت عنخ أمون ؛ والتي

---

* مادة المحاضرة الاولى من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » في فرع « علم الآثار القديمة » .

اكتُشف اكثرها في تلّ العارنة ، عاصمة الفرعون المذكور ، نجد ان بلاد الفنيقيين مدعوّة فيها كِينَهو او كِينَهْنو .

ثم ان الكتاب المقدّس ، في تعداده اصول الشعوب المختلفة (سفر التكوين : الفصل العاشر) يذكر ان صيدون كان ابن كنعان البكر . والحال ان اسم الصيدونيين في الكتاب يدلّ عادةً على الفنيقيين .

واذا ارتقينا الى القرن الثاني قبل المسيح نجد ، على بعض النقود المصكوكة على عهد انطيوخوس الرابع ، ان لاذقية لبنان تدعى « اللاذقية التي في كنعان »

فهل يمكن ، وقد اجتمعت لنا هذه الادلة ، ان نُنكر ان البلاد التي يهمّنا امرها كان اسمها « كنعان » .

فاذا كان ذلك ، فمن اين اخذ اليونان اسم فنيقية فدعوا به هذه البلاد ؟ هو سؤال جهدت في حلّه مخيّلات الاثريين فاتتهم بالنتائج المتعدّدة المتباينة :

قال بعضهم ، وفي مقدّمتهم ايزيدور ليڤي ، ان النعت « فنيقي » أطلق اولًا على الارض التي تحجب الأفق في البحار اليونانية . فذكروا انه ، تجاه جزيرة رودس ، يرتفع رأس من الارض اسمه فنيكس . وقد كانت منطقة الساحل الكاري المجاورة ، على بحر ايجه ، تدعى فنيكة ، ولكنها فقدت هذا الاسم فلم يُحفظ الا للدلالة على الرأس المذكور حتى عهد الامبراطورية . فتكون النتيجة ان تجّارة اليونان عند خروجهم من بحارهم كانوا اول ما يصادفون من الارض منطقة فنيكة ، وقد يكون امتدّ هذا الاسم ، في نظرهم ، شيئاً فشيئاً حتى بلادنا .

ويعدّد ارباب هذه الفرضية الامثلة المشابهة لهذا الامتداد في الاسم ، فيذكرون ان الاراسيين دعوا اولًا باسم المانية بلاد الصواب ؛ وان اسم افريقية كان يُطلق اولًا على مقاطعة رومانية صغيرة مجاورة لقرطاجة ثم امتدّ على كل القارة المعروفة . . .

على ان كل هذه الامثلة لا تقنع فريقاً آخر من العلماء . وفي رأسهم ڤيكتور بيرار . هو لا يُنكر امكان مثل هذا الامتداد في الاسماء . انما لا يرى مسوّغاً للزعم ان الساحل الكاري كان يُدعى فنيكة . فضلًا عن ان الرأس فنيكس

لا يقوم حاجزاً في نظر من يترك المياه اليونانيـة متجهاً الى الشرق . اما الامر بالضد ، فهو يظهر حاجزاً لمن يأتي من الشرق الى الغرب . وعليه فيكون من المعقول ان امتداد اسم فنيكة ، ان كان هناك امتداد ، يتّسع على الساحل اليوناني فيُسمّى هذا باسم فنيقية لا بلادنا . ثم ان فيكتور بيرار بيّن ان هناك رأساً آخر اكثر انحرافاً من الاول الى جهة الشرق يُدعى فينيكا ، واليه كان يجدر بازيدور ليثي ان يُشير لانه افضل وقعاً بالنظر الى المياه اليونانيـة . ولا يكتفي بيرار بهذه الملاحظة ، بل يعـدّد ذكر الامكنة المدعوّة فنيكية او فنيكس على السواحل الجنوبية والغربية تجاه ليبية .

وهناك فرضية اخرى لا بأس من ذكرها . وهي تستند ، في شرح اصل « فنيقية » ، الى اللغـة . فتقول ان لفظة φοῖνιξ باليونانية معناها « النخلة » وان اليونان اطلقوا هذه اللفظة على بلادنا لانهم رأوا فيها شجر النخل المجهول في بلادهم . ويؤيد هذه النظرية عدد من العلماء يظهر ان منهم الاستاذ ديسو . فيردّ عليهم البعض بقولهم ان شجر النخل قليـل جداً في فنيقيـة وليس من المحتمل ان يكون اليونان قد نظروا الى هذه الخاصة . فيعيد الاولون الكرة موردين مثلاً قرية عمشيت ، في منطقة بيلوس ، وما فيها من نخل، ذاكرين ان زراعة النخل فيها تستند ، ولا بدّ ، الى تقاليد قديمة .

وفرضية ثالثة تستند الى القصائد الهوميرية فتقول ان لفظـة φοῖνιξ في تلك القصائد تفيد اللون الاحمر الدموي . وقد يكون اليونانيون اطلقوا هذه اللفظة على فنيقية إما بسبب صناعة الارجوان المشهورة فيها ، واما للون سكانها وقد أثّرت فيهم اشعة الشمس واهوية البحار . وهكذا يقرّبون بين جـدودنا الفنيقيين وابناء العنصر الاحمر . وليس من حاجـة الى القول ان اعداء هـذه الفرضية يردّونها بحجج عديدة منها : ان كان هناك من لون احمر فيكون لا في سكان فنيقية ، انما في سكان الشمال . في اولئك الرجال ذوي الجلود الطافحة باللون الدموي وذوي الشعور المتهبة . في قوم الخيل « الاشقر » وابنـه فيدوس « الاحمر » ذي الشعر « الناري » .

اطلنا في ذكر هذه الفرضيات ـــ وهي اشهر ما عُرض في سبيل شرح اسم

فنيقية — للدلالة على ما تصل اليه مخيلة البشر ، حتى العلماء منهم ، عندما لا يكون لها ما يضبطها من الآثار الوضعية . ويكفينا ان نعرف الآن ان اصل لفظة « فنيقية » لا يزال في محيط الغوامض ، فلنهتمّ بالاسم التاريخي الذي عُرفت به بلادنا قبله ، وهو اسم « كنعان » .

اتساع ارض كنعان

تدلنا الآثار العديدة على ان هـذا الاسم لم يُطلق على الساحل اللبناني وحده . وها ان الكتاب المقدّس يطلقه على ارض الميعاد قبل وصول العبرانيين اليها . والشواهد الاثرية تبرهن ان سكان ارض الميعاد وسكان السواحل اللبنانية من نسل واحد . ولغتهم هي لغة الفنيقيين . نعرف ذلك بواسطة اسماء الاعلام ، وبنصوص الرسائل المتبادلة بين ملوك كنعان والفرعون امينوفيس الرابع ، والتي اشرت اليها قبيل هذا الكلام .

وعبادة سكان المنطقتين واحدة في معظم مظاهرها ، كما تفيـدنا نصوص الكتاب المقدّس والمكتشفات الاثرية العديدة . وكذلك القول عن آنيتهم وسائر اثاثهم . حتى انه لو اراد احد الاثريين ان يـدرس فنّ الخزف الفنيقي لكان عليه ان يبدأ لا بلبنان بل بفلسطين ، ثم ينتقل الى ساحلنا ، فلا يرى فرقاً جوهرياً بين ذينك المظهرين للفنّ الواحد .

بل ان تكوين الارض نفسه لا يضع بين المنطقتين تلك الحواجز الثلاثة التي تكاد تمنع المواصلات الا بواسطة الانهر ، والتي نراها بين فنيقية وسورية مثلاً . ونحن اذا استثنينا رأس الناقوره والرأس الابيض — وقد شقّ فيهما الفنيقيون الطرق — رأينا ان المواصلات سهلة بين البلدين ، وان جبال فلسطين القليلة الارتفاع المستديرة التكوين اقرب الى جبال لبنان الجنوبي بين صيدا وصور .

يفيدنا كل هذا ان شعباً واحداً وان منقسماً الى قبيلين ، كان يسكن فلسطين وفنيقية . ولكنّ هذين القبيلين لم يتشابها تماماً في حياتهما . وهو امر معقول بسبب ما بين البيئتين الجغرافيتين من الاختلاف ، على ما بينهما من الشبه الظاهر

من هذه الفروق بين كنعانيي لبنان وكنعانيي فلسطين أن الساحل الفينيقي ، على رغم ما فيه من المخاطر ، يصلح الصلاح كل الملاحة . ويمكن الملاحون ان يجتنبوا الاهوية الوبيلة سواء أهبت من الشمال أم من الجنوب . وذلك ببنائهم، في الجزر او الرؤوس ، تلك المرافئ الفينيقية المزدوجة، اي مرفأ الجنوب ومرفأ الشمال . وهو ما نتحققه في المدن الفينيقية حتى اليوم . فان المرفأ الشمالي في صيدا لا يزال صالحاً للاستعمال . اما المرفأ الجنوبي فيقع في جون واسع بجوار ما يُدعى بجورة الرمان . وفي صور كذلك لا يزال المرفأ الشمالي مستعملاً ؛ بينا نرى المرفأ الجنوبي ، وهو الذي دعاه القدماء بالمرفأ المصري ، عرضة للرمال تطمره شيئاً فشيئاً خاصةً منذ ان فتحت ترعة السويس ، فولدت ، على ما يزعم البعض ، مجرًى من الجنوب الى الشمال.

وكان الفينيقيون في فصل الشتاء ، عند اشتداد العواصف والانواء ، يستفيدون من مجاري الانهر القريبة من مدنهم ، فيلجأون اليها بسفنهم ويضعونها بمعزل عن الخطر . وانما لا نزال حتى اليوم ، اذا ما انتقلنا في الشتاء من صيدا الى صور ، نرى في مصبّ الليطاني عدداً من الزوارق الشراعية يلجأ بها اهل صور من خطر العواصف.

اما فلسطين فقد ظلّ ساحلها حتى ايامنا هذه غير صالح للمرافئ . فكان انّ الكنعانيين المقيمين في فلسطين اتجهوا خاصةً الى الاعمال الزراعية ، متصلين بمصر عن طريق الجنوب ، وببلاد كلدو عن طريق صحراء سورية او عن طريق الشمال . ولكن لم يكن بامكانهم ان يتصلوا بجمل مناطق البحر المتوسط الا بواسطة الفينيقيين الذين أهلتهم بلادهم للملاحة والاسفار البعيدة كما قدمنا . ولما كانت فلسطين مقفلة تقريباً بوجه ابنائها من الشرق والجنوب والغرب ، وهي عرضة للغزوات المتعددة، دُفع سكانها الى الاعمال الزراعية، والى الهرب فالالتجاء ضمن قلاعهم كلّما شعروا بقدوم فاتح جديد . فكان ان هذه الحياة اخذت تفرقهم شيئاً فشيئاً عن الفينيقيين ، وامام هؤلاء الآفاق واسعة والمجال فسيح حتى لقد كانت حياتهم اقرب الى الحياة البحرية منها الى حياة سكان الداخلية . فنتج من ثمّ ميزات فارقة بين قبيلين من

اصل واحد : كنعان فلسطين ، وكنعان لبنان . ويمكننا من الآن فصاعداً ان نسمّي هؤلاء بالفنيقيين.

اصل الفنيقيين

هل كان الفنيقيون سكان البلاد الاصيلين ، أم انهم غرباء هاجروا الى هذه السواحل فسكنوها ؟ وان كانوا من المهاجرين فالى ايّ عنصر ينتسبون ، ومن اي بلد قدموا فاحتلّوا الساحل اللبناني ؟ وهل وجدوا هذه المنطقة خالية من السكان ، ام صادفوا فيها اناساً وطنيين ؟

سنحاول الجواب الممكن عن هذه الاسئلة الصعبة ، مستندين الى ما تفيدنا الحوادث التاريخية ، والاساطير ، والمكتشفات الاثرية :

كان من عادة الفنيقيين ان ينسبوا تأسيس مدنهم الى الآلهة او الى الرجال المؤلّهين . فينشأ حول كل مدينة عدد من الاساطير تتضخّم شيئاً فشيئاً حتى تغطي ذكر التأسيس التاريخي . ونحن نرى شيئاً من ذلك اذا ما درسنا التقاليد الدينية عند الفنيقيين.

وافضل مصدر لنا في هذا الدرس ، كتاب ألّفه اوسابيوس اسقف قيصرية في القرن الرابع للمسيح ، دعاه « الاستعداد للحياة الانجيلية » ونقل فيه كثيراً من النصوص عن ديانة الفنيقيين ، في سبيل نقدها وتبيان فسادها. وقد اخذ هذه النصوص عن كتاب ألّفه كاتب وثني وُلد حول السنة ٤٢ قبل المسيح اسمه فيلون البيلوسي . وفيلون هذا ينقل معلوماته ، مترجمةً الى اليونانية ، عن كتاب فنيقي ينسبه الى سَنكونياتون ، الكاهن الفنيقي لمدينة بيروت ، الذي كان معاصراً لدمار طروادة ، اي في القرن الثالث عشر قبل المسيح.

يصف لنا فيلون الكاهن سَنكونياتون رجلَ درس واجتهاد ،ميّالاً الى النقد ، مفتّشاً عن الحقيقة . ويقول: « ان الكهنة قبل سَنكونياتون كانوا قد حرّفوا الحقيقة باختراعهم كثيراً من الرموز والامثال وبخلطهم بينها رغبةً منهم في الحاقها بحركة الكون العامّة . وهكذا وضعوا الغازاً وغوامض كثيرة في الديانة حتى اصبح من الصعب على الناقد ان يتحقق ، من خلال هذه الحجب

الكثيفة ، الحقيقة الصرفة بين الرموز والالغاز . وقد كان من فضل سنكونياتون انه اكتشف في بعض الهياكل نصوصاً سرّية ترقى الى الامونيين فاستند اليها ، واقتدى عن الحقيقة كل ما حيك حولها من الامثال الناشئة عن الاسلوب الرمزي .»

هذا قول فيلون عن سنكونياتون . على ان النقّاد كثيراً ما اتّهموا فيلون باختراع ما ينسبه الى ذلك الكاهن الفنيقي . حتى كانت حفريات راس شمرا الحديثة فكشفت عن ملحمة دينية فنيقية ترقى الى القرن الثالث عشر او الرابع عشر ق.م. افادتنا ان ما يذكره فيلون يرتكز على أسس متين من التقاليد الفنيقية .

ثم ان ملحمة رأس شمرا هذه فيها كثير من الاختلاط والغموض مما يدل على انها مزيج من عدة تقاليد ضُمّ بعضها الى بعض . وهو ما يظهر كذلك في كتاب فيلون ، فانه كثيراً ما ينسب الحوادث نفسها الى اشخاص مختلفين. وهو ما يدلنا على اننا ابعد من ان نصل الى تقليد فنيقي صرف . فلا اقل من نأخذ به كما اتانا من خلال الاساطير التي أثّرت في تاريخيته ، بلا شكّ ، ولكن دون ان تغيّر في جوهره .

ان مبدأ العبادة الفنيقية ، كما يذكره فيلون ، يستند في بعضه الى تأليه الاشخاص الذين تُنسب اليهم الاختراعات او الحوادث التاريخية . فنرى مثلاً ان من قران اليون بامرأته بيروت نشأ غلام اسمه اورانوس وابنة اسمها گي . وقد قُتل اليون في عراك بينه وبين بعض الحيوانات المفترسة ، فاحتفل ابناؤه بتأليه بان قاموا بالتقادم والضحايا . اما اورانوس فتزوّج اخته گي ورُزق منها اربعة اولاد كان اكبرهم ايل المدعوّ ايضاً كرونوس . على ان اورانوس تزوّج بعدة نساء ، فغارت گي وعملت على ضرّه . فهجرها واراد ان يهلك ابناءه منها . فكان ان كرونوس ، وقد بلغ اشدّه ، اخذ بنصرة امّه ومحاربة ابيه ، فبنى سوراً حول بيته ، وأسس بيبلوس اول مدينة فنيقية . وكان ، في بعض وقائعه مع ابيه ، قد سبى اعلق نسائه بقلبه فاعطاها زوجةً لاخيه داغون . وكانت حُبلى من ابيه اورانوس فولدت غلاماً دُعي دِمارون .

يظهر من هذه الاسطورة اثبات صريح بان كرونوس أسس بيبلوس ، وان

بيلوس اقدم مدينة فنيقية. وقد تكون بيروت ، جدّة كرونوس ؛ ودمارون ، اخوه من ابيه ، من مظاهر تشخيص المدن في الاساطير فيكون المعني فيهما بيروت ودامور.

وقد نشأت الاساطير كذلك حول تأسيس مدينة صور. واشهرها ان الجبابرة الذين دُعيت باسمائهم جبال لبنان ، وانتيلبنان ، وكاسيوس ، وبراثي ، ولدوا اخوين هما سامروموس وأوسوس . اما سامروموس فكان حضريًا سكن صور واخترع صنع الاكواخ من القصب والخيزران والبردي . واما أوسوس فكان صيادًا ، وهو اول من جمع جلود الحيوانات ، على قول فيلون البيلوسي، فصنع منها الثياب. وقد هاجت عليه الاهوية العاصفة مرّةً ، وانهمرت الامطار ، واشتعلت النار في الغابات فهرب منها . ثم اقتطع شجرة ، وفرع اغصانها . واتخذها مركبًا له في البحر . فكان اول من اجترأ على مقاومة الامواج . فغدا ، من ثمّ ، الجدّ الاعلى لذلك الشعب الذي سيؤسّس قرطاجة ، وسيدور حول افريقية ، وسيظلّ ، على اكثر من ثلاثين قرنًا ، المسلّط المطلق على الملاحة البحرية تجارية كانت او حربية.

ويرى الدكتور كونتينو ، مستندًا في كتابه « المدنية الفنيقية » الى اقوال فيلون ، ان أوسوس أسس مدينة صور او تير البحرية . لان فيلون يقول عن أوسوس هذا انه بعد ان ركب البحر اقام مسلّتين احداهما للنار والثانية للهواء، ثم عبدهما مهرقًا دماء الحيوانات التي كان قد اصطادها.

نستنتج من كل هذه التقاليد الاسطورية ان جميع المدن الفنيقية تقريبًا كانت عريقة بالتقدم عندما شاء سكونياتون ان يكتب تاريخها ، حتى ان ذكريات تأسيسها كانت قد علقت بالغموض فنسبت الى اشخاص مؤلّهة . فهل يمكننا ان نقترب نوعًا من زمن تأسيسها، وهل يمكن ان نعيّن هذا الزمن بطريقة تقريبية ؟

عندما مرّ الرحالة اليوناني المشهور هيرودوطس بمدينة صور ، في منتصف القرن الخامس ق. م. زار هيكل هركول الذي كان يوليه الصوريون اكرامًا جزيلًا ، فقال :

« كان الهيكل مزدانًا بكثير من التقادم والنذور . وكان فيه عمودان

احدهما من الذهب الخالص، والثاني من الزمرّد ساطعاً في الليل. وبينا كنت ذات يوم ، اتحدث الى كهنة هذا الاله ، سألتهم عن زمن تأسيس الهيكل. فاجابوني انه بُني وقت تأسيس المدينة . وهي مأهولة منذ الفي سنة وثلثمائة سنة .»

فاذا اعتمدنا قول الكهنة الصوريين ، وأضفنا الى ما ذكروه من الزمن عدد السنين بين هيرودوطس والمسيح ، وقع تأسيس مدينة صور في السنة ٢٧٥٠ ق. م.

ولنلق الآن نظرة على العالم القديم في ذاك العصر :

فنجد في مصر مدنية متقدّمة مزدهرة . ولكنها غير سامية.

اما في بلاد كلدو فنتحقق انه في القرن التاسع والعشرين ق. م. غزا تلك البلاد قوم من الساميين فأسسوا فيها دولة اصلها من امورو اي من البلاد السورية . وكان من اولى ملوك هذه الدولة سرغون ونارَمسين . وقد صادف هؤلاء الساميّون في كلدو عنصراً من السكان ربع القامة الى القصر، مستدير الرأس ، مربّع الذقن ، اقرب الى عناصر آسية الوسطى منه الى عناصر البلاد العربية . وهو يتكلم لغةً بعيدة عن لغة الساميين. وقد عُرف من ثمّ بالعنصر الشومري.

اما الساميّون ، الذين ظهر منهم سرغون ونارَمسين ، فكانوا طوال القامات، مستطيلي الرؤوس والوجوه ، قُني الانوف على الغالب ، ذوي لحى طويلة محدّدة. ولغتهم تقترب من اللغات التي نعرفها للساميين حتى اليوم كلغات العبرانيين والعرب.

ونحن نعلم بواسطة الآثار التاريخية ان هؤلاء الساميين ، القادمين اصلاً من بلاد أمورو ، قطعوا جبل طوروس فدخلوا آسية الصغرى . والحال اننا نتحقق في شمالي سورية ، في قبادوقية ، في القرن الخامس والعشرين ق.م. وجود جالية مهمة من الساميين ، دلتنا عليها الرقم الآجرية العديدة المحفوظة حتى ايامنا.

وكانت مصر نفسها تهدّدها هجمات الساميين حتى انها دُفعت الى الدفاع عن الدلتا تجاه هذه الهجمات.

واذا فاتنا ، في اوائل الالف الثالث قبل المسيح ، اي في الزمن الذي

يعين فيه كهان صور تأسيس مدينتهم ، نتحقق في جميع البلاد المحيطة بفلسطين دفعات سامية ، ان لم نقل غزوات . فهل توقفت هذه الدفعات الى دخول بلاد سورية وفلسطين ؟ هو ما يجيب عنه علم الآثار القديمة .

كشفت لنا حفريات فلسطين ، وخصوصاً حفريات گوزر ، تغيّرًا في العادات المدفنية . ولا يخفى ايّ مركز تحتلّ الطقوس المدفنية في حياة الشعب . فان تكريم الموتى ، بل عبادتهم احياناً ، يتقيّد بتقاليد بعيدة تمتّ بالصلة المتينة الى دين الشعب . ولا يخفى ما كانت تصطبغ به الديانات من الصفات القومية . واذًا فان التغيّر في العادات المدفنية يفيد عادةً تغيّرًا في الدين ، ومن ثمَّ تغيّرًا في عنصر السكان .

والحال اننا نرى في اوائل الالف الثالث ق. م. في گوزر ، جنوبي فلسطين ، تغيّرًا مهمًّا في الطقوس المدفنية . وذلك انه بعد ان كان من عادات اولئك السكان ان يحرقوا موتاهم اصبحوا يحتفلون بدفنهم . وقد كان من حظّ الاستاذ مكاليستر ان يكتشف ، في گوزر ، قبرًا تلا فيه الدفنُ طريقةَ حرق الموتى . وقد أُجري الفحص الدقيق على الهياكل المدفونة هناك فافاد انها تُنسب الى عنصر سامي .

وكذلك في بيبلوس فان الاكتشافات الاثرية تفيدنا وجود عنصر ساميّ جديد في اوائل الالف الثالث قبل المسيح . فان الحفريات التي أجريت في هيكل بيبلوس كشفت قطع آنية من حجر الشطوط قدّمها الى الهيكل بعض الفراعنة من الامبراطورية القديمة اي من الالف الثالث ق. م. ووُجد ان اقدم هذه القطع يحمل اسم الفرعون خاسخموي المالك في مصر في القرن الثلاثين ق. م. واذًا ، فان هيكل بيبلوس ، الذي ظلّ قائمًا عدة قرون ، كان موجودًا على الاقل منذ القرن الثلاثين .

ثم ان الحفريات دلت على ان هذا الهيكل بُني في ارض جديدة بمعنى انه لم يسبقه بناء في مكانه . والارض مكوّنة من طبقة حمراء صلصالية يبلغ سمكها في بعض الاماكن خمسين سنتيمترًا ، تفصل آساس الهيكل عن مقبرة قديمة واسعة .

وقد وُجد في هذه المقبرة نحو مائتي جرّة استُعملت لدفن الموتى من جميع الاعمار. وهي انواع. فالجرار التي دُفن فيها اولاد تبدو منتفخة البطن، وقد لا يكون لها مماسك، وهي تبلغ نحو ٧٠ سنتيمتراً طولاً. اما الجرار التي استُعملت لدفن البالغين فتظهر مستطيلة بيضوية الشكل، لها اربعة مماسك: اثنان من فوق واثنان من اسفل موازيين للاولين. ويظهر حولها احياناً زنّار يجلّلها في مستوى الثلث الاول من ارتفاعها. وقد وُجدت هذه الجرار الاخيرة منبطحة كلّها، بينا كانت جرار الاطفال تبدو على جميع الهيئات حتى العمودية. ولم نتحقق ان هناك جهةً معيّنة قُصدت في توجيه الجرار.

كانت الجثة تدخل في الجرّة من كوّةٍ تُفتح في احد جوانبها ثم تُسدّ. وقد ظهرت الهياكل العظمية داخل الجرار على هيئات مختلفة: منها ما كان منحنياً واليدان امام الوجه. ومنها ما فُكّكت مفاصله وطُرحت عظامه كومةً دون ترتيب. بل ان منها ما لم يكن تاماً سواءٌ أكان ذلك بطرح بعض عظامه، الّا الجمجمة فقد وُجدت دائماً، او بحرق بعضها.

وكان الى جنب هذه الهياكل كثير من الآنية والمعدّات وقطع الرياش. منها خاصة عدد من الآنية الخزفية المنوّعة الاشكال، والدالّة على تقدّم في الصناعة، وبعض الاسلحة والادوات الظرّانية. ثم هناك امر لفت الانظار، وهو انه وُجد احياناً مع الهياكل العظمية خواتم واقراط من الفضة، وبعض الشفرات النحاسية، وان تكن هذه الاخيرة دالة على صناعة ابتدائية بسيطة فانها تبرهن على ان سكان بيبلوس الاولين عرفوا استعمال بعض المعادن. واذاً فلا يمكننا ان نرقى بعهد المقبرة الى زمنٍ بعيد. على انّ وجود الهيكل المؤسس في القرن الثلاثين قبل المسيح على الاقل، وما نعرفه عن العادة السامية القاضية بان الهيكل يجب ان يكون في ارض عذراء لم يستعملها احد قبلهم، كل هذا يقودنا الى الاستنتاج ان الهيكل بُني في عصر كان الناس قد تناسوا فيه وجود المقبرة، تحت تلك الارض. وقد لا يكون هذا الا بعد مرور قرنين او ثلاثة.

ثم يجب ان ننتبه الى انه، وان تكن القطعة الحاملة اسم الفرعون

خاسخموي تفيدنا تاريخ وجود الهيكل ، فهي لا تفيد ان الهيكل لم يكن سابقاً عهد هذا الفرعون . وعليه فتكون المقبرة ترقى على الاقل الى نحو السنة ٣,٣٠٠ قبل المسيح.

كان من نتيجة الدرس الانتروبولوجي الذي أجري على الجماجم المكتشفة ان الشعب الذي استخدم تلك المقبرة يختلف عن الشعوب السامية ، بل هو اقرب الى شعوب دُعيت « شعوب البحر المتوسط » لانها تركت آثاراً في سواحل هذا البحر جميعها وفي جزره ايضاً.

وها اننا نتحقق في بيلوس ما تحققنا في گوزر من تغيّر عنصر السكّان حول السنة ٣٠٠٠ ق. م. اما العنصر الجديد فمعروف بفضل الآثار المكتشفة في بيلوس وفي غيرها من البلاد التي كانت على اتصال بهذا الشعب . وفي كلها نجد تسلسلاً في عبادات هذا الشعب وعاداته ، تظهر صبغته السامية في تقاليده الدينية ، وفي لغته ، وفي اعلام الاشخاص . وشكله قريب جداً من الشكل السامي المعروف . يظهر ذلك لمن تأمل التماثيل الصغيرة المكتشفة في بيلوس .

بقي ان نتقدم شيئاً فنفتش عن اصل هذا الشعب :

يقول استرابون (١٦ : ٣ و ٤) انه « كان في الخليج الفارسي جزيرتان اسمهما تير وأراد وفيهما هياكل شبيهة بهياكل فنيقية . وكان سكانهما يدعون بان الفنيقيين من دمهم . » وقد انحاز الى قول استرابون هذا عدد من العلماء وفي مقدمتهم ماسپيرو فرأى في الهجرة الفنيقية هجرة مماثلة لهجرة قوم تيرا وابراهيم الذين تركوا مدينة أور على ساحل خليج العجم ، فصعدوا الفرات ، وقطعوا البلاد السورية هابطين الى ارض كنعان.

ولكن هذه الفرضية ، على ما اثارته من الحماسة في صدور المدافعين عنها ، لا توافق التقاليد الفنيقية نفسها.

فقد ذكر هيرودوطس « ان الفنيقيين كانوا يسكنون في القديم على شواطئ البحر الاحمر ، كما يزعمون انفسهم ، ثم انتقلوا منها الى سواحل سورية ، وسكنوها . »

وفي عالم العلم اليوم عدد كبير من الاختصاصيين يميلون الى هذا الرأي عن

رأي استرابون . ولعله اقرب الى الحقيقة .

ليس من ينكر ان على عبادة الفنيقيين مسحة التأثير الكلداني . فان آلهتهم مأخوذة من العناصر الطبيعية، ومنها ما يُعبد في بلاد الكلدانيين كعشترت وادونيس - تموز . على اننا نرى ، في العصور القديمة ، الفنّ الفنيقي متأثراً خاصة بالفنّ المصري . وان يكن حدثت صلات بين الفنيقيين والكلدانيين في تلك العصور ، فلا يمكن ان يكون ذلك الا في زمن قديم كانت فيه فنون الفنيقيين بسيطة ابتدائية ، فلم يحتفظوا بشيء من اثر الفن الكلداني الذي كان مزدهراً في تلك العصور .

ومن المحتمل ان يكون الفنيقيون قد تأثروا ، في عهد سكناهم سواحل البحر الاحمر ، بأثر الكلدانيين الديني ، دون ان يحتفظوا بأثرهم الفني ، لان فنّ الفنيقيين نفسه لم يكن قد بدأ تكوينه بعد .

ونحن نعلم بالاستناد الى المكتشفات المصرية ، والى الحفريات التي أُجريت مؤخراً في بلاد الكلدانيين ، ان علاقات متينة كانت بين الشعبين في الالف الرابع ق . م . وذلك عن طريق شمالي جزيرة العرب ، على الارجح .

ثم اننا نعرف ان العبرانيين ، عندما دخلوا ارض الميعاد ، حلّوا فيها محل الكنعانيين . وان سليمان الحكيم ، عندما شاء ان يستعيد ازدهار التجارة الفنيقية في بلاد العرب الجنوبية ، حيث الذهب والحجارة الكريمة ، امر ببناء السفن في عصيون - جابر بجانب أيلة ، وطلب الى حيرام ، ملك صور ، ان يمدّه بالملاحين من صور ليرافقوا هذه السفن .

وقد جمع يوستينوس (١٨ : ٣) تقاليد عريقة عن علاقات بين المنطقتين اقدم من عهد سليمان . فذكر ان ملك عسقلان حارب الصيدونيين وكسرهم ، قبل خراب طروادة بسنة واحدة . اي في القرن الثاني عشر ق . م . عندما كان الفلسطينيون يحتلون الساحل الفلسطيني ، كما تذكرُ الآثار الراقية الى رعمسيس الثالث .

وهناك ذكر اقدم من كل ما تقدّم لعلاقات الفنيقيين بمناطق كنعان الجنوبية المدعوّة نجب ، بل لاقامتهم فيها . نرى هذا الذكر في ملحمة الآلهة التي

اكتشفت مؤخرًا في راس شمرا ، وهي ترقى الى القرن الرابع عشر ق. م. اما موضوعها فيتصل بالتقاليد الدينية القديمة الراقية الى الاصول البعيدة.

في هذه الملحمة ذكر لشخص اسمه سيباني كان السلالة السابعة للاله ايل ، اعظم ارباب الفنيقيين . وقد بنى سيباني هذا مدينة اشدود ، ورفع شاهدًا للتحالف وسط صحراء قادش.

مَن يسافر الى مصر بطريق البرّ يقطع تلك الصحراء المقفرة ، ويصادف على مائة وعشرين كيلومترًا جنوبي بير سبع محطة القسيات ، آخر الحدود الفلسطينية من جهة الصحراء . في هذه المنطقة الصحراوية تقع قادش المذكورة في نصّنا ، وهي تبعد اقل من مائتي كيلومتر عن مدينة أشدود . وقد اكتشف في القرن التاسع عشر، في محلّ اسمه عين قديرات من المنطقة نفسها ، آثار دلّت على وجود قلعة كنعانية ترقى الى الالف الثاني قبل المسيح . وليس من غاية لهذه القلعة المشيّدة في ارض صحراوية الا المحافظة على الطريق الواصلة مصر بالبحر الاحمر . ولا يخفى ما لذاك المكان من اهمية عسكرية لا تزال حتى اليوم . وقد ذكرت بلاد نجب مرارًا في ملحمة رس شمرا . وكلها تدل على ان الفنيقيين كانوا متصلين ببلاد نجب في اواسط القرن الثاني عشر ق. م. بل تدلّ ، فوق ذلك، على ان هذه العلاقات مع مناطق البحر الاحمر كانت ترقى الى عهد بعيد حتى انها اتخذت شكلًا اسطوريًا ودخلت في مجمل عقائد الفنيقيين .

وهكذا فاننا نسمع في طرَفي فنيقية المتقابلين ، وعلى مسافة فارقة تبلغ الف سنة ، الاقوالَ نفسها في ما خصّ اصل الفنيقيين. فيمكننا ، والحالة هذه، ان نميل الى جعل سكناهم الاولى ، في منطقة البحر الاحمر.

اتساع المناطق الفنيقية

: ممالك فنيقية

ومهما يكن من شأن هذا الاصل فان التاريخ يظهر لنا الفنيقيين يحتلّون الساحل اللبناني بكامله وساحل الامانوس كذلك . فتمتدّ بلادهم من مصب العاصي الى سفح الكرمل.

كانوا يؤلفون اربع ممالك مهمة ، تستقل كل منها عن الاخرى نوعاً ما ، ولكل عاصمتها إما في جزيرة او على رأس متقدم في البحر . وهي من الشمال الى الجنوب : مملكة اراد وعاصمتها جزيرة أراد ، ومركزها المهم على الساحل مدينة عمريت .

ومملكة جبيل وعاصمتها مدينة جبيل مرتفعة على قمة فوق البحر . وقد دلت الوثائق التاريخية والمكتشفات الاثرية على اهمية هذه المملكة .

اما بترون وبيروت ودامور فكانت مدناً ثانوية .

وهناك الى الجنوب مملكة صيدون المزدهرة وعاصمتها قائمة على رأس متقدم تحيط بها الجنان الغنّاء . وقد امتازت صيدون ، في التاريخ الفنيقي ، برجال الفنّ والثقافة العالية ، وادركت اوج ازدهارها في العصور الفارسية واليونانية . وان لم يكن لدينا الكثير من الشواهد الاثرية على تاريخ صيدون ، فاننا نعرف بفضل بعض المكتشفات المتفرّقة ، ولاسيما بالتي قام بها السيد كُنتُو ان منطقة هذه المملكة كانت ، في الالف الثاني ق. م. ، تتسع كثيراً فيقوم فيها عدد من القرى العامرة في الجبال المتتابعة وراءها والتي تؤلف اليوم منطقة جبل عامل . على ان هذا الازدهار توقف فجأة في القرن الثاني عشر على اثر خراب صيدون

وتفصيل ذلك ان قبائل الاخائيين القادمين من الشمال ، او سكان شواطئ بحر ايجه ، قاموا بغزوة على مصر . فلم يقوَ الفرعون على صدّهم ، فتساهل بان سمح لاحدى هذه القبائل ، ان تقيم على الساحل الجنوبي من ارض كنعان .

وهي قبيلة الفلسطينيين المعروفين في التاريخ الذين حلّوا محل الكنعانيين واطلقوا اسمهم على ارضهم فدُعيت فلسطين . ولم يلبث ان بدأ العراك بينهم وبين صيدون . لانهم كانوا يحسدون ثروتها ويضيّقون عليها افق مطامعها باحتلالهم تلك الاراضي الكنعانية . فكان من نتيجة ذلك ان الفلسطينيين هجموا على صيدون واخربوا المدينة .

عند ذلك لجأ سراةُ الصيدونيين الى صور ، وكأنهم لقّحوها بما امتازوا به من الرغبة في العمل والنشاط ، وبما حملوه معهم من الاموال . فغدت في طليعة

المدن الفنيقية تجارةً وسعة نفوذ . وسواء أكانت صور قد احتكرت منذئذ اعمال التجارة كلها التي كانت تتقاسمها ومدينة صيدون ، أو انتقل الصيدونيون اليها بجميع سفنهم ، فاننا نرى صور من ذلك العهد ، المسلطة المطلقة على البحار تبسط نفوذها على البحر المتوسط بكامله.

ثم ان خراب طروادة واضمحلال الكثير من مراكز الثقافة الايجية ، وغزوات الاخائيين القادمين حديثاً من الشمال والذين لم يكونوا على شيء من الاضطلاع بمظاهر المدنيّة الرفيعة ؛ كل هذا فتح امام الصوريين منافذ بحر ايجه. فاحتلوا سواحله ، وأسسوا فيها المحطات العديدة لتجاراتهم ، وانشأوا الهياكل لآلهتهم. ولم يكتفوا بذلك ، بل بلغوا مركزًا عالياً في ذاك العالم المضطرب ، ومثلوا فيه دور المثقفين المدنّين. يدلنا على ذلك ما ظهر من الملاحم والاساطير اليونانية في هذا العهد ، وكلها تمدح مآتي الفنيقيين . ويكفي ان نشير الى ما تذكره الاوديسية عن دقة تطريزهم وإحكام منسوجاتهم ؛ والى اسطورة قدموس بن اجينور الصوري التي تفيدنا كيف تعلم اليونان الابجدية الفنيقية ، تلك الآلة العجيبة التي اخترعها الذهن الفنيقي ، فبسط بواسطتها العلوم الرفيعة وانزلها الى مستوى البشر اجمعين.

بيد ان ملاحي فنيقية الجريئين لم يكتفوا بالتجارة مع الجزر اليونانية . وقد دفع بهم حبّ المغامرات ، والحاجة الى ايجاد منافذ جديدة لتجاراتهم ، فساروا ينشئون المحطات والمراكز على طول الساحل الشمالي للبحر المتوسط . فتقدّموا من جزر اليونان الى صقلية ، فالى جزر البليار ، فالى اسبانية . ثم دفعوا بسفنهم فقطعوا اعمدة هركول ، او جبل طارق ؛ وقذفوا بها في المحيط الاطلنطيقي ، فأسسوا قاديكس . اما في الساحل الجنوبي فقد انشأ الفنيقيون اشهر مستعمراتهم ، وعلى رأسها اوتيكة وقرطاجة مدينة التجار الاغنياء التي لم يألُ كاتون جهداً في طلب تقويضها ، في سبيل سلامة الامبراطورية الرومانية.

ولكن صور كانت قد ازدهرت ازدهارًا عجيباً واتسعت اراضيها اتساعاً فسيحاً قبل ازدهار وليدتها قرطاجة ، بل قبل تأسيسها على ما يزعم البعض. فرأينا ملكها حيرام ، معاصر داود وسليمان وحليفهما ، يهتمّ بتنظيم المدينة وتزيينها

في القرن العاشر ق. م. وكانت المدينة تقوم في ثلاث جزر قريبة من الساحل، يفصل احداها عن الاخرى سواعد بحرية ضيقة. فبنى حيرام الارصنة وطمر هذه الفواصل، وزاد في مساحة الجزيرة. وكان يقابل هذه المدينة البحرية مدينة اخرى برّية تقوم على الساحل اسمها باليتير.

وكانت المملكة الصورية تمتدّ الى البلاد الداخلية على مسافة لا بأس بها، حتى حدود المناطق التي احتلّها العبرانيون. فكان يهمّ صور، والحالة هذه، ان تمتنع من خطر جيرانها. على ان ملك هؤلاء الجيران الذي قام بتوحيد مناطقهم، وهو داود النبي، كان، لحسن حظّ الصوريين، مشغولاً بدرء خطر اقوى عليه من خطر مملكة صور. ذلك انه عندما احتلّ العبرانيون ارض كنعان وجدوا على الساحل الجنوبي شعباً حديث العهد في هذه البلاد، هو الشعب الفلسطيني. وكان هذا الشعب يقرن بشجاعته الفطرية — وقد رأيناه يخرب مدينة صيدا — رغبةً شديدة في الحصول على ارض واسعة. فاخذ داود يجمع قواه واعتاده لمحاربة الفلسطينيين، وارتاح الى محالفة ملك صور الذي كان من مصلحته ان يتحد وملك اسرائيل على العدوّ المشترك.

ولم يمت داود حتى كان قد سحق اعظم اعدائه خطراً، فمهد السبيل امام ولده وخليفته سليمان، فظهر جديراً بالملك الذي تركه له ابوه. ارتاح الى السلم فاخذ يفتش عن موارد جديدة لزيادة ثروة مملكته. وكما انه ورث ارض كنعان، اراد ان يرث ايضاً ازدهار التجارة الكنعانية القديمة باعادة العلاقات مع بلاد الجنوب حيث الذهب والحجارة الكريمة. ومن الممكن ان يكون العبرانيون، مدة اقامتهم الطويلة في ارض قادش، قد استغلّوا، اما مباشرة واما بواسطة الادوميين، موارد تلك الارض. على انه بسبب الحروب العديدة في ارض كنعان، تأخرت هذه التجارة، دون شك، فلم تكن على حالة مطردة. فشاء سليمان ان يبعثها ويعمل على ازدهارها.

كانت ارض سليمان ارضاً ساحلية. وكان شعبه لا يقوى على مجابهة بحر وافر الصعوبات كالبحر الاحمر. فلجأ الى حليف ابيه، الى الملك حيرام، ملك صور. وقد اشار الكتاب المقدّس الى هذا الامر فقال: (٣ سفر الملوك ٩: ٢٦ – ٢٨):

« وبنى الملك سليمان سفناً في عصيون - جابر التي بجانب أيلة عند شاطئ بحر القلزم في ارض أدوم. فارسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان، قوماً ملّاحين عارفين بالبحر . فأتوا أوفير واخذوا من هناك اربعمائة وعشرين قنطاراً من الذهب . واتوا بها الملك سليمان . »

« ... وكذا سفن حيرام التي كانت تحمل ذهباً من أوفير جاءت من أوفير بخشب صندل كثير جداً وبحجارة كريمة . » (٣ سفر الملوك ١٠ : ١١)

« ... لان الملك (سليمان) كانت لـه في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام . فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقِرَدةً وطواويس . » (٣ سفر الملوك ١٠ : ٢٢)

* * *

على ان صور لم تكتفِ بتمثيل هذا الدور التجاري وحده بالنسبة الى جيرانها العبرانيين والسوريين . بل تعدّته الى أمر انبل مرمى ، واوفر عائدة على الانسانية .

قبل ان ينبسط النفوذ الاشوري على هذه البلاد ، وبينما كانت مصر تغط في سُبات الانحطاط ، كانت صور خاصة ، والمدن الفنيقية عامة ، ترفع مشعال الفنّ والصناعة ، فتحافظ على المدنية وتنشر مبادئهـا شيئاً فشيئاً بين الشعوب الفتيّة التي اخذت على عاتقها تهذيبها وتثقيفها .

وهكذا كان لما قرّر سليمان انشاء هيكل لإلهه العظيم ، وبناء قصر لنفسه فلم يرَ من يتجه اليه في ذلك الا ملك صور وارباب الفنّ من رجاله . فأرسل اليه قائلاً :

« كما فعلت مع داود ابي وارسلت له ارزاً ليبني لـه بيتاً ليسكن فيه ، تفعل معي فاني ابني بيتاً لاسم الرب الهي ... وأرسل لي اخشاب أرز وسرو وصندل من لبنان . » (اخبار الايام الثاني ٢ : ٣ و٨) فارسل له حيرام ما طلب من الخشب على اطواف من ساحل لبنان الى بحر يافا ، وهو اصعده الى اورشليم .

ثم طلب سليمان من حيرام ان يمدّه بالصناع وارباب الفنّ فكتب اليـه : « فالآن أرسل لي رجلاً حاذقاً بعمل الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ،

والارجوان ، والقرمز ، والسمنجوني » (اخبار الايام الثاني ٢ : ٧) فوجّه اليه حيرام « رجلًا ماهرًا صاحب فهم » كان اسمه حيرام ايضًا ، وكان « ابن رجل من صور خبير بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والارجوان والسمنجوني والبز والقرمز وصناعة كل نقش واختراع كل شيء. » (اخبار الايام الثاني ٢ : ١٣ ، ١٤) فصنع حيرام هذا للملك سليمان في بيت الله ، « العمودين ، والظرفين ، والتاجين اللذين على أرؤس العمودين ، والحبيكتين المغطيّتين لظرفي التاجين . والرمّانات الاربع مئة . . . والقواعد العشر ، والمغتسلات العشرة التي على القواعد ، والبحر ، والثيران الاثني عشر التي تحته ، والقدور والمجارف والجامات . . . من نُحاس نقي . . . والمنائر وسرجها من ذهب خالص ، والازهار والسرج والمقاط من ذهب تامّ الخلوص . . . والمقاريض والجامات والصحون والمجامر من ذهب خالص » الى آخر ذلك (اخبار الايام الثاني : الفصل الرابع)

يتضح من كل ما تقدم ان الفنيقيين كانوا لجيرانهم سكان فلسطين وسورية اساتذة الفنّ والصناعة . وكانوا انفسهم قد استفادوا ذلك اولا من المصريين. على انهم لم يكتفوا بما نالوه ، بل زادوا عليه ونشروا ذلك حيثما رحلوا وحلّوا ، حتى لقد كان جميع امراء سورية وفلسطين يطلبون حذّاقهم في الفن والصناعة ، وليس طلب سليمان لحيرام الا مثلًا حُفظ ذكره لحوادث عدّة من نوعه.

وقد دامت هذه الصداقة بين ملك العبرانيين وملك الصوريين طول حياة سليمان . اما بعد وفاته فقد ثار شعبه على ابنه رحبعام لان اباه كان قد ارهقهم بالضرائب الباهظة ، فالتفوا حول يارُبعام ونادوا به ملكًا . فانشطرت المملكة الى شطرين : مملكة يهوذا وعلى رأسها رحبعام في اورشليم . ومملكة اسرائيل وعلى رأسها يارُبعام . فما عسى يكون موقف صور من هاتين المملكتين ؟

كانت مملكة اسرائيل اقرب الينا من الاولى . وهي اهمّ بالنظر الى مساحتها ، وفيها سهول الاردنّ والساحل . فضلًا عن كون مملكة اسرائيل ادنى الى التساهل الديني من مملكة يهوذا واميل الى التقاليد الكنعانية القديمة . على انها كانت مضطربة النظام في اول امرها فتقلّب على عرشها ثلاث أسر في سنين قليلة .

ولقد كان بامكان صور ان تستفيد من هذه الفوضى ، لو لم تكن هي ايضاً كانت فريسة الشغب والاضطراب على اثر وفاة حيرام ؛ ولم تستقر فيها الحال ألا عندما ملك ايتوبعل ، احد حفدة حيرام .

ولكن ان لم تكن صور احتلت ارض اسرائيل مادياً ؛ فقد اخضعتها لنفوذها معنوياً . فغدا اسرائيل يرى رأي الصوريين في اكثر مناحي حياته ، فيقوم بالعبادات الكنعانية القديمة ، ويتزوج ملوكه بالاميرات الصوريات فيأتين معهن بالحاشية العديدة والنفوذ القوي . من ذلك ان عُمري ملك اسرائيل زوّج ابنه أحآب بإيزابل ابنة إيتوبعل . فتملكت عليه شعوره ، وصرفته عن اتباع نصائح ايليا النبي . ولم تكتفِ بان ادخلت في اسرائيل عبادة بعل وعشترت ، بل استفادت من ضعف زوجها فاخذت تفرض عليه اتخاذ قرارات يشوبها الظلم احياناً . حتى انها كانت تلقي الاوامر باسمه وتوقع عنه القرارات مرة بعد اخرى . ولا حاجة من ثمّ الى التبسط في ذكر النفوذ الصوري في اسرائيل .

وقد تجاوز هذا النفوذ الى مملكة يهوذا . وكان ملكها يوشافاط ، معاصر أحآب قد جرّب ان يبني سفناً في عصيون - جابر على مثال سليمان . الا انه لم يلجأ اولاً الى الفنيقيين كما فعل الحكيم قبله . فحبط المشروع .

عند ذلك اتجه يوشافاط بمطامحه جهة الشمال ، فاتفق مع ملك اسرائيل ؛ وزوّج ابنه يورام بعتليا ابنة أحآب من ايزابل . ثم حاربا ملك دمشق .

وبعد وفاة يورام ، ملك يهوذا ، خلفه على العرش ابنه أحزيا . وكان أحآب ملك اسرائيل قد مات وخلفه ابنه يورام . واذاً فيكون ملكا اسرائيل ويهوذا من نسل الاميرتين الصوريتين : يورام ، ملك اسرائيل ، ابن ايزابل وشقيق عتليا ؛ وأحزيا ، ملك يهوذا ، ابن عتليا .

وبينا كان هذان الملكان يحاربان متّحدين ملك دمشق ، ثار عليهما الشعب بقيادة ياهو ابن يوشافاط ، فقتل ياهو امراء البيتين الملكيين جميعهم في ساحة الحرب وفي مدينة السامرة . وعندما رجع ياهو اشرفت ايزابل من قصرها وتهكّمت عليه ، فامر رجاله فطرحوها من الطاق ، فترشّش من دمها على الحائط

وعلى الخيل وداستها » . ثم تناهشت الكلاب لحمها .

اما عتليا فكانت في اورشليم . وعندما وصلها نعي ابنها ونعي امراء أسرائيل جميعهم ، ارادت ان تقضي هي بنفسها على من بقي من بيت الملك فقتلت كلّ ابنائها الصغار الا يوآش الذي أُخفي عنها . ثم قُتلت .

وقد بلغ النفوذ الصوري في يهوذا على عهد عتليا اوج ازدهاره ، فدخل كثير من الآراء بل العقائد الدينية الفينيقية في ايام زوجها يورام وابنها أحزيا وفي ايام ملكها هي . وكان هذا العصر من اعظم عصور فنيقية ازدهارًا وانتشارًا نفوذ . فقد كانت صور سلطانة البحار ، وسيدة المستعمرات العديدة ، ممدّنة البربر ، ومهذّبة عملائها ، والسائدة بنفوذها على ممالك سورية عامة ، وخاصة على مملكتي يهوذا واسرائيل . ولعلّ ابلغ ما نختم به الكلام في وصف صور وما بلغت اليه سيادتها وتجارتها وازدهار مدنيّتها ، قول حزقيال النبي متنبئاً على خرابها (نبوءة حزقيال : الفصل السابع والعشرون)

« وكانت اليّ كلمة الربّ قائلاً : وانتَ ، يا ابن البشر ، أنشدْ برثاء على صور وقل لصور الساكنة عند مداخل البحر ، تاجرة الشعوب في جزائر كثيرة هكذا قال السيد الربّ :

« يا صور ، انك قلتِ انا كاملة الجمال . تخومُكِ في قلب البحار ، وبانوك اكملوا جمالكِ .

بسرو من سَنير بنوا لك كلّ طباقك ، واخذوا ارز لبنان ليصنعوا سواري عليك . صنعوا مقاذيفك من بلّوط باشان ، ومقاعدكِ من عاج مرصّع في الشربين من جزائر كِتّيم . البَزُّ الموشّى من مصر كان ما نشرته شراعاً لكِ ، والسمنجونيُّ والارجوانُ من جزائر أليشة كانا غطاءكِ .

سكّانُ صيدونَ وأرواد كانوا قذّافين لكِ . وحكماؤكِ ، يا صور ، الذين فيك هم مدبّروكِ . شيوخُ جِبَلَ وحكماؤها كانوا فيك جلافطةَ خُداءكِ .

وجميعُ سفن البحر وملّاحوها كانوا فيكِ لترويج موسمكِ .

فارسُ ولودُ وفوطُ كانوا في جيشك رجال حربك وعلّقوا فيك المجنَّ والخوذة . هم افادوك بهاء . بنو أرواد مع جيشك كانوا على اسوارك من حولكِ ،

والابطال كانوا في بروجك وعلّقوا تروسهم على اسوارك من حوالك . هم اكملوا جمالك .

ترشيشُ مُتجرة معك في كثرة كل غنى ، وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك.

ياوان وتوبَل وماشك مُتجرون معك ، وبنفوس الناس وآنية النحاس اقاموا موسمك.

آل توجَرمةَ بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك.

وبنو دَدان متجرون معك ، وجزائر كثيرة تجار يدك ، وقد ادّت قرون العاج والابنوس قياضاً لك.

أرامُ مُتجرة معك في كثرة صنائعك ، وبالبهرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك.

يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك ، وبحنطة مِنّيت والحلاوى والعسل والزيت والباسان اقامتا موسمك.

دمشق متجرة معك لكثرة صنائعك من اجل كثرة كل غنى لك بخمر حلبون وبالصوف الابيض.

دان وياوان بالغزل اقامتا اسواقك . وكان في موسمك حديدهما المصنوع وقصب الذَريرة.

دَدان متجرة معك بالنمارق للركوب.

العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجار يدك بالحملان والكباش والتيوس . فانهم بهذه اتجروا معك.

تجار شبأ ورعمة متجرون معك ، وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم ، وبالذهب اقاموا اسواقك.

حاران وكنّة وعادان وتجار شبأ وأشور وكِلمد متجرون معك . هؤلاء يتّجرون معك بالانسجة الفاخرة ، بأردية من السمنجوني والوشي ، وبالنفائس من الثياب المُبرَمة والمشدودة بالحبال المكومة بين بضائعك.

سفن ترشيش سيّارة لك ، لموسمك ، وقد امتلأت وصرت ذات مجد

عظيم في قلب البحار .

ان غناكِ ، واسواقكِ ، ومرسلكِ ، وملاحيكِ ، ومدبّريكِ ، وجلافطة خصاصكِ ، وباعة تجارتكِ ، وجميع رجال حربكِ الذين فيكِ ، وكلّ الجمع الذي في وسطكِ ، يسقطون في قلب البحار يوم سقوطكِ .

من صوت صراخ مدبّريكِ ترتعش محاجركِ . فجميع ضابطي المقاذيف والملاحون ، وجميع مدبّري البحر ينزلون من السفن ، ويقفون على البرّ ، ويسمعون عليكِ اصواتهم ، ويصرخون بمرارة ، ويحثون فوق رؤوسهم تراباً ، ويتمرّغون في الرماد ، ويحلقون شعرهم عليكِ ، ويتحزّمون بالمسوح ، ويبكون عليكِ بمرارة النفس مندباً مرّاً . وفي نوحهم يُنشدون عليكِ بالرثاء ويرثونكِ قائلين : من كصور ، كالمهدومة في وسط البحر ؟

بخروج سلعكِ من البحار اشبعتِ شعوباً كثيرين ، وبكثرة اموالكِ وبضائعكِ اغنيتِ ملوك الارض . يوم انكسارك من البحار في اعماق المياه سقطت بضائعكِ ، وكل جمعكِ في وسطكِ . جميع سكان الجزائر اندهشوا عليكِ . وملوكهم اقشعرّت شعورهم وامتقعت وجوههم . والتجار في الشعوب صفروا عليكِ ، وقد صرتِ الى العدم ، فلا تكونين الى الابد . »



والابطال كانوا في بروجك وعلقوا تروسهم على اسوارك من حولك . هم اكملوا جمالكِ .

ترشيشُ مُتجرة معك في كثرة كل غنى ، وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك.

ياوان وتُوبَلْ وماشَكْ مُتجرون معك ، وبنفوس الناس وآنية النحاس اقاموا موسمك.

آل توجَرمَة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك.

وبنو دَدان متجرون معك ، وجزائر كثيرة تجار يدك ، وقد ادّت قرون العاج والابنوس قِياضاً لك.

أرامُ مُتجرة معك في كثرة صنائعك ، وبالبهرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك.

يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك ، وبحنطة مِنّيت والحلاوى والعسل والزيت والباسان اقامتا موسمك.

دمشق متجرة معك لكثرة صنائعك من اجل كثرة كل غنى لك بخمر حلبون وبالصوف الابيض.

دان وياوان بالغزل اقامتا اسواقك . وكان في موسمك حديدهما المصنوع وقصب الذَرِيرَة.

دَدان متجرة معك بالنارق للركوب.

العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجار يدك بالحُملان والكباش والتيوس . فانهم بهذه اتجروا معك.

تجار شبأ ورعمة متجرون معك ، وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم ، وبالذهب اقاموا اسواقك.

حاران وكَنّة وعادان وتجار شبأ وأشور وكِلمد متجرون معك . هؤلاء يتجرون معك بالانسجة الفاخرة ، بأردية من السمنجوني والوشي ، وبالنفائس من الثياب المُبرَمة والمشدودة بالحبال المكرمة بين بضائعك.

سفن ترشيش سيارة لكِ ، لموسمك ، وقد امتلأتِ وصرتِ ذات مجد

ونحن، اذا قلنا انه لم يكن عند العرب تمثيل نعني ان العرب لم يستعيضوا في مرقف من المواقف عن شخص غيّبه عنهم الموت او البعد بآخر اتخذ صورته او ما يقرب منها، وقلّد نبرات صوته، واحوال مشيته، وجميع طرق معيشته المعروفة عند عارفيه[1]. ذلك انا لا نحسب من التمثيل ما يصنعه الناس من قبيل الشعائر الدينية كتمثيل قتل الحسين عند الشيعة[2] او بعض ما كان يأتيه اصحاب الطرق الصوفية من الاشارات والحركات التمثيلية، والا لكانت كل شعائر المسيحيين والمسلمين واليهود والبوذيين وغيرهم من الملل والطوائف تمثيلاً خالصاً...

لم يكن للعرب تمثيل أي ان شعراءهم وادباءهم عامة لم ينصرفوا الى تأليف الروايات التمثيلية كما هي مفهومة في ايامنا[3].

...

ولماذا لم يعرف الاقدمون التمثيل فقعدوا عنه وباتت الآداب العربية تشكو هذا النقص الى ما قبل ايامنا بالقليل؟

لذلك اسباب داخلية واخرى خارجية يرجع بعضها الى العصور الجاهلية وبعضها الى الاسلام:

اجل! لم نكن لنتوقع من الجاهلية روايات تمثيلية. واسباب ذلك ظاهرة تعود بعظمها الى طبيعة العربي الجاهلي — او قل البدوي ابن البادية الحق — وحالة اللغة العربية آنذاك؛ وغيرها تعود الى عوامل خارجية تتعلق بالمجتمع.

اما الاسباب التي تعود الى طبيعة العربي الجاهلي فهي انه غير ميّال بفطرته

---

١) وقد وصف النقادة الالماني (Schlegel)، التمثيل اذ قال: «انه يعيد لنا اخبار السلف بطريقة شائقة لا نظير لها اذ يحاكيهم في طباعهم وعوائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاة بها يخيّل لنا انهم نشروا من مدافنهم وظهروا علينا بظهر الاحياء على حالتهم الاصلية كأنهم لم يغيبوا من عالم الوجود» (المشرق ٢ [١٨٩٩] ٢٠)

٢) زيدان: تاريخ الآداب العربية ٢: ٣٠٠

٣) ونحن لا نعتبر رواية تمثيلية ما اكتُشف اخيراً من آثار ادباء العصر المغولي، اعني ذلك الكتاب «طيف الخيال» لابن دانيال الموصلي الذي يقرب — عن بعد — من فن التمثيل. الا انه يُعدّ من نوع ما نسميه اليوم في لبنان، كما يشهد جرجي زيدان نفسه (٣: ١٢١)، «الكراكوز» ليس غير.

شوقي على المسرح

مع مقدّمة في

التمثيل العربي

بقلم ادوار حنين

لقد كثرت الابحاث في شعر شوقي ومناحيه المتنوّعة من مدح ، ورثاء ، وتهنئة ، ووطنية ، واجتماع . وها اننا ننشر اليوم درساً واسعاً في «مسرح شوقي» ، وهي ناحية قلّما تعرّض لها النقّاد ، وان فعلوا فباسلوب مقتضب لا يشفي غليلاً . وقد قُدّم على هذا الدرس بحث في التمثيل العربي إجمالاً ، تمهيداً لوضع شوقي من تاريخ هذا الفنّ .

المقدمة

التمثيل العربي

كانت جاهلية ... وكان اسلام . فازدهر الادب العربي واثمر . إلا انه لم يكن فيه تمثيل . ولم يتسرّب هذا الفن الى الآداب العربية الا في منتصف القرن التاسع عشر المتصرّم . نقول ذلك اعتقاداً منا ان مقامات الهمذاني والحريري وما اليها ليست من التمثيل في شيء ، مهما كانت مزاعم بعض المستشرقين ، كما اننا لا نوافق جرجي زيدان[1] على ما قاله من ان « رسالة الغفران » لابي العلاء المعرّي تقرب من الكوميديا . ولا لوجب ان نسلّم بان اقاصيص الاغاني ، لما فيها من المحاورة وغيرها من مميزات التمثيل ،هي سلسلة روايات تمثيلية ... كلها مزاعم يصعب التسليم بها . فلا المقامات ، ولا رسالة الغفران ، ولا روايات الاغاني ، ليست من النوع التمثيلي اذا ما فهمنا بالرواية التمثيلية : « تمثيل او عرض واقعة تاريخية ام اختراعية بواسطة اشخاص تنطبق افعالهم واقوالهم على حقيقة الواقع او الاحتمال »[2]

١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ٢٠٢ ٢) المشرق ٣ [١٨٩٩] ٢٠

الخطابة والوصف، والحالة هذه، شعراء الجاهلية عن الدرس الاخلاقي الذي لا أثر له في آدابهم كما نتحققه في رحلة نقوم بها في دواوينهم .

واني للعربي التحاليل النفسانية والابحاث الاخلاقية ولا همّ له في جاهليته الا الانتقال من بادية الى اخرى يحارب قربيه على مياه بئره النزرة او على عشب مرعاه الضئيل ليضمن حياة ماشيته التي تتعلق بها حياته وحياة اهله ... والعربي، وهذه حياته النقّالة وحالته المضطربة، يعيش في المادّة وللمادّة، قليل التأمل الداخلي، ولا سبيل الى معرفة الغير لمن اخطأ معرفة نفسه .

فضلًا عن ان الدروس الاخلاقية تتطلب من صاحبها مخالطة الجماهير فالتسرّب الى مجتمعاتهم والنظر الى الافراد والجماعات في حالات سكناتهم وحركاتهم والى كل حال من احوالهم لكي تتوافر له المعلومات فيقيس ما بينها ويبني على مقدماته النتائج . والبدوي كما نعلم رجل فردي، نقّال، بعيد عن الروح الاجتماعية، لا يخالط القوم ولا يحبّ ان يُخالَط فهو يردّد ابدًا ما قاله الطفيل بن عامر : « كنت رجلًا احبّ الوحدة »[1] ويقول ما قاله بدويّ مُسلم في صلاته : « اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا احدًا » .[2] وللجاحظ عن البدو في كتاب البيان والتبيين ما يدعم قولنا هذا حيث جاء : « انهم تقاربوا في المودّة وتباعدوا في الديار »[3]

وقد قرأنا للاب لامنس في مثل هذا الموضوع قوله :

« اننا لنرى صفة واحدة تتفرّع عنها جميع نقائص البدوي، وتُلخّص كل ما كان ينقص ذاك الرجل من المزايا الخلقية، الا وهي صفة الفردية . البدوي رجل فردي . »[4]

ثم زد ان البدوي، شاعرًا كان ام حكيمًا، لم يكن واسع الخيال قويّه . وذلك لاسباب منها انغماسه في المحسوسات وكثرة اهتمامه بالامور الوضعية

١) الجاحظ : كتاب المحاسن والاضداد ١٠٢

٢) ابن حنبل : المسند ٢ : ٢٨٣

٣) الجاحظ : البيان والتبيين ١ : ١٧٦

٤) المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٠٤

وكثرة تدقيقه في مشابهة الطبيعة. وقد علّل هذا النقص الاب لامنس بقوله[1]:

ان حياة البدوي في عزلته القاتمة المستديمة تضعف خياله وتميت فيه تلك القوة المنتجة. وزاد: ان نضاله المتواصل في سبيل الحياة وتفكيره الدائم بامور الغد وما يحمله له في طياته منخيرات وشرور وما يلزمه فيه من معيشة ومؤونة تمنعه من الاسترسال في الاحلام الشهية اللذيذة... حيث خلق الصور والاشباح من اللاشي. ثم قال: ان من نتائج ضيق مخيلته انه لم يحسن استعمال ما يسميه بالجن في اختراع نظام يرتّب عليه الاشخاص اللابشرية من آلهة وانصاف آلهة على نحو ما تسميه الشعوب القديمة الغربية بالميتولوجيا.

والناظر الى ما خلّفه لنا الجاهليون من الشعر يتثبّت هذه الحقيقة بنفسه. وإنّا ذاكرون له بعض الامثال يرى فيها الشاعر الجاهلي في احسن المواقف وادعاها الى الشعر والسموّ، الا انها لا تستنهض اجنحة مخيّلته الثقيلة، وان فعلت فقليلًا ليعود ويهوي كأنما هو طائر احترقت من شمع ان زاد علوّه زادت مجاورته للشمس فسالت اجنحته، فهبط وكان هبوطه عظيماً.

واي شي، ادعى للخيال من ان يعود الشاعر المحارب الى ذكرى مواقعه السالفة، الى انتصاراته وفتكه وثأره لدم اخيه المهدور غدرًا — اعني موقف المهلهل في رثاء كليب اخيه — فيحييها جميعها امام عينيه لينظمها شعرًا خالدًا؟ — لا شي. ومع ذلك فاننا لا نرى في قصائد هذا الشاعر — على كونه من أئمة الشعر في الجاهلية — سموًا يذكر... فلنسمعه في قصيدته المشهورة:

اليلتنا بذي حُسُم أنيري اذا انت انقضيت فلا تحوري

حيث جاء باحسن مقاطعه ذاكرًا المعارك والقتلى، فقال:

ولو نبش المقابرُ عن كليبٍ لاخبر بالذنائب اي زير
ويوم الشعثمين لقرّ عينًا وكيف لقاء من تحت القبور!
على اني تركت بواردات بجيرًا في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد وبعض القتل اشفى للصدور

(1 Lammens, *op. cit.*, pp. 226 ss.

وهمـأم بن مرة قـد تركنا عليه القشعان من النسور
قتيل مـا قتيـل المرء عمرو وجسّاس بن مرة ذو ضرير

نرى ان الشاعر اقتصر على تعداد امكنة المواقع واسماء القتلى ولم يذكر فيما خص ذلك شيئاً عما كان ... فـأين وصف المعركة ؟[1] ووصف القتلى يتخبطون بدمائهم ، والسيوف تتخضخض في صدورهم ... اين وصف تلوّي الرماح ولمانها تحت النقيع ، وصليـل السيوف الى جنب دويّ سنابك الخيل وكل ما توحيه من الاشباح والصور المعارك الليلية ؟؟ كل هذا لم يأتِ له ذكر في طول القصيدة وعرضها . نقص ناتج عن عدم وجود الخيال الفسيح . وقـد تلمس ضعف خيالهم في مواقف أخرى اذ يبتدئ الشاعر منهم بعرض مشهـد فتؤمل نفسـك انك ستراه كاملاً ، فما تلبث الا وتخدعك امانيك ، فيظل المشهد على نقصه . من ذلك قول المهلهل :

وصار الليـل مشتـملاً علينا كأن الليل ليس له نهـار

وهذا :

وابكي والنجوم مطلّعـات كأن لم تحوها عني البحـار .

وكأنها مقدّمات لمشاهد فسيحة ، ولكنها لم تتم لسوء الحظ . ذلك من فقر الخيال .

واحب ان اقف والقراء في سبيل هذه الغاية ، تجاه معلقة عنترة ، وهي من القصائد النادرة التي يمكننا ان نلمس فيها الخيال العربي ، ان كان ثمة خيـال عند شعراء الجاهليين . لقد استهل عنترة قصيدته بوصف الاطلال واستطرد الى وصف عبلة ، فوصف الناقة ، فوصف بطشه بالظالم حيث يعدّد القتلى ويصفهم وصفاً تاماً ، فوصف شربه الخمر وكرمه ثم العود الى وصف بطشه واعماله في الحروب وبه تنتهي ... قد ابتـدأت بالوصف ، وانتهت بالوصف . وليس في جميع هذه الموصوفات سوى وصف المحسوس الملموس : الاطلال ... الناقة ... المحاربين ... عبلة ... كل ما احاط بهم واعتادوا رؤيته في كل صبح ومساء . ثم انـك تسمع شعراء الجاهلية وصـدر الاسلام يكثرون من ذكر

---

١) اذكر وصف «وترلو» لفيكتور هوغو

« الجن » والشياطين ، فهل تعرّض احدهم لوصفهم وتعداد ميزاتهم وتصويرهم لنا على شكل من الاشكال ؟ لا . فقد كان الجنّ ، ولما يزل ، يدل على مسمّى مبهم لا نعرف من حقيقته واوصافه الشيء الكثير ...

فلنا ، فيما تقدم ، ما نثبت به ان البدويّ ضيّق المخيّلة ضعيف الخيال . ومن كانت هذه حاله فلا يتمكّن من ايجاد المشاهد الرائعة وتصويرها وخلق الحوادث المؤثرة المثيرة والاشخاص الحية وبكلمة : كل ما يحتاج اليه المؤلف المسرحي لتأليف رواية تمثيلية ... او محاولة تأليفها .

وهناك اسباب غير هذه حالت دون نشأة التمثيل العربي يجب اتخاذها بعين الاعتبار اهمها ان الادب الجاهلي كان شفوياً . ومتى كان الادب على هذه الحال صعب على المؤلف ان يأتي بعمل طويل النفس متشابك العواطف ، متعدّد الاشخاص ، كما في الرواية التمثيلية . وصعب على غير المؤلف حفظ ما طال فالذاكرة محدودة ... وما لم يكن سياراً بين القوم كان لا يؤخذ بعين الاعتبار عند اولئك الشعراء الذين ينظمون وهمّهم الاكبر الشهرة .

ولا يخفى انه يتحتم على المؤلف المسرحي ، كي يتقن تأليف الروايات التمثيلية ، ان يتناسى نفسه تاركاً لمخلوقاته اي لاشخاص رواياته حرية القول والفعل بما تقتضيه اخلاقهم وطباعهم وسنّهم وجنسيتهم ومكانتهم وموقفهم . هذا ، والتستر وتناسي النفس ابعد الاشياء عن خُلق البدوي .

فهذه نقاط كان لها تأثيرها في عدم ظهور الروايات التمثيلية آنذاك . وهي ، وان لم تكن اساسية ، فانها تعدّ من الاسباب الثنوية التي يعتمد عليها في الابحاث الادبية .

ولنضف سبباً خارجياً له بعض الشأن في المسألة ، وهو عدم رقي المجتمع الجاهلي . اذ ان شرطاً من شروط التمثيل الاساسية رقي المجتمع .

ولا مبرّر للقول بالضد مهما دعا الى ذلك الدكتور طه حسين[1] اذ لا جدال في ان العصور الجاهلية لم تكن عصور رقي وتمدّن ، وان لم تكن كذلك

---

١) في الشعر الجاهلي : الطبعة الاولى ، ص ١٥

عصور همجية وتوحش . وانما هي عصور ليست من الرقي في شيء. يذكر . وان حالة شعب يوصف بما وصف به النبي الاعراب اذ قال « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر الّا يعلموا حدود ما انزل الله » لحالةٌ — من حيث الرقي الاجتماعي — لا يحسدون عليها .

اما وجوب رقي المجتمع للفنّ التمثيلي فهذا مما لا مراء فيه،ونظرة منا الى تواريخ آداب الشعوب القديمة والحديثة تقنعنا بصحّة ما قدّمنا . متى ألّف اليونانيون رواياتهم التمثيلية ؟ متى حذا حذوهم من اتى بعدهم من الشعوب حتى عصرنا ؟ أوَ لم يكن ذلك عندما اصبحت بيئاتهم على قسط من الرقي لا بأس به .

***

ولكن . . . لقد تصرّمت العصور الجاهلية فكان خاتمتها النبي والقرآن ؛ وامتدّت العصور الاسلامية من الخلفاء الراشدين الى ايام قريبة منا ، فاضمحلّت معظم الاسباب القديمة التي كانت تحول دون نشأة المسرح العربي . اصبح الادب خطياً بعد ان كان شفوياً ، وبلغ المجتمع مكانة عالية في الرقي والتمدن ، وتغيّرت احوال العربي نوعاً اذ اصبح في رخاء ، وتعدّدت لديه اسباب الراحة وتنعم بالعيشة الهادئة المئنة التي توفر له اسباب التفكير والتأمل . . . والاسترسال في تيّار احلامه،فتأثر خياله من محيطه نوعاً ، وتمّ له معظم ما كان بحاجة اليه لايجاد التمثيل . . . ومع ذلك لم يقدم عليه .

فما هي دواعي هذا التأخير ؟ وكيف يمكن شرحها وتعليلها ؟

ذلك ان ادباء المسلمين وشعراءهم ساروا على خطة اسلافهم ، فقلّدوهم وافرطوا في التقليد الى ان اصبح المبدع فيهم من اتقن التقليد واجاد فيه . وهذا ما حمل الدكتور طه حسين على القول في كتابه « في الشعر الجاهلي »[1] :

« فلست اعرف امّة من الامم القديمة استمسكت بمذهب المحافظة على الادب ولم تجدّد فيه الا بمقدار كالامة العربية » . وزاد للبرهان « فحياة العرب

---

١) في الشعر الجاهلي — الطبعة الاولى — ١٦

الجاهليين ظاهرة في شعر الفرزدق وجرير وذي الرمة والاخطل والراعي اكثر من ظهورها في هذا الشعر الذي ينسب — وهنا ترى شك الدكتور في صحة نسبة الشعر الجاهلي — الى طرفة وعنترة والشماخ وبشر بن ابي خازم ».

ولا عجب في ذلك ، ونحن لا نزال نرى حتى ايامنا هذه، جماعة من الكتاب والشعراء — مع كوننا في القرن العشرين — لا يلذ لهم من انواع الكتابة والنظم الا تقليد الاقدمين والسير على ما عبّدوه لهم من الطرق . وهكذا قلّد ادباء العصور الاسلامية اسلافهم تقليداً كثير التقيد حتى كان لا يستطيع واحدهم الظنّ انه يحسن الاجادة حيث لم يحسنها ابلافه ، وان من الفنون الشعرية ما لم ينكر به الاقدمون.

ولكن ان كانوا لم يؤلفوا الروايات التمثيلية ، جرياً على عادة القدماء الجاهليين ، فلماذا لم ينقلوها عن اليونان ، وقد نقلوا عنهم فلسفتهم وعلومهم من طب وهندسة ونجوم ومنطق ؟

على هذا نجيب بان اكثر ما بعث المسلمين الى النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . . . والعلوم عامة ، وليس ما بعثهم اليه رغبتهم في آداب الغرباء وتاريخهم .

ثم ان العربي كان يفاخر الاعاجم بآدابه . وكان لا يقرّ لامة من الامم بمثل ما عنده . وليس من المعقول بعد هذا ان ينقل اداب الاعاجم الى لغته فيقضي على نفسه بنفسه .

هذا وربّ قائل يقول : ولكن الترجمات لا تخلو من كتب في الادب منقولة عن الفارسية والهندية كألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، وغيرهما ، فلماذا نقلوا هذه ولم تمنعهم مفاخرتهم ، فـاكتفوا بها ، ولم ينقلوا شيئاً من الآداب اليونانية ؟

فنجيب ان التراجمة كانوا ينقلون غالباً كتب الادب من عند انفسهم رغبةً في اظهار مآثر اسلافهم او جيرانهم .

فالمترجمون الفرس مثلاً كابن المقفع وآل نوبخت وعلي بن زياد التميمي المكنى بابي الحسن نقلوا شيئاً من آداب الفرس . وكذلك نقل التراجمة السريان

والحالة هذه يتحتم علينا اثبات هذه الحقيقة عن غير طريق القرآن فنستند الى الحديث حيث تتوافر البراهين ، ونجد التحريم في جلاء ووضوح اذ لا يعود للشك من سبيل. اما كيف نلمس هذا التحريم في الحديث فهذاما نحن مظهرون:

لا يطول الوقت بقارئ الحديث الا ويرى كثيرًا من الاقوال في تحريم الصور والتماثيل ، كلها مسندة الى عائشة فالنبي ، او الى النبي على غير طريق عائشة ، وهي غاية في الوضوح.

كمثل قولهم عن . . . عن النبي: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولاتصاوير»[1]

وهذا: « حدثنا موسى عن . . . قال: حدثنا ابو زُرعة قال: دخلت مع ابي هُريرة دارًا بالمدينة فرأى في اعلاها مصورًا يصوّر فقال: «سمعت رسول الله يقول: ومن اظلم ممّن ذهب بخلق كخلقي.»[2]

وهذا: « حدثنا ابراهيم بن المنذر عن . . . عن النبي قال: « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة . يقال لهم احيوا ما خلقتم»[3]

وهذا: « حدّثنا عليّ بن عبد الله قال . . . قالت عائشة: قدم رسول الله من سفر وقد سترتُ بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه الرسول هتكه وقال: اشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله »[4] وهذا: حدّثنا حجّاج بن منهال عن . . . قال النبي: ان اصحاب هذه الصور يعذّبون يوم القيامة ؛ يقال لهم احيوا ما خلقتم . وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور »[5] وهذا: « حدّثنا الحميدي عن . . . قال: كنا مع مسروق في دار يسار بن نُمير فرأى في صفته تماثيل فقال سمعت عبد الله . . . سمعت النبي يقول: ان اشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون »[6] وقد ورد في صحيح ابن الاثير

---

١) البخاري – الصحيح (طبعة Krehl) الجزء الرابع: كتاب اللباس، الباب ٩٠: ص ١٠٤

٢) البخاري – الصحيح – الجزء الرابع: كتاب اللباس ، الباب ٩٠ ص ١٠٤

٣) البخاري – الصحيح – ب ٨٩: ص ١٠٤

٤) البخاري – الصحيح – ب ٩١: ص ١٠٤

٥) « « ب ٩٢: ص ١٠٥

٦) « « ٨٨: ص ١٠٤

الجزيرة العربية الهادئة ، المطمئنة تحت راية الاسلام وصحائف القرآن ، آيات الكفر والشرك ؟

يبقى ان نتبسط في نقطة قد تكون العامل الاكبر في عدم وجود التمثيل عند العرب الا وهي : تحريم الاسلام صنع الصور والتماثيل على المسلمين[1] . ولما كان التمثيل نوعاً من التصاوير والتماثيل — كما سترى — فقد لحق به التحريم وقضى عليه قضاءه على غيره من الفنون .

لقد افضى البحث بالاب لامنس اليسوعي ، صاحب الدروس القيّمة في الاسلام والمسلمين ، الى القول بان النبي لم يحرّم الصور في آية من آيات قرآنه[2] . انما هو تحريم صادر من المحدّثين والمفسرين ، وقد دعم قوله هذا بشواهد راسخة متينة ، يمكن ان يتحقق صحتها كل من يجول بتدقيق في صفحات القرآن فلا يجد آية صريحة في التحريم .

اما الآية التي يستند اليها المحدثون والمفسرون من القاضين بالتحريم ، وهي : « ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربه . وأحلّت لكم الانعام الا ما يُتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور » (٢٢ : ٣١) فالحق يقال انها بحاجة الى الكثير من التكلف في التأويل كي تنتج ان محمّداً حرّم جميع الصور والتماثيل على اتباع دينه ..

على انه مهما كان موقف النبي من هذا التحريم ، فنحن بين امرين لا ثالث لهما :

اما ان نسلم ونقول مع الفقهاء والادباء القائلين بتحريم القرآن صنع الصور والتماثيل فنكون قد بلغنا غايتنا من بحثنا ، على اهون طريق ، ونكون قد اثبتنا العامل الاكبر لعدم وجود الروايات التمثيلية ، واما ان نقول عكس ما قاله هؤلاء . فننفي ما اثبتوه وما اقرّوه في القرآن من تحريم صنع الصور والتماثيل .

---

١) راجع Lammens, *op. cit.*, p. 354 ، ولاسيا بحثه المعنون *L'attitude de l'Islam primitif en face des arts figurés*. [*Etudes sur le siècle des Omayyades*, pp. 351-389]

٢) « ان القرآن لم يحرّم في آية من آياته صنع التصاوير والتماثيل . ولم يكن لهذا التحريم من معنى في الجزيرة العربية » (الكتاب نفسه والصفحة نفسها)

بخلق الله من ذوات الارواح وغيرها . وتطلق الصورة ، عند العامة ، على التمثال ايضاً[1]. هذا ، واي تواطؤ بين هذين التحديدين ... واية نسبة ؟

فلننقل قبل كل شيء. ماذا تمثل الصور والتماثيل ؟ هي تمثل إما اشخاصاً واما اشياء . فان كانت تمثل اشخاصاً فهي تمثل شخصاً غائباً او ميتاً وعلى كل له كيانه الشخصي ووجوده المستقل وهيئته واحوال معيشته الخاصة التي لا يتفق عليها وانسان آخر .

وماذا تمثل اشخاص الروايات ؟

لا شيء اكثر من ذلك . فهم يمثلون ما تمثله لنا الصور والتماثيل ، اشخاصاً كاولئك لهم كيانهم الخاص ووجودهم المستقل ومميزاتهم الفارقة وحقيقتهم المجردة غيبهم عنا البعد ... او الموت .

والفرق بين هذين الطرازين من التصوير ان الصورة او التمثال في المعنى الاول يقعان في ورق او خشب او حجر او حديد او ... وفي المعنى الثاني فهي صور تقع على صور فتخفيها حيناً وتسترها وقتاً ، صور تقع على لحم ودم على جسم انساني .

وهذا لعمري فرق لا يذكر من ناحية الفن ما دام القصد كل القصد منها ان « تذكرنا بالغيب حتى كأننا ننظر اليه »

واي تذكير هو ابلغ وادق من ان نرى شخصاً حياً يظهر بمظهر شخص آخر نحب تمثيله وتصويره ، فيذكرنا بشكله وتلاميحه ، بصوته ومشيته ومعظم مميزاته الخاصة ؟؟

واذاً فتكون الصورة في الفن التمثيلي ابلغ منها واقوى ، ومن ثم اجدر بالتحريم من الصورة في الورق او في الحجر .

ومن ثم فلا يمكننا الشك في ان تحريم التصوير والتمثيل يتناول التمثيل الرواني او المسرحي تناوله « التصوير بالكتابة » على الاقل

وانت ترى انها مسألة انى نظرت اليها تبلغ بك الى النتيجة الواحدة الاكيدة وهي : ان الاسلام يحرم الفنون المصورة التمثيلية عامة وكل ما يسميه

(١) محيط المحيط ١ : ١٢٢٢ العمود الثاني

في الجزء الاول منه (ص ١٤٢ س ٧):

« ان النار قالت: وُكِّلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصوِّرين »

وكلها تحاريم ناطقة ينهى فيها عن صنع الصور والتماثيل ؛ ولا فرق، في بحثنا، أناتج هذا التحريم عن النبي مباشرة ام هو مصنوع قام بـه وضّاع الاحاديث[1]، لانه تحريم سار بين المسلمين اجمعين سيرَ الحقائق الدينية الاولية

اما كيف توصلنا ، بكل هذا ، الى الزعم بان هذا التحريم شامل التمثيل المسرحي ايضاً فنقول :

ان التمثيـل ، الذي قدّمنا البحث بتحديده فقلنا انه « عرض اخبـار السلف بطريقة شائقة لا نظير لها . اذ يحاكيهم في طبائعهم وعوائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاة بها يخيّل لنـا انهم نشروا من مدافنهم وظهروا علينـا بمظهر الاحياء على حالتهم الاصلية كأنهم لم يغيبوا عن عالم الوجود » ، لا يختلف البتة عن التمثيل والتصوير الوارد ذكرهما في الحديث اذ ليس التمثيل بسوى ما نُعت به في محيط المحيط[2] حيث جاء : « مثل الشيء . لفلان : صوّره بالكتابة وغيره حتى كأنه ينظر اليه وجاء[3]: التمثال الصورة المصوَّرة ج تماثيل . وقيل التمثال ما تصنعه وتصوّره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة.

وجاء فيما يخصّ الصورة[4] : الصورة هي الشكل وكل مـا يُصوّر مشبهاً

١) لقد دعا المحدّثين والمفسّرين والفقهاء الى هذه التحريمات أنهم كانوا يغارون على ميزة الله « الخالق » ان يضاهيه بها الناس فكان يضيرهم ان يروا – لا الصور والتماثيل – ولكن ما في هذه الصور والتماثيل من التشبه بمخلوقات الله ، وهو تشبّه من شأنه تضليل المؤمنين، في نظرهم ، وهو مضاهاة ، اي مزاحمة اثيمة لله الفنان الاسمى الذي كثيراً مـا اظهره النبي بمظهر المبدع والمصوّر الاكبر ، والفنان الذي احتكر لنفسه صنع الصور (راجع القرآن ٣: ٤ ؛ ٤٠: ٦٦ ؛ ٥٩: ٢٤ ؛ ٦٤: ٢) فتشبّع ارباب الحديث من هـذه الافكار واندفعوا يُغدقون التحريمات.

٢) المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط – ٢: ١٩٤٧ – في اسفل العمود الاول

٣) محيط المحيط ٢: ١٩٤٨ – في اسفل العمود الثاني

٤) المعلم بطرس البستاني: ك. م. – ١: ١٢٢ العمود الاول

يخلق الله من ذوات الارواح وغيرها . وتطلق الصورة ، عند العامة ، على التمثال ايضاً[1] . هذا ، واي تواطؤ بين هذين التحديدين ... واية نسبة ؟

فلنقل قبل كل شيء . ماذا تمثل الصور والتماثيل ؟ هي تمثل إما اشخاصاً واما اشياء . فان كانت تمثل اشخاصاً فهي تمثل شخصاً غائباً او ميتاً ، وعلى كل له كيانه الشخصي ووجوده المستقل وهيئته واحوال معيشته الخاصة التي لا يتفق عليها وانسان آخر .

وماذا تمثل اشخاص الروايات ؟

لا شيء اكثر من ذلك . فهم يمثلون ما تمثله لنا الصور والتماثيل ، اشخاصاً كاولئك لهم كيانهم الخاص ووجودهم المستقل ومميزاتهم الفارقة وحقيقتهم المجردة غيبهم عنا البعد ... او الموت .

والفرق بين هذين الطرازين من التصوير ان الصورة او التمثال في المعنى الاول يقعان في ورق او خشب او حجر او حديد او ... وفي المعنى الثاني فهي صور تقع على صور فتخفيها حيناً وتسترها وقتاً ، صور تقع على لحم ودم ... على جسم انساني .

وهذا لعمري فرق لا يذكر من ناحية الفن ما دام القصد كل القصد منها ان « تذكرنا بالغيب حتى كأننا ننظر اليه »

واي تذكير هو ابلغ وادق من ان نرى شخصاً حياً يظهر بمظهر شخص آخر نحب تمثيله وتصويره ، فيذكرنا بشكله وتلاميحه ، بصوته ومشيته ومعظم مميزاته الخاصة ؟ ؟

واذاً فتكون الصورة في الفن التمثيلي ابلغ منها واقوى ، ومن ثمّ اجدر بالتحريم من الصورة في الورق او في الحجر .

ومن ثمّ فلا يمكننا الشك في ان تحريم التصوير والتمثيل يتناول التمثيل الرواني او المسرحي تناوله « التصوير بالكتابة » على الاقل

وانت ترى انها — انّى نظرت اليها — تبلغ بك الى النتيجة الواحدة الاكيدة وهي : ان الاسلام يحرّم الفنون المصوّرة التمثيلية عامة وكل ما يسميه

---

١) محيط المحيط ١ : ١٢٢٣ العمود الثاني

الافرنج بقولهم (*Les arts figurés*)

وربّ غافل يقول : ان الاسلام منع التمثيل ولكنه لم يمنع تأليف الروايات التمثيلية ؟ فعلى هذا نجيب بما هو معلوم : ان الرواية التمثيلية سميت بهذا الاسم لانها وضعت للتمثيل ، ليس غير ، فما خرج منها عن هذه الغاية فقد يكون أثرًا ادبياً قيماً ، وآيــة من آيات الفن ، وشظية من شظايا الجمال . . . قد يكون كل هذا معاً ، اما رواية تمثيلية فلا . . .

***

هكذا كانت الاداب العربيـة قدماً ، ومـا زالت في سموّ وهبوط ، في ازدهار وانحطاط ، وهي غافلة لاهيـة عن الفن التمثيلي ، الى ان اقبلت النهضة الاخيرة بعد تلك العصور الراقدة . فبعث نابوليون ، الى بلادنا ، جـذوة من النبوغ والحياة ، من عن افواه مدافعه التي دوّت سنة ١٧٩٩ في آذان ابي الهول فافاق لصوتها الشرق ، وكان من امره ما كان .

كانت نهضة شريفة في مهدها ، نهضة لم نزل نحن من القائمين بها ، وهي لم تبلغ بعد الى حيث عقدناه عليها من الآمال .

هو نابوليون الذي قضى على الفتور ، وزرع بذور النهضة الحالية ، وهو هو الذي فتح اعيننا على التمثيل خاصة اذ اوجد بمصر اول مسرح . الا انه لم يكن في مصر السعيدة من يمثّل عليه . فتنحّت هذه عن الجهاد في سبيله الى اختهـا لبنان . فنبغ فيه مارون نقّاش ، اول من هبّ الى وضع الروايات التمثيليـة . واليك التفصيل :

كلنا يعلم ما كان من امر نابوليون القائد عندما حلّ في مصر . جاء ومعه غير واحد من جهابذة الاطباء والمهندسين والرياضيين وغيرهم من العلماء الافذاذ الذين فضلوا الجوّ الهادئ ، وان غريباً ، على جوّ فرنسة المتكهرب القاتم الذي ارجفتـه الثورة الافرنسيـة الكبرى بجملته شديد الوطـأة على العلماء والمفكرين .

وكان بين رجال حملته العلمية رجلان قديران من اصحـاب الفنون الجميلة

وكبار الموسيقيين وهما اللذان عززا الفنون والاداب وذلك بقيامهم بتمثيل بعض الروايات الافرنسية لتسلية الضباط وترويح انفسهم وقد اشتغل الجنرال منو الشهير بتشييد مسرح للتمثيل سماه « مسرح الجمهورية والفنون »[1]

« ولكن ذلك كله ذهب في ذهابهم » كما قال زيدان :

اجل ! ان هذا لم يكن تمثيلاً عربياً . الا انه لا يخفى ما في تمثيل هذه الروايات من التأثير على ادباء مصر . وهو تأثير لا ينكر ، وان لم نشهد شيئاً من نتائجه .

كان ذلك كله سنة ١٧٩٩ . . . وقد اقبلت سنون وتصرّمت سنون ، ولم ينتج ادباء مصر وشعراؤها شيئاً مما يمكننا ان نسميه تمثيلاً . . . كانت مصر في حالها اذ ذاك تقضي على البذور الصالحة التي ترمى في تربتها المنتجة الخصبة .

وكان لنا ان ننتظر نصف قرن لنشهد في لبنان ، وفي بهو من ابهاء بيوته الضيقة ، تمثيل اولى الروايات العربيــة ، اعني رواية « البخيل » التي نقلهــا عن « موليير » الاديب اللبناني مارون نقّاش . . . ولم تمض سنتان حتى مثّل في بيته ايضاً ، وعلى مشهد من قناصل الدول ورجالات المدينة واصحابه واقاربه ، اولى الروايات العربية الوضع « ابو الحسن المغفّل » او « هارون الرشيد » . وهكذا فان اول من اشتغل بهذا الفن مسيحي لبناني ، فشجّع اخوانه المسلمين العربيين على طرقه لما فيه من محاسن وجمالات .

ومما لا يخفى ان النقّاش لم يهم بوضع هــذه الروايات الا تلبيــة لدعوة الاقتداء بالافرنج عامة ، وخاصة بالايطاليين الذين امّ ديارهم فزارهم في عواصمهم ورأى فيها فنّ التمثيل بابهى حلله واجمل مظاهره . فلم يكد يستقر له قرار في بيروت حتى اقدم على تعريب البخيل بتصرف ، وتأليف جوق للتمثيل اقتصر على بعض ذويه واصحابه . . .

وللنقاش حسنــة يجبّ ان نسجلها لــه ايضاً بمداد الفضل وهي انه خرج بالمسرح الى خارج داره الخــاصة ، الى مكان في جانب منزله حيث مثّــل

---

١) جرجي زيدان : تاريخ الاداب العربية ٤ : ١٥٢-١٥٣

« الحسود » . . . واذاً فهو الذي اوجد التمثيل وخطا به خطوة ذات شأن.

وما ان شاهد اللبنانيون آثار هذا الفتح الجديد حتى اعجبوا بها فهبوا يعرضون الروايات في المسارح الخصوصية ، والمدارس الكبرى ، والمسارح العمومية. وقد نبغ نخبة من الممثلين في بيروت اشتغل اكثرهم في هذا الفن رغبة فيه ، لا في سبيل الكسب ذُكر منهم سليم النقّاش ابن اخي مارون نقّاش ، واديب اسحق الاديب المعروف ، فترجما روايات عديدة وألّفا بعضها وجما جوقاً مثّل مراراً في بيروت.

وقد احدثت هذه النهضة التمثيلية ميلاً في الشعراء والمؤلفين لوضع الروايات التمثيلية ان نقلاً وان تأليفاً . فنبغ بهذا الفن النجيبان نجيب الحداد (١٨٦٧–١٨٩٧) ونجيب حبيقة (١٩٠٦ †) فخلّف الاول ، على قصر حياته ، عدة روايات اكثرها معرّبة منها : السيد لكورنيل سماها : غرام وانتقام — هرناني لهوغو سماها : حمدان — روميو وجوليات لشكسبير سماها : شهداء الغرام — صلاح الدين : عن قصة لولتر سكوت — رواية المهدي مثّل فيها بعض حوادث المهدي السوداني.

اما نجيب حبيقة فاشهر رواياته لم تطبع بعد « كلصوص الغاب » ، و« شهيد الوفاء » ، وله رواية مطبوعة سماها : « الفارس الاسود »

وقد عاصر هؤلاء غير واحد من الادباء الروائيين المسرحيين لا مجال لذكرهم وذكر مؤلفاتهم في هذا المقام.

ولم يتوقف المؤلفون المسرحيون عند هذا الحد ، فراح قوم منهم يؤلفون الروايات التمثيلية الشعرية فكان لنا منها ما يستحق الذكر كالمروءة والوفاء للشيخ خليل اليازجي[1] ومقتل هيرودوس لولديه للشيخ عبدالله البستاني

وقد توالت الروايات التمثيلية الشعرية العربية على هذا الترتيب.

---

(١) جاء في تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٤ : ١٥٧) ما يلي : « ومن اتقن الروايات التمثيلية المؤلفة في اللغة العربية رواية المروءة والوفاء للشيخ خليل اليازجي وهي الرواية الشعرية الوحيدة في اللغة العربية » قلنا : أما ان تكون المروءة والوفاء من « أتقن الروايات التمثيلية المؤلفة باللغة العربية » فكلام يقرب من الصحة ، ولكن أن يقال انها « الرواية الشعرية الوحيدة في اللغة العربية » فقول يحتاج الى اصلاح كما سترى.

السنة	اسم الرواية	اسم المؤلف
١٨٦٨	التحفة الرشدية	ابراهيم الاحدب
١٨٦٩	وشي البراعة	«
١٨٨٤	المروءة والوفاء	الشيخ خليل اليازجي
١٨٨٧	الحارث	خليل باخوس
١٨٨٩	مقتل هيرودوس لولديه	الشيخ عبد الله البستاني
١٨٩١	السعادة في الشهادة	ميخائيل غبريل
١٨٩٧	تبرئة المتهم او جزاء المكر	رشيد الحاج عطيه
١٨٩٨	تنازع الشرف والغرام (السيد)	شاكر عازار– نجيب زلزل
١٩٠٣	تنصر النعمان	يوسف مراد الخوري
١٩٠٣	لويس دي غونزاغا	يوسف شبلي ابي سليمان
١٩٠٤	حزب الاغتراب والاقتراب في حب الوطن	قيصر الخوري
١٩٠٩	مرآة القرون المتوسطة	الياس طنوس الحويك
١٩١١	لهجة الابطال	الدكتور سليمان غزاله
١٩٢٧	الزبّاء او زينوبيا ملكة تدمر	احمد زكي ابو شادي

الى ان فكر شوقي بفن التمثيل فنشر :

١٩٢٩	مصرع كليوپاترا	احمد شوقي
١٩٣١	مجنون ليلى – قمبيز	«
١٩٣٢	علي بك الكبير	«
١٩٣٣	عنترة	«

نشرنا هذا الجدول توطئة لذكر روايات شوقي ، كما اننا وضعنا هذه المقدمة الطويلة تمهيداً لدرسنا هذه الروايات درساً ادبياً خالصاً معتمدين فيه كل ما يتطلبه النقد الفني النزيه ... وعلى الله الاتكال

مآخذ

جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية – مطبعة الهلال ، مصر

الاب لويس شيخو : الآداب العربية في القرن التاسع عشر–المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

سليمان البستاني : مقدمة الالياذة – مطبعة الهلال ، مصر .

الدكتور طه حسين : في الشعر الجاهلي – مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر

فؤاد افرام البستاني : الروائع : ٢ الشعر الجاهلي – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

« « : مخطوطة في الآداب المصرية

P. H. Lammens, *le Berceau de l'Islam*, Rome,

جولة
في الآثار السورية

في العهد المسيحي ، وفي اوائل العهد الاسلامي

بقلم الاب رينه موترد اليسوعي

كانت سورية وفنيقية ، في كل عصر من عصور التاريخ ، فنّ خاص بهما استفادتا فيه غالباً من المدنيّات الزاهرة في البلدان المجاورة ؛ ولكنهما جعلتاه دائماً على قسط من الحياة ، حتى انه كان يؤثّر بدوره ويدفع الى تقليده . على انه لم يزدهر الفنّ السوري ، في عصر من العصور ، ازدهارَه في العصر المسيحي ، ولا نال من التأثير في الخارج ما ناله في هذا العصر . فمنذ القرون المسيحية الاولى نرى الفنّ ، على اختلاف انواعه من فنّ البناء ، الى الزخرفة ، الى الفسيفساء ، الى تزيين المخطوطات ، قد وصل في بلادنا الى مستوى عالٍ فرض على سكان الاناضول وارمينية وسواحل صقلية والادرياتيك ان يأخذوا به ويقلّدوه . وقد وُجد في جميع هذه البلدان ، تصميات للابنية ، وطرق للعمار ، ومذاهب في الزخرف ، منقولة كلها من سورية . وبعد الفتح العربي ، عندما اوجبت عبادة الفاتحين رفع الابنية الجديدة ، اتجه اول الخلفاء الامويين ، مَن اشتهروا بالرغبة في اقامة الابنية الفخمة ، الى مهندسي سورية وفنّانيهم . وهكذا نرى التقاليد الفنية السورية في اصل الفن الاسلامي . واذاً فلا يخفى اية اهمية يجب ان نعلّق على كل مظهر من مظاهر الفنّ المحلي في سورية بين القرن الثالث والقرن الثامن للمسيح .

وعليه فقد رأينا ان نشير اولاً ، في هذه الجولة ، الى اهمّ الآثار الراقية

الى ذاك العصر والمتأثرة بذهبه الفني ، آثار اكتُشفت او اعيد النظر في درسها، منذ الحرب العامة . وقد خاض العلماء هذا الموضوع قبلنا ، في المؤتمر الدولي الثالث للآثار المسيحية المنعقد في راڤنة من ٢٥ الى ٣٠ ايلول سنة ١٩٣٢ . وما ان اعماله ظهرت مؤخرًا بالنشر ، وفيها دروس ثلاثة تتعلق بعلم الآثار القديمة في سورية :

١ً تقرير عام عن ذلك بقلم كاتب هذه الاسطر

٢ً كلمة بقلم السيد جان لاسوس ، عضو المعهد الفرنسوي في دمشق ، في البنايات المسيحية في سورية الشمالية

٣ً وصف بقلم كلارك هوبكنس للكنيسة المسيحية القديمة التي اكتشفتها في دورا – صالحية على الفرات البعثة الفرنسوية - الاميركية مديرة الحفريات في ذاك المكان[1] .

ويجب ان نضيف ، الى ما ذكرته هذه الابحاث الثلاثة من مصادر الدروس الاثرية ، اسيما ما ظهر ، بعد السنة ١٩٣٢ ، من المنشورات المهمة في الموضوع : منها كتاب الاب جوزف ماترن اليسوعي في وصف « مدن سورية المائتة » ؛[2] ومنها التقارير التي تفيدنا من جهة عن اعمال الاب جان مصريان اليسوعي في السويدية[3] ؛ ومن جهة اخرى عن الحفريات التي تجريها في انطاكية بعثة فرنسوية - اميركية[4] . فنحاول ، من ثم ، ان نرتب المعلومات الجديدة التي تفيدنا اياها كل هذه الابحاث في ما خصّ فنّ البناء ، وزخرفة البنايات المسيحية ،

١) *Atti del III Congresso internazionale di Archeologia cristiana* [Studi di Antichita cristiana, Pontif. Ist. di arch. crist., VIII] 1934 ; pp. 459-476 (R. Mouterde), 477-482 (J. Lassus), 483-496 (Clark Hopkins).

٢) J. Mattern, *A travers les Villes mortes de Haute Syrie* [*Mélanges de l'Université Saint-Joseph, XVII. 1*].Gr. in-8°. 176 pp., 48 pl., 36 fig.,Beyrouth, Imprimerie catholique, 1933. Prix hors de Syrie : 60 fr.

٣) *Comptes-rendus* de l'Académie des inscriptions, 1933, pp. 343-348

٤) J. Lassus, *Un cimetière au bord de l'Oronte...La Mosaïque de Yakto* [Extr. de *Antioch-on-the-Orontes*, I], 1934.

واصول الفن الاسلامي.

المواقع الاثرية، وفن البناء

ان الآثار المسيحية في سورية نعرفها خاصة بفضل كتابات واوصاف ملكيور دي ڤوگوي، واوصاف البعثات الاميركية التي ادارها هـ. ج. بتلر من السنة ١٨٩٩-١٩٠٤. وقد دُوِّنت نتائج هذه الاعمال المهمة في كتاب جديد دُعي «كنائس سورية القديمة»[1]. وفيه درس بنائي دقيق لمائتي كنيسة معروفة، ولما فيها من زخارف، مع لائحة باسماء القرى السورية العديدة التي لا يزال فيها اطلال مهمة من آثار الفن المسيحي. وهناك عدد آخر من المراكز المسيحية ذكرها الاب ماترن ودرس بعضها في كتابه المذكور كما انه نشر فيه دروساً جديدة ورسوماً لاشهر البنايات التي عرض لها سابقاه ڤوگوي وبتلر، وقد زاد عليهما رسوم المواقع مأخوذة بالطيارة ولا تخفى اهميتها في تخطيط تلك الآثار كما في رسم براد، وروَيحة (انظر الرسم ١) وسرجيلية، والبارة، وقصر البنات، وقلعة سمعان؛ واضاف الى وصف هذه الاطلال معلومات من التاريخ الديني والمدني تدبّ الحياة في هذه الآثار الماثلة التي لم توفق، قبل اليوم، الى من يظهرها بهذه الدقة والاناقة والسهولة التي ترضي الخاصة والعامة. ونحن نأخذ عن هذا الكتاب بعض التصاوير للدلالة على ما اختصت به تلك البنايات من مظهر وزخرف. ننشر اولاً منظراً بالطيارة لمدينة رويحة القديمة (الرسم ١) في جبل الزاوية شمالي معرّة النعمان. وقد يتحقق المطالع كيف تقوم الصورة بالطيارة، بعض الاحيان، مقام افضل تصميم يخطّه ابرع مهندس. ثم ننشر في الرسم الثالث واجهة كنيسة بقيرحه، بين حلب وانطاكية، ولا تزال تؤثر في الناظر بارتفاعها نحو السماء في اعلى تلك الخرائب. وفوق هذه الواجهة (الرسم الثاني) منظر لداخل الكنيسة الشائقة التي اقيمت على اسم القديس سمعان

[1] H. G. Butler, *Early Churches in Syria*, ed. by. E. Baldwin Smith. Princeton, 1929.

العمودي ، واطلالها اشبه باطلال بعلبك . ويظهر فيها فنّ الزخرف السوري بكل ما اتصف به من مرونة وقوّة تدقيق ، يزيده وقع النور بهاءً وبروزاً . وهناك امثلة اخرى من هذا الفن في الرسم ٥ البادية فيه عتبة بَعودة في جبل بريشا بين انطاكية وحلب ، وفي الرسم ٤ حيث صوّرنا سطحين من اعمدة كنيسة البارة ، وقد كنا اول من عرّفها الى عالم العلم . وفيهما حيوانات قيدتها اغصان الكَرمة . وهذه الطريقة من الزخرف خاصة بالفن السوري، وقد انتقلت منه فأثرت في الفن المسيحي في راڤينة ، وفي الفنّ الاموي في الاندلس . ويرى المطالع في اللوحة الرابعة مثالًا للمنازل الخاصة (الرسم ٦) وللآثار المدفنية (الرسم ٧) يمثل الرسم ٦ منزلًا ذا كشك في طابقه الاعلى ، والرسم ٧ قبراً على شكل هرم ، ولا تزال آثار الاول ظاهرة في كفرنابو ، والثاني في دانا . ولا شك في ان هذه الصور تفتح امام الكثيرين من قرائنا الكرام عالماً جديداً شائقاً . وهو عالم غير بعيد عنهم لانهم يتمكنون من زيارة الآثار بسهولة ، اذا ما سافروا من حمص الى حلب بالسيارة او من حلب الى انطاكية ، واكثرها لا يبعد عن الجادة فوق ساعة للماشي .

ومما يجدر بنا ذكره كتاب نشره سپن وگوير درسا فيه درساً دقيقاً اطلال الرصافة ، ذاك المزار القديم الذي كان يؤمّه المسيحيون زرافات لزيارة قبر القديس سرجيوس او سركيس[1] . وهناك حفريات كشفت صدفةً كنيستين ملكيتين في تدمر ، وكنيسة مدفنية مع صحن كنيسة منقوش بالفسيفساء في حمص . على ان اعمال الحفر والكشف المهمّة جرت خاصةً في السويدية وفي دورا .

اما في جهات السويدية فان الاب مصريان كشف ، في الجبل الاسود ، اطلال سورب توماس ، وهي كنيسة جيورجية قديمة انتقلت الى ايدي الارمن وزيّنت بزخارف بديعة ترقى بالاثر الى القرن الحادي عشر . ثم انصرف الى العمل في اطلال كنيسة القديس سمعان العمودي الشاب الذي عاش بعد سميّه وشفيعه القديس سمعان العمودي الاول بنحو ثمانين سنة . وقد اقتدى

---

[1] H. Spann u. S. Guyer, *Rusafa, Die Wallfahrtstadt des heil. Sergios*, Berlin, 1926.

به في حياته وتقشفاته كلها . فكان ان مكرميه بنوا كنيسته على مثال ذاك الاثر البديع الماثل في «قلعة سمعان» : فانشأوا بناء مثمناً حول العمود الذي عاش عليه القديس ، واعتبروه نقطة متوسطة يتجه منها الى الجهات الاربع اربع كنائس ترسم صليباً عظيماً . وهكذا فان معبد القديس سمعان العمودي الشاب الذي اكتشفه الاب لامنس من نحو اربعين سنة[1] بدأ يعرفه عالم الآثار القديمة فيدرسه بطريقة مرتبة . وهو يفيدنا طرقاً جديدة في البناء والزخرف بين الآثار السورية المبنية في القرن السادس.

وأهم من هذا الاكتشاف عائدةً على تاريخ الفن ، اكتشاف الكنيسة المسيحية الراقية الى السنة ٢٥٦[2] وبالتالي المعاصرة لكثير من الدياميس القديمة في رومة . فهي اذاً تسبق بخمسة وسبعين عاماً عهد السلام الذي اقره الامبراطور قسطنطين للنصرانية ، فبدأ المسيحيون بفضله يقومون علناً ببناء كنائسهم . وهي تفيد ما كان للنصرانية في ما بين النهرين من انتشار واسع وتأثير عميق ؛ وتؤيد ما يعلمنا التاريخ عن تلك البقعة وعن ملوكها من اسرة أبجر وعن نصرانيتهم منذ اواخر القرن الثاني للمسيح . وقد وُجد على جدران هذه الكنيسة تصاوير تمثل آدم وحواء ، وداود وجُليات ، والراعي الصالح ، وشفاء المخلّع ، والقديس بطرس ماشياً على الماء في العاصفة ، والسامرية على بئر يعقوب ، والنساء القديسات في قبر المسيح . ولا يخفى ان هذه الموضوعات مثلها ايضاً في اكثرها آثار فناني الغرب . وان كانوا نظروا اليها على طريقة اخرى . كان الايمان واحداً وبالتالي الموضوعات واحدة كذلك ، في رومية وفي اقاصي سورية . ولكن في كلتا المنطقتين كان الفنانون المسيحيون الاولون يستعملون موادّ الفن المدني في زمانهم وبيئتهم . فيستخدمون في تمثيلهم الحوادث الانجيلية او الكتابية موارد الفن

---

١) Lammens, *Promenades dans l'Amanus* [*Les Missions belges de la Cie de Jésus*, 1905, p. 53].

٢) راجع في درس هذه الكنيسة ، فضلاً عن البحث الذي تُلي في مؤتمر رائينة ، ما نُشر في *Excavations at Dura-Europos, Fifth Season of Work*, pp. 238-248, Cl. Hopkins et P. V. C. Baur.

العادية وعاداته المتبعة . وهكذا نرى ان مثال الراعي الصالح مشترك بين تصاوير المسيح وتصاوير الشاعر الفيلسوف اورفي ، وهو ظاهر في دورا ظهوره في رومة بسبب شهرته في المذاهب الفنية . ولا يمكن ان نعتقد اليوم ما كنا نعتقده في الماضي ، اذ لم يكن لدينا من مظاهر الفن المسيحي الاول الا تصاوير الداميس وحدها ، بمن ان هذا الفن المسيحي نشأ كله في رومية ثم انتشر منها الى اطراف العالم . لقد نشأ منذ العهد الاول فنّ مسيحي غربي روماني في اكثره . كما انه نشأ فنّ شرقي مسيحي كان فيه لسورية ، من دون شك ، مواد وعناصر عديدة خاصة منها «رغبة في التفتيش عن الحقيقة ، وميل الى التمثيل الحي ، بتماكسان والطريقة الرمزية الغامضة التي كان يتصف بها التصوير والنحت الغربيان في اول امرهما .»[1]

الزخارف وفن الايقونات ، والفسيفساء

من درس اصل المصلوب، اي تمثيل المسيح على الصليب، لا يلبث ان يتضح لديه دور سورية وفلسطين في نشأة فن الايقونات . وقد سبق المشرق فنشر بحثاً في هذا الموضوع (١٩٠٦) . لم يكن يجرؤ المؤمنون في اول عهدهم على تمثيل المسيح مصلوباً ، انما كانوا يكتفون فقط بتصوير آلة الآلام اي خشبة الصليب ، او الصلبان الثلاثة ، دون ان يصوّروا عليها اجسام المعذّبين. ثم اخذوا يتقدّمون شيئاً فشيئاً فمثّلوا اولاً المسيح لابساً ثوباً طويلاً ، ثم عرياناً . وان لنا في متحف دمشق اثرًا نفيساً يرتقي بلا شك الى عصر هذا التطور الاولي ، عهد لم يكن للفنانين الا القليل من الاختبار فكانوا لا يزالون على شيء من الاضطراب. وقد نشرنا بموافقة امين المتحف المذكور الامير جعفر عبد القادر ، صورة هذا الاثر ، وهو يمثل، على تأويل الاب رونزفال ، تمجيد المسيح مصلوباً بظهور ملكين يحملان اكليلاً[2] . وهناك تأويل آخر للاثر معقول ايضاً وان يكن في نظرنا

(١ J. de Jerphanion, s. j., *Bulletin d'Archéologie chrétienne, III* (= *Orientalia*, XXVIII, 2, 1932), p. 296.

(٢ *Atti del III Congresso*..., pp. 465 sq., fig. 8.

اقل امكاناً ، وهو ان يكون الفنان قد اراد تمجيد احد القديسين العمودين .
ولا يخفى ما كان من اكرام الشعب لاولياء الله هؤلاء منذ القدم ، وما كان من
رغبته في تمثيل صورهم . ونحن نعرف انه كان هناك تماثيل صغيرة وايقونات تمثل
القديس سمعان العمودي القدم حتى في عهد حياته ، وكان يحملها مهاجرو
السوريين الى رومة ويعرضونها في مدخل حوانيتهم . فيكون ان هذه التماثيل
والايقونات الصغيرة نشأت اولاً في سورية في سبيل تصوير قديس سوري
وانتشرت منها الى رومة . وقد جمع مؤخراً الاستاذ جان لاسوس امثلة جديدة
لهذه التصاوير القديمة ، ودرسها في نشرة المعهد الفرنسوي الدمشقي.[١] –

ولنذكر اخيراً ، خاتمين الدرس عن مظاهر الفن المسيحي في بلادنا ،
اكتشافين عصريين يهمّان تاريخ الليتورجيات . اما الاول فهو انه وجد في
بتّاوي ، في شمالي سورية ، منبر اسقفي من الحجر وعلى ظهره كتابة نافرة
باللغة السريانية ترقى الى نحو السنة ٥٠٠ (الرسم ٨)[٢] .

واما الثاني فهو انه اكتُشف في السويداء (جبل الدروز) قطعة من الفسيفساء
في الكنيسة الملكية القديمة تمثل شخصاً واقفاً ذا لحية ، يحمل في يده اليمنى
شمعةً في شمعدانها[٣] . وهو شماس انجيلي يلبس الاولاريون اي قطعة من
القماش الابيض طويلة يحدّها خطّ اسود منحدر من الكتف الشمالية حتى
الركبة . وهو اقدم مثال معروف لهذا الثوب الطقسي الذي ذُكر منذ القرن
الرابع في مجمع اللاذقية .[٤]

اما في انطاكية ، فان لم تكن الحفريات التي تتابع منذ ثلاث سنوات قد
اكتشفت كنائس قديمة ، فقد اطلعتنا على فسيفساء في ياكتو قرب دفنة المدعوة

١) *Bulletin d'études orientales, Institut français de Damas*, t. II, pp. 67-82, 5 pl.

٢) Abbé J. B. Chabot, *Syria*, X, 1929, pp. 252 sq.

٣) اطلب خاصة Dunand, *Syria*, VII, 1926, pp. 333 sq. ; Parrot, *Rev. biblique*, 1934, pp. 97 sq.

٤) G. de Jerphanion, *Orientalia Christiana*, XXXIV, 2, 1934, pp. 192 sq.

اليوم « الحربية » نشرها الاستاذ جان لاسوس في المجلد الاول لنتائج الحفريات المسمى *Antioch - on - the - Orontes* ، وهي تمثل الحياة في انطاكية ، تلك المدينة العظمى ، في العصر المسيحي (القرن الخامس والسادس) . وعلى اطارها صور لاشهر بنايات المدينة ، ابتداء من ينابيع دفنة واتجاهاً بدقة نحو نهر العاصي والقصر الملكي . وفي احد المشاهد المحفوظة صورة الكنيسة الذهبية المشهورة (*Dominicum aureum*) التي شيّدها قسطنطين الكبير . ويرى الناظر في ذلك المشهد رجلًا واقفاً وقوف المصلي امام بناية ساطعة البياض تنتهي بخطوط منحنية لا يمكن ان تكون لغير قبة . وسواء أمثّل الفنان قصور السراة ، او التماثيل على قواعدها العالية ، او الحوانيت الى جانبي الشارع ، او المكارين يسوقون دوابّهم المحمّلة ، او باعة الزيت المتنقلين ، او الحمّالين وعلى ظهورهم الاعباء الثقيلة المربوطة بالحبال ، ففي خطوطه دقة خاصة بالفن المسيحي . وان هذه المشاهد المأخوذة لا تزال مألوفة في عصرنا حيث نرى الاشخاص انفسهم يجولون في اسواق مدننا .

٣ اصول الفن الاسلامي

ظهر مؤخرًا كتاب نفيس في اصول الفنّ الاسلامي . هو كتاب الاستاذ كريسويل المعنون « فن العمارة الاسلامية الاولى : عهد الامويين »[1] والذي اتانا بنور ساطع على هذه المسألة التي كانت لا تزال غامضة في نظر الكثير من العلماء .

فاصبحوا يتفقون اليوم على ان لا ينعتوا « بالفن العربي » ذاك الفن الذي ازدهر في سورية ، ومصر ، والاندلس ، ومراكش ، منذ القرن السابع للمسيح . فان العرب الذين اتوا من منطقة فقيرة متأخرة لم يكن لهم ثقافة خاصة متقدّمة . « ولم يستحق هؤلاء الغزاة ذاك الاعجاب الذي اولاهم اياه البعض في بلاد الغرب ، مدفوعين احياناً بروح الرغبة في الشيء الغريب ، واحياناً

(1 A. G. Creswell, *Early Muslim Architecture*, part. I, *Umayyads* 622-650. In-folio, XXII, 414 pp., 80 pl., 491 fig. Oxford 1931.

بسبب التباس استفاد منه العرب. أو لم يبالغ البعض حتى انهم اخذوا يتكلمون عن « الفن العربي »، وهو تعبير لا معنى له . لقد كان هناك فتح عربي . وهذا وحده لحادث عجيب ، وهناك ادب عربي قام به مسلمون مثقفون متضلعون من لغة القرآن . ولكن يبقى علينا ان نفتش عن اصول كبار الكتبة فنجد ان القليلين منهم كانوا عرباً . » . . . و« كان من فضل بلاد فارس انها ثقفت المسلمين ، كما يقول ابن خلدون . »[1]

ليس من تولد ذاتي في محيط الفنون الرفيعة ، كما انه ليس من تولد ذاتي في عالم الحيويات . وهكذا فقد نشأ الفن الاسلامي كما نشأ الفن المسيحي بفضل تطور التقليد الفني السابق وتطبيقه على الحياة الجديدة . لقد نما اولاً بتأثير الخلفاء الامويين فتأثر بمظاهر الفن اليوناني كما كان باقياً في سورية المسيحية ، وبمظاهر الفن البيزنطي ، وبالفن الشرقي القديم الباقية مظاهره في ما بين النهرين وفي بلاد فارس . ولا يخفى ان تصميات البنايات الاولى التي حلت امام العرب محل المساجد القديمة قد اتخذت من تصميات الكنائس الملكية المسيحية ذات الاسواق المتوازية . وكل هذه البنايات مسقوفة بسقوف عادية ، لا قبب عليها . وهي تستعمل ، على عهد الامويين ، في جدرانها الحجر المنحوت المركز بعضه على بعض دون كلس . كما كانت تستعمل ذلك البنايات المسيحية في القرن الرابع الى السادس . ولم تظهر القبة والعقود في الفن الاسلامي الا بعد ان انتقل العباسيون بالخلافة الى بغداد فاستعملها البناؤون كما استعملوا في بنائهم اللبن والكلس . ولنلاحظ ان ما قلد به الامويون الفن القديم لم يكن تقليداً اعمى . فان علماء العصر يرون في الجامع الاموي الدمشقي اكثر من تحويل بسيط من كنيسة الى جامع . لقد بناه كله الوليد الاول . فبدا « اثراً مبتكراً أُخذت فيه واجهة احد القصور البيزنطية وطبق وراءها تصميم بناء ذي ثلاثة اسواق متوازية »[2] وهناك « قبة الصخرة » في اورشليم ، وهي تستوحي بتصرف من

١) G. Wiet, *Précis d'histoire de l'Egypte*, t. II, *L'Egypte byzantine et musulmane*, 1932, p. 139.

٢) A. Gabriel, *Syria*, XIV, 1933, p. 213

تصميم كاتدرائية بُصرى.

اما موادّ هذه الجوامع الجديدة فقد اتخذت كذلك من مواد الهندسة السورية . « فالمحراب المحفور في جدار الجامع ، الذي يدلّ المصلّين على القبلة ليس في اصله الا الحنيّة الظاهرة وراء الهيكل في الكنائس . وكذلك المنبر الذي يلقي من فوقه الخطيب خطبته كل جمعة في صلاة الظهر ، يمثل في اصله منبر النبي . ولكن عندما احتيج الى منبر يوافق تصميم الجوامع الجديد في سعته ، تحوّر مظهره وقُلّدت فيه منابر الكاتدرائيات المرتفعة في الحنايا . . . اما المئذنة الاسلامية الاولى فقد قُلّدت فيها قبب الاجراس السورية . . . وها ان اقدم مئذنة في جامع دمشق ، وهي « منارة العروس » ، كانت في اصلها برجاً مربّعاً قليل الارتفاع مبنيّاً بالحجارة المنحوتة . . . وهناك كثير من المآذن الشرقية احتفظت بهذا الشكل ولم تتطور الا شيئاً فشيئاً بتأثير بلاد ما بين النهرين وفارس . »[1]

اما زخارف الجوامع الاولى فهي متفرّعة رأساً عن الزخارف اليونانية والبيزنطية ، كما ظهرت في سورية . وكان تمثيل الاشخاص البشرية قبيل الهجرة وفي هذا العصر ، قد تلاشى من الزخارف ، فاقتصر عليه الزخرف النباتي ثم الزخرف الهندسي ؛ وهناك الفسيفساء تزيّن الجدران والبلاط . ولم يتجاوز مزخرفو البنايات الاسلامية هذه الطرق والاساليب . وقد رُفع الشيد مؤخراً عن الفسيفساء التي تزين الرواق الغربي في جامع الوليد . فظهر فيها ان الفنانين ، الذين كانوا نصارى على الارجح ، صوّروا سلسلةً من الاكواخ والبنايات الرفيعة القائمة على ضفتي النهر تفصلها الاشجار الباسقة كأنهم يصوّرون مدينة شائقة من مدن الحلم .(الرسم ٩) بالوان عجيبة متراوحة من الاخضر الى الاكدر الى الاصفر الى الذهبي الباهت تشوبه مشحات من الابيض الناصع والازرق والبنفسجي . ويزيده وقعاً خفيفاً ما يؤثر في العين من تمازج الاخضر بالذهبي[2] .

---

١) H. Terrasse, *L'art hispano-Mauresque des origines au XIIIe s.* Paris, 1932, p. 10-11.

٢) الكتاب نفسه ، ص ٢٥

واننا نرى الفنّ نفسه في فسيفساء « قبة الصخرة » في اورشليم . وهناك زخارف منحوتة تبدو فيها النزعة الشرقية بجلاء اوضح ، وهي الزخارف النباتية التي تزيّن حنايا قصر المشتى الذي بناه الوليد الثاني في البادية شرقي الاردن ، في النصف الاول من القرن الثامن[1] . وها ان مؤرخي الفن كالاستاذ كريسويل ، يؤيدون ما ذهب اليه العلماء ، فينسبون هذه الزخارف الحجرية الجميلة الى اوائل الفنّ الاسلامي .

ولا يخفى ما هناك من اللذة والفائدة في التفتيش عن تأثيرات الفن الاموي في العالم الاسلامي . وسيكون قسم من هذا العمل ، دون شك ، من نصيب العلماء الذين يرودون مناطق سورية المجاورة كالاستاذين غبريال وسوفاجيه[2] . ويجدر بنا ان نشير ، منذ الآن ، الى ان هذا الفن الاسلامي الاول قد قطع مضيق جبل طارق مع القائد المشهور ، فازدهر في اسبانية بفضل الدولة الاموية التي قامت فيها نحو مائتي سنة ٧٥٠–٩١٢ . ومن السهل ان يميّز الدارس في جامع قرطبة القديم العناصر السورية . فيكون « ان الفن الاموي في الاندلس غصن من الفن الاموي في سورية . »[3]

(١ H. Lammens, *La Syrie, précis historique* I, 1921, pp. 96-98

(٢ *Syria*, XIV, 1933, pp. 86-87

(٣ H. Terrasse, op. cit., p. 69



اخبار

سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت

الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١–١٦٨٤

كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني اسقف ماردين ؟

مرافق المسافر وترجمانه

نشرها الخوري اسحق ارملة السرياني

٤ (تتمة)

٢٢ وصول هدايا لويس الرابع عشر الى عباس شاه العجم بواسطة المونسنيور پيكيت

وبعد دخولنا اصبهان بسنة وازيد جاء عند المونسنيور بيكيت قسيسان من باريز اسم الواحد مسيو روك والآخر مسيو سنسون. وبعد مدة جاء راهبان يسوعيان [١٦٦] من باريز وجابا الهدية التي بعثها ملك فرنسة الى الشاه (عباس) حتى يسلمها اليه المونسنيور. وننا وصلا مرضا. وكان الشاه خارجاً عن اصبهان مسافة اربعة ايام. فلما سمع بوصول الهدية ارسل الى المهمندار يقول له بان يرسلها اليه. فجاء المهمندار وكلم المونسنيور فجاوبه ان الهدية هي ساعات واسطرلابات فما يمكن ارسالها الا مع احد يكون يعلم بحركاتها وهذا البادري هو معلم لكنه مريض. فان شاء الله [١٦٧] متى تعافى نرسله وصحبته الهدية. فارسل المهمندار جواب المونسنيور الى الشاه. فكتب الشاه مكتوباً آخر الى المهمندار يقول ان يرسل الهدية بغير معلم وعندما يتعافى المعلم يبقى يصحبها[١]. فجاء المهمندار وقرأ مكتوب الشاه للمونسنيور. والبادرية ما كانوا يريدون يرسلون الهدية بل كانوا ينتظرون حتى يتعافوا من المرض. والمونسنيور كان يريد ان يرضي خاطرهم فقال المهمندار اصبر كم يوم ان شاء الله يصحون[٢] ثم

١) يخبرها او يشرف عليها ٢) يتعافون

ترسلهم صحبة الهدية [١٦٨] فلم يرضَ المهمندار بل قال ارسلها مع ترجمانك وحكيمك .

ولما كان المساء بعد ما تعشينا اخذنا نتحادث بهذا الخصوص . وكنا انا والحكيم متحضّرين للرواح مع الهدية . لان كل الناس كانوا يعرفوني اني ترجمان الالجي . والحكيم ايضاً يعرفونه . وكان يصير بذلك اكبر وقار من ان يؤدي الهدية الرهبان الغرباء الذين لا يعرفهم احد ولا يعرفون اللسان . ثم ان المونسنيور قال : انا ما انا إلجي . هولاء الذين جابوا الهدية هم الجية . وكان يقول ذلك من باب الطاعة وتكريماً للرهبان اليسوعيين . فقلت له يا سيّدي [١٦٩] كيف تقول انك ما انت إلجي واليوم لك ازيد من سنة في اصبهان والشاه يعمل مصرفك مثل باقي الالجية . وجميع الناس يعرفون انك انت الالجي . فقال لي من باب الحكي : انت ما يحق لك التكلم بهذا الوجه . وبعد ما تحادثنا مدّة قمنا صلّينا جميعنا كالعادة وراح كل واحد الى حجرته ينام . وباكرًا اجتمعنا في الكنيسة كالعادة لنحضر القداس نحن وكل ناسنا وكان المونسنيور جاثياً امام المذبح وكلٌ منّا جاثياً في مكانه . فلما قام المونسنيور قمتُ حتى اشلّحه [١٧٠] فروته واغسل يديه كالعادة فاحتضنني وقبّلني قائلًا : اغفر لي لاجل الله . فلما نظرته هكذا سقطت عاجلًا على رجليه قائلًا: يا سيّدي انت السيّد وانا العبد . فالواجب ان اطلب انا الغفران . فكيف تسألني انت الغفران ؟ ولم تتكلم معي كلاماً يكدّر خاطري . بل انا تفاضلت بالكلام ؟ فاحتضنني واقامني من عند رجليه وهو يبكي . فلما نظر الحاضرون هذا الاتضاع العظيم تحيّروا جدًّا . ثم امرني ان اروح بعد سماع القداس الى المهمندار واطلب منه دوابّ فرجعت وربطت ثلاثة احمال الهدية وحملًا لاجل الخيمة والشراب ودابّتين للخدام . ونحن ركبنا خيلنا وطلعنا . اما المهمندار فبعث معنا ستة انفار من الجند حتى يرافقونا لا للخوف من الدرب بل اكراماً للالجي . فسرنا وبعد اربعة ايام وصلنا الى جندسان حيث الشاه وعساكره . فاستقبلونا حالًا وانزلوا الهدية في خيمة الوزير الثاني . اما الشاه فكان مع النساء في الخيم فاعلموه بوصولنا فارسل الخصيان عاجلًا يأمرونا حتى نفك الاحمال

[١٧٢] فتحناها واخرجنا الهدية واصلحنا كل شيء. وطقّسناها[١]

وكانت الهدية ساعة كبيرة كصندوق . وساعة مدوّرة كالكرة . ومرايا من بعض معادن اذا انتصب قبال الشمس يحرق كل ما يجتاز امامه . وكانت ايضاً اسطرلابين من نحاس ملطوخ بذهب احدهما للسماء والآخر للارض. وثمانية كتب كبيرة مطبوع فيها دولة ملك فرنسة وعظمته وسراياته وبساتينه وركوبه[٢] . فحمل الخصيان جميع ذلك وادخلوها الى الشاه . ثم اعطونا مكاناً في الاوردي[٣] فنصبنا الخيمة التي كانت معنا . وجعل الوزير عندنا [١٧٣] اناساً يخدموننا . وعند الغدا ارسلوا لنا صفرة كلها صحون فضيّة ملآنة من جميع المآكل . وكنا اخذنا معنا صندوق شراب فتغدينا . ووقت المساء جاءنا ايضاً صفرة احسن وفيها البلاو[٤] . لانه في العجم كل ما هو طيب يتركونه للعشاء. فبقينا يومين ثم استأذنّا الوزير ورجعنا. وبعد ثلاثة ايام وصلنا المساء الى اصبهان ودخلنا على المونسنيور وحكيناه كل ما صار . ففرح غاية الفرح.

ثم رحنا انا والحكيم الى ضيعة بعيدة عن اصبهان نحو عشرة اميال تسمى نجف آباد [١٧٤] وهناك عدة كروم فاخذنا عنباً وعملنا شراباً جيداً . وفي شباط او آذار عمل الشاه ايضاً ضيافة وصاح جميع الالجية وبعث الى المونسنيور اربع خلع غالية الثمن : الواحدة منديل اي شاش منسوج بقصب وحرير . والثانية قبا كله منسوج بقصب ذهب . والثالثة بالابوش اي جوخة كلها منسوجة بقصب فضة . والرابعة حزم يسمونه جار غازي منسوج بحرير وقصب. ثم بعث لي انا خلعتين اخفّ من الاربع وارخص : الواحدة قبا داري منسوجة فيه وردات قصب . والثانية ايضاً جوخة مثل القبا . وبعث [١٧٥] للحكيم ايضاً خلعتين مثلها . وللبادرية اليسوعية مثلها . وكل ذلك جابه المهمندار . ثم دعانا للغدا.

وفي الغد بعث لنا خمس افراس كالعادة واخذونا بالطاقم[٥] المذكور اعلاه .

١) رتّبناها ٢) خيله
٣) المعسكر ٦) الارز
٥) بالنظام

وكان الشاه في ذلك اليوم قد عمل المجلس في بستانه خارج اصبهان واسم البستان «هزار غريب» . فعدّينا على الجسر ودخلنا ضمن البستان ونظرنا الطقس كالاول . ثم ادخلوا المونسنيور وادخلوني انا عند الشاه فسلمنا عليه . ثم اعطى الشاه مكتوباً[1] الى المونسنيور [١٧٦] وقال له ابعث هذا المكتوب الى محبنا ملك فرنسة وسلم عليه . وان كان له خدمة يأمرنا لنقضيها . فدعا له المونسنيور واستكثرنا خيره ورجعنا بغير غدا . لان العادة لا يتغدّى الالجي بعد المكتوب . وايضاً من ذاك اليوم وصاعداً لا يعطونه المصرف . فبقينا نصرف من كيسنا .

٢٣ ذاهب المونسنيور يكيث للسفر الى همذان

ثم أمرني المونسنيور ان اهتم بكل ما نحتاج اليه لنسافر الى همذان وهي بين اصبهان وبغداد . ولما كان خميس الفصح عمل المونسنيور [illegible][2] في البيت فجمع ثلاثة عشر ارمنياً وغسل ارجلهم وتصدق عليهم [١٧٧] بالثياب والفلوس وخدمهم على المائدة كالعادة .

وبعد العيد ارسلني المونسنيور الى الاوردي حيث الشاه واعطاني مكتوباً للوزير يطلب فيه اولاً : ان يبني اليسوعيون كنيسة في ايروان . ثانياً : لكي يعطيني أمراً بان لا يظلم الحكام للقاتوليقيين الذين في نقشوان . ثالثاً : الاذن لي حتى اذا عبرت في ارضه عند رجوعي من باريس بكرموني . رابعاً : توصية ليّ لحاكم همذان . فاخذت المكتوب وركبت من بكرة وقصدت الاوردي [١٧٨] واخذت معي خادماً . فوصلت نصف النهار وقابلت الوزير وسلّمته المكتوب . فقال لي ارجع اليّ بكرة . فرحتُ نمتُ تلك الليلة في احد البيوت . وثاني يوم بكرة رحت اليه . فقال لي ارجع الى الالجي وانا ابعث له كل ما طلب فرجعت وكان نهار الاحد . ولما وصلت الى البيت لم اشاهد المونسنيور ولا الخدام ولا الناس فسألت البواب فقال انه راح الى جولة

---

١) اطلب نصّ هذا المكتوب في المشرق ٢٣ [١٩٢٥] : ٢٦٦.

٢) لفظ سرياني يراد به غسل الارجل يوم خميس الفصح

فركبت اليها ووصلت الى البيت الذي كان فيه فرأيت جماعة الفرنج مجتمعين [١٧٩] وقد تغدّوا وجلسوا يتحادثون مع المونسنيور . فدخلت عليهم وسلّمت وقبّلت يد المونسنيور فاجلسني جنبه واخذ يسألني عمّا صار . فاخبرته ففرح وباركني . ثم اخذني وقمنا تمشّينا في البستان وهو يتكلم معي . ثم ركبنا ورجعنا الى البيت.

وبعد يومين ارسل الوزير الامور التي طلبها المونسنيور . وأمر ان يعطونا عشرين جملًا لرفع أثقالنا وأحمالنا وثمانية خيل للركوب. ولكنها لم تكن تكفينا [١٨٠] . فرحتُ استكريتُ عشرين فرساً اخرى ليركب بقيّتنا ونحمّل باقي احمالنا. وتحضّرنا للسفر. وبينما نحن كذلك جاءنا بادري كبّوجي من تفليس اسمه جوستيانس ارسله الخان يطلب من المنسنيور ليروح يسكن تفليس. لان الخان لمّا سمع عن فضائله اراد ان يسكن عنده. فامتنع المونسنيور وقال انه ما بقي يمكن ان اجيء الى هناك . وكان للخان اخٌ في اصبهان [١٨١] اسمه لورساب مرزا وكان صاحب المونسنيور يبعث اليه هدايا ويعرّف الخان بفضائله . وزاره المنسنيور فاضافه واكرمه. وانا والحكيم كنّا نزوره في الجمعة مرة.

وارجع الى كلامنا. فلمّا دنت ايام سفرنا كان قد فضل عندنا من الحطب والفحم والتبن والشعير والخشب والخوابي واشياء كثيرة لم يمكن تحميلها . فاعطى المونسنيور كل ذلك الرهبان الكبوجيين. وجاء بعض فقراء ايضاً اخذوا من التبن والحطب وغير ذلك [١٨٢]. ولم يكن المونسنيور يتكلّم بل يقول لي اتركهم يأخذون لانهم فقراء . وكان الذي اخذه الكبوجيّة والفقراء يساوي اكثر من مائة قرش . والمونسنيور لم يحسب ذلك شيئاً ابدًا . ثمّ صاح الخدّام وكلّمهم وقال : الذي يريد يجي معي فليجئ والذي لا يريد فليقل . فالذين لم يريدوا يجون طلبوا منه دستورًا فاعطاهم حقّهم وانعم على كل واحد بكم عباسي . واما الذين ارادوا المجيء فكتب اساءهم وكانوا ستة. ثم ان المهندار جاب لنا رجلًا حتى يرافقنا [١٨٣] ،ويصير مهندار الدرب ويحضر كل يوم عشرين جملاً مع ثمانية افراس من الضياع التي في الدرب مثلما أمر الشاه . ثم احضر لنا الجمال والخيل . امّا الارمن المحبّون للمنسنيور فلما سمعوا امر

رواحنا بقوا كل يوم يجون اليه ويزورونه ويتباركون منه ويتأسفون على فراقه .

٢٤ خروج المونسنيور بيكيت من اصبهان

ثم حثلنا ليلة احد الفنطقوسطي[١] من اصبهان وطلع معنا جميع الفرنساويين الذين في جولفة وساروا معنا مقدار ميلين ورجعوا . ونحن سافرنا وبتنا خارج اصبهان في كروان سراي وبقينا هناك يومين لبينا عدّلنا[٢] جميع اشغالنا [١٨٤] . ثم ارتحلنا قاصدين همذان . وكانت جميع ايام مكوثنا في اصبهان اثنين وعشرين شهرًا واياماً . وكنا برفقة المونسنيور : مسيو روك ومسيو سنسون ومسيو ويتا الحكيم واندري الطبّاخ وانا الفقير وانطون الصبيّ الارمني الترجمان بعدي وستة خدّام ارمن وبادري يسوعي رائح الى ايروان ليسكن هناك مع خادمه . وبادري دومينكاني من البندقية كان في بلاد الهند . وبادريان آخران من دومنكان نقشوان ورجل من نقشوان . هولاء جميعهم كانوا برفقة المونسنيور .

[١٨٥] امّا المهندار الذي رافقنا فكان رجلاً خائناً عمل معنا نقصاً عظيماً . ففي ذات يوم نزلنا في كروان سراي جانب الضيعة وكانوا ملزومين ان يعطونا الجمال كأمر الشاه . فراح هذا الخائن واخذ منهم دراهم كروة الجمال وقال لهم انا اتقني[٣] جمالاً للالجي . ثم ركب فرسه وهرب مع خادمه . امّا الجمال التي معنا فكنا اطلقنا سبيلها ظانين ان هذه الضيعة تعطينا جمالاً كباقي الضياع . ولمّا كان المساء ونحن مرتاحون ننتظر الجمال لنحتل كعادتنا ونسير في الليل لئلا يتعب المونسنيور في الشمس [١٨٦] لم تحضر الجمال . فركبت مع آخر ورحتُ الى الضيعة في الساعة الواحدة من الليل وسألتُ عن الرئيس فلم يعلمني احد عنه . بل قالوا لي نحن قد اعطينا حقّ الجمال للمهندار . فقلتُ واين هو المهندار ؟ قالوا لا نعلم . فبعثتُ الخدّام فراحوا جابوا لي الرئيس واثنين آخرين . فأخذتهم وحبستهم داخلاً حتى يجيبوا لي جمالاً . فاسرع اهل الضيعة جميعهم حتى يتكاولوا[٤] معنا . وكان اصحابنا والخدّام خارج الباب فتكاولوا معهم بالحجارة

---

١) النصرة في ٢٠ ايّار ٢) رتبنا
٣) أحصّل ٤) تكوّلوا وانكالوا اي اقبلوا عليهم بالضرب والشتم

ورموا اثنين من الخدّام . فلمّا سمعتُ [١٨٧] خرجت خارجاً وسألتُ ما الخبر ؟ فقال لي الخدّام قد كبسونا وقتلوا منا اثنين . قلتُ اين هما ؟ قالوا هما مطروحان على الارض . قلتُ خذوهما وادخلوا كلّكم الى داخل واغلقوا الباب ففعلوا . فلما قربتُ منهما لقيتهما ميتين بدون نَفَس . وكانت الساعة الثانية من الليل . ثم شعلوا المشاعل وجاء الحكيم يجس المجروحين فلقينا ان قد اصابتهما الحجارة في راسيهما والدم يجري منها وهما كالموتى . ثم اني احضرتُ رئيس الضيعة وارفاقه [١٨٨] وقلت لهم أهكذا تعملون في ناس الاجني وتقتلوهم ؟ وأمرت الخدّام ان يجلدوهم . فجعلوا يجلدونهم وهم يستغيثون .

وكان المونسنيور في كل ذلك جاثياً في حجرته يصلّي . فلمّا سمع هذا الضجيج بعث صاحني[١] وقال ما الخبر ؟ وما هذا الصياح ؟ فحكيته بكلّ ما صار من الاول الى الاخير . فنهض مرعوباً لمّا سمع عن موت الخادمين وجاء اليهما ونظرهما واخذ يبكي . اما رئيس الضيعة ورفاقه فلمّا رأوا المونسنيور بدأوا يستغيثون ويقولون اننا بلا ذنب . ما هذا الجلد الذي يجلدوننا ؟ فقال لي المونسنيور لا تخلِّ احد ينكد[٢] عليهم [١٨٩] فكّ رباطهم واتركهم حتى نبصر كيف ينتهي الامر . ثم اخذ يتكلّم مع الحكيم عن الخادمين ورجع الى حجرته وجثا للصلاة . واخذ الحكيم يعالج المريضين وكان يسكب في فمهما بعض اشربة . وبعد ساعة افاق الواحد من غفلته ورجع الى عقله وتكلّم ففرحنا . ورحت قلت للمونسنيور ففرح وزاد في الصلاة . وبقي الثاني على حاله بغير كلام . اما الرئيس ورفاقه فاوصيتُ ان يحبسوهم فالتمسوا قائلين ابعث منا واحداً حتى يروح يفتّش عن جمال ونحن الاثنين نبقى محبوسين [١٩٠] . فشاورت المونسنيور فقال لي افعل ما يقولون . فبعثتُ واحداً منهم الى الضيعة وتغافل معهم على فعلهم . وانا تلك الليلة لم اقدر انام من خوفي على الخادم . بل كنت اروح دائماً اجسّ عليه . وقرب الصبح افاق على ذاته ورجع الى عقله وتكلّم . فاعلمت المونسنيور ففرح وشكر نعم الله .

ثم جاء بعض ناس من الضيعة معتذرين متوسلين الى المونسنيور حتى لا

١) استدعاني ٢) لا تدَع احدًا يتعدّى

يجازيهم كفعلهم . فعفا عنهم وطيّب خاطرهم وقال جيبوا لي الجمال وانا اعطي حقها ولا تخافوا . فقالوا ههنا قريب ضيعتنا [١٩١] بميلين او ثلاثة اناس ساكنوا الخيم عندهم جمال فابعث احد رجالك ليستكري لاننا نحن فلاحون ما لنا جمال. فركبتُ واخذتُ معي خادمين ورحت الى الخيم فطلع عليَّ الاهالي بالعصي والحجارة حتى يكاولوني ظانّين اني جئت آخذ جمالهم بالجبر. فلما نظرتهم هكذا ابتدأت الاطفهم قائلًا : يا ناس اجياد انا ما جئت اكاولكم وآخذ جمالكم بالجبر. فلو جئت لذلك لجبتُ معي اناساً كثيرين حاملين السلاح . ولكن جئتُ اكلّمكم بالمعقول [١٩٢] وأُستكري جمالكم واعطيكم حقكم ههنا قبل ان احتلها . فرموا الحجارة من يديهم وجاء بعضهم يترسلون حتى انزل عن فرسي فأنزلوني وأدخلوني الى الخيمة واجلسوني . وجاء المعقولون وتكلّموا معي قائلين : اننا لمّا سمعنا عن مجيئكم هرّبنا الجمال الى مكان بعيد لخوفنا . ولكن نفتّش لك فان وجدنا جمالًا عند احد فبلا شكّ نرسلها لك . لان غير الجيّة عندما يجتازون يظلمون الناس ويأخذون جمالهم بغير حقّ ويعذّبونهم . ولكن لما سمعنا عن سيّدك الإلجي انه رجل [١٩٣] صالح ندمنا كيف بعثنا الجمال . ثم فتشوا ووجدوا رجلين بينهم عندهم ثمانية جمال فاحضروها اليَّ وتكلمت معهم وقلتُ لهم اريد عشرين جملاً . فقالوا ما عندنا غير هذه . ولكن في الضيعة الفلانيّة جمال كثيرة فاذا سمعوا انك تعطي الكرى فهم يترسلون فيك . فان اردتَ ابعث لهم احدًا او رحْ انت اليهم . فقصلنا معهم الجمال الثمانية بثمن معلوم الى مدينة جول بايغان وهي درب يومين . وقلت لهم اي وقت تجيبون الجمال؟ قالوا قبل المساء . واول وصولنا اليك تحمّل وترحل [١٩٤] . فقمت حتى اركبَ فأمسكوني حتى اتغدّى عندهم فتغدّيت وغدوا الخدّام . واعطوني قليلاً من السمن الطري واللّبن هديةً للالجي . فركبت ورجعت وحكيتُ المونسنيور بكل ما جرى ففرح.

. ثم قصدتُ الضيعة التي اخبروني عنها وطلبت من اهلها جمالًا للكرى فجاء رجل معقول وكراني اثني عشر جملاً واضافني وركب معي هو ورفيقه قاصدًا زيارة المونسنيور لمّا سمع عن فضائله . ولمّا وصلتُ حكيت المونسنيور عن

الرجال . فقال خلّ يجون . فدخلوا عليه وسلّموا وتكلّموا معه [١٩٥] وانشرح خاطرهم . وكان وقت الغدا فوضعوا الصفرة ودعوا المونسنيور للغدا فعزم[1] هذين الرجلين فتغديا معنا . وبعد الغدا قلتُ لهما كيف اكلتما معنا وانتما محرّم عندكم الاكل مع النصارى ؟ فقال لي احدهما لو كان النصارى مثل هذا الرجل لسنا نحرّم الاكل معهم . لكن هذا هو ملاك الله فكيف ما ناكل معه ؟ ولمّا كنّا نتغدّى جاء واحد من ناس الوركي باشي اعني من وزراء الشاه كان قادماً من همذان رائحاً الى اصبهان . فلما نزل في الكروان سراي استدعاه المونسنيور الى الغدا [١٩٦] فجاء وتغدّى معنا . وبعد الغدا حكاه المونسنيور عن افعال المهندار . ثم احضرنا رئيس الضيعة المحبوس ورفاقه فحكموا بجميع ما فعل المهندار . فتحيّر الوزير ثم كتب المونسنيور مكتوباً وبعثه مع الوركي باشي واطلقتُ رئيس الضيعة واصحابه . وفي اول المساء جاءت الجمال كلها فدفعت حقّها وحمّلنا وارتحلنا . ودخل المونسنيور نام في التختروان . ووضعنا الخادمين المجروحين في المحافة على الجمل [١٩٧] . وانا ورفاقي ركبنا وتركنا الجمال وسبقنا الى قدّام وكان الوقت نصف الليل .

ثم جزنا على كروان سراي فلقيت بابه مسكّراً . فصحنا ليفتحوا لنا فلم يجاوبنا احد . وبينما نحن واقفون صهل فرس المهندار من داخل فعلمتُ انه داخل الكروان سراي . فدقّ رفاقي الباب قائلين افتح لنا الباب والّا كسرناه . فمن خوفه فتح الباب . فدخلنا وقلنا للبوّاب اشعل لنا الضوّ فشعل وفتّشنا عن المهندار فوجدناه قد تناوم [١٩٨] فايقظناه فتمارض . فاراد رفاقي ان يضربوه فابتدأ يعتذر اعتذار كاذب . فقلت له الآن ما هو وقت الاعتذار فقد عملتَ الذي عملتَ ولكن قم اركب . فقال اتركني انا مريض . ولكن الخدام انزلوه غصباً . ولما نظر انهم احاطوه أمر خادمه فحمّل فرشته وركب وجاء معنا . اما المونسنيور فلم يقل له شيئاً . وبعد يومين وصلنا الى جول بابنان ومكثنا هناك يومين الى ان وجدوا لنا جمالًا ورحلنا .

ويوماً من الايام جابوا لنا جمالًا عاطلة لم تكن تصلح لحمل التختروان[١٩٩] .

1) دعا

فاخذت جملين وسحبناهما لتحتلهما التختروان فخافا ولم يريـدا ان يربضا . وبالجهد والضرب ربضوهما . ولمّا ربطوا عليهما التختروان جملا يزعقان ويبعمان . وكانت حوائج فرشة المونسنيور جوّا . فلمّا اقاموهما جفلا واخذا يركضان في البرية هاربين . فانفك الجمل الخلفاني من التختروان وهرب . واما الجمل القدّامي فبقي يسحب التختروان على الارض فسقطت الحوائج واندثرت . ثم ركبنا خيلنا وبالجهد المظيم قـدرنا امسكنا الجمل [٢٠٠] ثم فكينا منه التختروان فوجدناه صحيحاً . ومع هذا الهرب جميعه لم ينكسر فيه شيء ابداً . فبدّلنا الجملَين وحملنا التختروان وركب المونسنيور وارتحلنا .

٢٥ وصول المونسنيور بيكت الى همذان

وبعد خروجنا من اصبهان بستة وعشرين يوماً وصلنا الى همذان . لاننا تعوّقنا في الدرب كم يوم بسبب الجمال . والّا فالدرب من اصبهان الى همـذان هو خمسة عشر يوماً . فلمّا وصلنا الى همذان نزلنا خارج البلد في بستان الشاه وركبت انا والمهندار وقصدنا صوباشي البلد ووكيل الخـان . ثم أريناه أمر الشاه [٢٠١] فقرأه وقام الصوباشي وبعض اعيان البلد ركبوا معنـا حتى نفتش عن بيت ننزل فيه . فدرنا اماكن كثيرة لم تعجبني لان بيوت همذان ليست مثل بيوت اصبهان . اخيراً اعجبني احد البيوت فرجعت الى المونسنيور وصحبتي الوالي وبعض الاعيان خرجوا لكي يُدخلوا المونسنيور بالعزّ والاكرام . فلما وصلتُ لقيتُه بعدُ في القدّاس فأجلست الجماعة تحت وطلعت اليه واعلمته بكل شيء فقال خلّهم يدخلون . فدخلوا وسلّموا عليه وجلسوا وتكلموا معه [٢٠٢] . ثم اخذونا ودخلنا همذان ونزلنا في البيت . امّا المونسنيور فلم يعجبه البيت لانه ما كان فيه مخازن كثيرة .

وبعد يومين جاء الينا مطران الارمن الذي في همذان مـع بعض جماعة وسلّموا على المونسنيور وفرحوا به . وبعد ما استرحنا كم يوم رحت فتشت عن بيت يكون فيه مساكن كثيرة فلم أجد . فغصباً عني اخذت ثلاثـة بيوت

١) في ١٥ حزيران ١٦٨٦

وعملناها بيتاً واحدًا واعطينا لاصحابها كروة سنة. وعملنا المكان الاحسن كنيسة. أمّا المهمندار فان القورجي باشي[١] ارسل من اصبهان وعزله عن منصبه[٢٠٣]. لانه كل سنة كان يحصل له منه كم قرش فعزله عوض النقص الذي عمله مع المونسنيور. ثم جاء عند المونسنيور وتخشّع وبكى معتذرًا طالباً الغفران فأنعم عليه بتومان اعني ستة عشر غرشاً وثلاثين وسامحه بما فعل.

وكان نصارى همذان يأتون ويروحون عندنا ويسمون الكرز[٢] لان مسيو رويز كان تعلّم الارمني قليلًا. وكان كل يوم احد يعمل تعليم المسيحي في بيتنا ويحضر عندنا بعض ارمن. فلمّا سمع ذاك الشقي اسطفان المذكور اسقف جولفة المرطوقي اشتكى الى خان همذان [٢٠٤] الذي كان في اصبهان ورشاه وقال ان الافرنج يريدون ان يعملونا ايضاً افرنجًا. فقال له ماذا تريد ان اعمل مع الايلجي لاني لا اقدر اكلّمه. قال ابعث الى صوباشي نصارى همذان ان لا يترك الارمن يروحون الى بيت الايلجي. والذي يروح يمسكه ويجرمه. ثم ارسل مكتوباً الى صوباشي الارمن فعمل عليهم يسق[٣] ان لا يجيء احد الينا. ومنع ان لا احد من الارمن يشرب الشراب او يبيع. فجاء بعض الارمن عند الحكيم حتى يعالجهم ولمّا رجعوا امسكهم الصوباشي وحبسهم [٢٠٥]. فرحت أفلتهم[٤]. ثم جاب لنا واحد ارمني جرّة نبيذ فأمسك وحبسه ورحت أفلتّه. ثم كتب المونسنيور مكتوباً الى القورجي باشي يذكر له عن اوزاع[٥] الصوباشي فبعث عزله واقام غيره. وبعد ذلك بقي النصارى يأتون عندنا بلا خوف ويسمعون التعليم المسيحي. وبعد دخولنا همذان بشهر طلب مسيو وينا الحكيم دستورًا من المونسنيور حتى يروح الى الهند فرخّص له فراح الى اصبهان ومن هناك الى الهند [٢٠٦] وبعد شهر[٦] امرني المونسنيور ان اروح الى باريس لاودّي[٧] مكتوب الشاه الى ملك فرنسة. ومن باريس اروح الى رومية. ثم كتب لي مكاتيب الى باريس والى رومية يوصي عليّ. واعطاني فرساً وخرجيّة[٨] وبقيت افتش على قفل

---

١) المارس ٢) الوعظ ٣) اليَسَق: المنع ٤) أطلقتهم
٥) المعاملة السيّئة ٦) اي في ايلول ٧) لاحمل ٨) نفقة او مصرف

يروح الى تبريز فلم اجد. وغصباً عني قصدتُ اروح الى تزبين ومن هناك ارجع الى تبريز ·

ولمّا كان يوم توجُّهِ الكروان وقت المساء بعد ما تعشينا ودّعت المونسنيور والارفاق وجثوتُ امامه وطلبت البركة فباركني وطلع معي [٢٠٧] الى خارج باب الحوش وهو يبكي وانا ايضاً ابكي واطلب منه الغفران · فقال لي انت ايضاً اغفر لي لاننا ما عدنا نرى بعضنا · فقلتُ كيف تقول هذا يا سيّدي ؟ انا ارجو ان ارجع عاجلاً واخدمك طول عمري مثلما شرطتُ على نفسي حتى اموت بين يديك. فقال لي اذهب بالسلامة ويسوع ومريم يكونان معك وفي رفقتك. ثم جثوتُ امامه وباركني وأقامني عن الارض واحتضنني واخذ يبكي وانا ايضاً ابكي والواقفون حولنا يبكون · ثم فارقته في الساعة الاولى من الليل وانا ندمان غاية الندم [٢٠٨] كيف فارقتُ هكذا رجلاً قديساً صالحاً يشتهي الملوك ان يروه ويحكوا معه ·

فيا للعجب العظيم ! ويا لهذا الصبر الجسيم ! كيف اني بقيتُ معه اربعين شهراً[١] ولم اسمع منه كلمة توجع خاطري. ولم يطلع خلقه[٢] عليَّ ابداً. وكانت دراهمه في يدي · وانا كنت اعمل جميع المصرف · ولم يكن يعارضني ولا يحاسبني ·

فهذا الذي كتبته عن المونسنيور هو من المائة قيراطٍ قيراطٌ واحد · لاني لو اكتب فضائله في الزمان الذي كنت معه كان يصير كتاباً كبيراً جداً · ولكني كتبتُ هذا بعد اربع سنين[٣] في رومة ونسخته من كتابي الذي كتبته في سفرتي · »

انتهى

على هذا المنوال المؤثر فارق القس سفر سيّده الجليل المونسنيور بيكيت في ايلول ١٦٨٤ وارتحل الى تزبين فتبريز فبغداد فحلب بزيّ تاجر ، ناقلاً هدايا عبّاس شاه العجم الى الملك لويس الرابع عشر ، مزوّداً برسائل توصية الى

---

١) من حزيران ١٦٨١ الى ايلول ١٦٨٤ ٢) لم يسخط عليّ
٣) اي في السنة ١٦٨٨

ملكي فرنسة وروميـة المعظّمين ، معاهداً السيّد بيكيت على العودة اليه والنهوض بخدمته مدّة حياته .

ولمّا وصـل الى حلب رحّب به مار اغناطيوس بطرس شاهبادين بطريرك السريان الانطـاكي وعرض عليه قبول السيامة الاسقفية على ماردين ونصيبين طبقاً لرغبة سالفه البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان الحميد الاثر . بيد ان القس سفر تمنّع عن قبول الاسقفيّة يريد انجاز ما كلّفه به المونسنيور بيكيت . فما كان من البطريرك الانطاكي الّا ان صـارحه بقوله له : « اعلم انك منذ قدومك الى حلب اول مرّة انتخبك سالفنا السعيد الذكر لترعى الشرذمة السريانيّة الكاثوليكيّة في ماردين وملحقاتها ، وتسعى في اجتذاب المنفصلين الى طاعة الكرسي الرسولي . فنرى من الصواب ان تستأثر بهذه الغاية المقدّسة وتبذل النشاط في البلوغ اليها . والآن فاننا عازمون ان نقيمك اسقفاً على ماردين فتذهب اليها وتنجز ما نؤمله منك » .

وقف القس سفر برهةً يتردّد بين الإقدام والإحجام حتى انقاد اخيراً لامر بطريركه المغبوط الذي رقّاه في كنيسة حلب الى الكرامة الاسقفية صبـاح الاحد الاول من الصوم الكبير عام ١٦٨٥ وسمّاه اثناسيوس سفر ودفـع اليه طبقاً للتقاليد الابويّة الستاثيقون البطريركي[1] المؤذن بسيامته . ثم رخّص له ان يواصل سفره الى باريس فرومية وبعد هذا يعود الى ماردين ابرشيته .

قضى الحبر الجديد بضعة اسابيع في حلب ثم ودّع السيّد البطريرك وقصد الاسكندرونة وركب البحر متوجّهاً الى فرنسة ، يصحبه القس نعمة الله ناقد الحلبي . ولما وصل الى مرسيلية خلّف فيها القسّ المومأ اليه واستأنف السفر الى باريس وتشرّف بزيارة الملك لويس وقدّم له هدايا عبّاس شاه العجم ودفع اليه رسالة المونسنيور بيكيت . فحار الملك في امر زائره ورابه من هيئته الاسقفيّة ما رابه وانكر انه رسول السيّد بيكيت بعينه لانه شاهده بزيّ اسقف مع ان السيد بيكيت وصفه في عريضته الى جلالته بكونه قسّيساً . عند ذاك أخرج السيّد اثناسيوس الستاثيقون البطريركي من عبّه ودفعه الى الملك ، فزال عنه

١) نشرنا هذا الستاثيقون على صفحات المشرق في السنة ١٩٠٨ [١١ : ٥٦٠-٥٦٧]

الرب وقبله في بلاطه وأعزّه جدًا.

على ان عاهل الفرنسيس كان مطلعاً على احوال الملة السريانيّة اذ كان بطريركها المغبوط قد رفع الى جلالته على اثر ارتقائه الى السدّة الانطاكية عريضةً يلفت فيها نظره السامي اليه والى ملّته. وهذه العريضة الجميلة المكتوبة بحروف كرشونيّة في السنة ١٦٨٢ قد نشرها المرحوم الاب انطون رباط اليسوعي بحروف عربية في الصفحة ١٠٦ من كتابه «الآثار الخطيّة عن الكنائس الشرقية» نقلًا عن مخطوط مكتبة باريس الاهلية الموسوم بالرقم ٤٦٢٢ وهذا نصّها:

ܒܫܡ ܐܝܬܝܐ ܡܬܘܡܝܐ ܕܟܠ ܐܚܝܕ

« الى حضرة السلطان

« لويس سلطان فرنسة وغيرها من الممالك ، المظفر في الحروب بقوّة المالك

« الى حضرة الملك الجليل بكر سلاطين المسيحيين باسرهم . نادرة الارض المسكونة كلها . رعب العصاة والاشرار . حبّ الصالحين والابرار . سند الكنيسة المسيحية . ملجا الامراء والرعايا . داود في القوّة والشجاعة سليمان في الحكمة والبراعة . حزقيا في العبودة والتقوى . قسطنطين في النجاحة والنجوى . المؤيد المنصور على اعدائه . هادم الهرطقة والبدع . مجدّد العلوم والفوائد . الصورة الحيّة للفضائل . المفخّم على جميع القبائل . حفظه الباري تعالى على ممرّ الايام . واسبغ عليه البركات وجلائل الانعام . واخضع اعداءه تحت موطئ قدميه . وزاده قبولًا في حضرته ولديه . وكان الحق تعالى سامعاً لصلواتنا ليلًا ونهارًا . ارتفاعاً لشأنه ولنا بذلك افتخارًا . آمين اللهمّ آمين بجاه ربّ العالمين

« امّا بعده فالمعروض على جنابكم العالي الشريف . والمبدي لدى جنابكم السني اللطيف . اني انا الحقير في رؤساء الكهنة بطرس بطريرك السريان الممتدة من بابل وحدودها الى اقطار مصر وما يليها ارسلنا اثنين من البادرية واحدًا من جماعة اليسوعية وواحدًا من جماعة الكبوشيين لكي يبلغوكم اخبار كنائسنا التي تزيد بنعمة الله تعالى نجمعها اتفاقاً مع الكنيسة القاتوليقية الرسولية الرومانية وليكن نظركم الاكيدي علينا بعين الرأفة والجود . وتعيننا في النية الصالحة

التي تفضّل بها علينا سيدنا يسوع المسيح لذكره السجود . الى ابد الآبدين آمين .

« وليكن معلوماً لدى عظمتكم العالية ما صنعت السريان القدماء مع الامراء الفرنساوية في محروسة القدس الشريف ، والمحبة والاتفاق بغاية المودّة التي ابدوها امام السلاطين العظام الذين حكموا عليها . هكذا فالمرجو من عظمتكم ان تتفضلوا علينا باحسان انعامكم وفوق جودكم واكرامكم توصوا فينا الإلجي الذي من قبلكم في مدينة القسطنطينية عند سلطان محمد حفظه الله بعين عنايته من كيد الاشرار والمعاندين وأوصله الى أقصى درجات الفضائل وهو ارحم الراحمين . واما نحن فعائشين تحت حكمه الجميل وفائزين بستر ظله الظليل ومحميين من اعدائنا بقوة امره وسطوته . ومتنعمين بحكمه العادل في زمان دولته . وايضاً توصوا الالجي ان يكون نظره علينا ويساعدنا في جميع امورنا ومصالحنا . والدعاء .

ܐܝܓܢܛܝܘܣ ܡܣܟܢܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝ

ܕܗܘ ܦܛܪܘܣ »

مكث اذاً السيّد اثناسيوس سفر اياماً في باريس ضيفاً في البلاط الملكي ثم سار الى رومية حاملاً كتاباً من جلالة الملك الى الحبر الاعظم البابا انكنتيوس الحادي عشر (١٦٧٦ - ١٦٨٩) يشتمل على التوصية به وبنصارى ارمينية وبلاد العجم . ولمّا وصل الاسقف السرياني الى رومية تعرّف بالأب سبين ودفع اليه رسالة المونسنيور بيكيت صديقه الحميم المؤرّخة في تموز ١٦٨٤ وفيها يقول : أكتبُ اليك بواسطة القس سفر . . . أوصِ المجمع المقدّس ان يحتفي به ويكرم مثواه ، فانه ريّان من العلوم الشرقية قديرٌ على القاء الخطب بالعربية والتركية وقد نُدب مراراً الى الاسقفية[1] » .

قام الاب سبين بما اوصاه المونسنيور بيكيت . وما عتّم ان تشرّف الاسقف الجديد بزيارة خليفة مار بطرس ودفع اليه كتاب الملك لويس وعريضة السيّد بيكيت فشمله الحبر الاعظم بعطفه السامي وأثنى على خدمته ونشّطه ليواصل مساعيه في سبيل الايمان المقدّس . وفي تلك الغضون فوجئ السيّد اثناسيوس بخبر

١) الآثار المطبّة صفحة ١٠٦

انتقال المونسنيور بيكيت الى الاخدار العلوية في همذان بتاريخ ٢٦ آب ١٦٨٥ فتأسف عليه شديد الاسف وانقطع الى تبييض ما كتبه عنه اثناء رحلته تخليداً لمساعيه الرسولية وحسناته المتواترة . وقد انجز كتابه هذا النفيس عام ١٦٨٨ واهداه الى المكتبة الواتكانية ليصان فيها على كرور الاحقاب.

وكانت عواصف الاضطهاد في تلك الاثناء ثائرة على البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس بطرس السادس في حلب فكتب الى الاسقف اثناسيوس ان يتربص في رومية ريثما تنقشع عنه وعن شعبه سحابة النوائل والاهوال . فامتثل الاسقف لامر بطريركه المغبوط وجال في خاطره ان يشيّد ديراً في رومية يؤمّه طلبة الدعوة الكهنوتية من ابناء الملة ويتمرنون فيه على اقتباس الفضائل والعلوم وعرض فكرته الصالحة على رئيس المجمع المقدّس فتم الاتفاق على ان يسافر الاسقف اثناسيوس الى اميركة ليجمع من حسنات المؤمنين ما يوصله الى غايته المقدّسة ويسدّ حاجات البطريركية السريانية . فغادر عاصمة الكثلكة في السنة ١٦٦١ وظعن الى اسبانية فالبرتوغال فاميركة فالهند وجمع خمسة وثلاثين الف سكوت روماني وعاد الى رومية عام ١٦٦٦ واستغرقت رحلته خمس سنوات كاملة . واتفق ان البطريرك مار اغناطيوس بطرس السادس وصل الى رومية في تلك السنة عينها مستصحباً السيد غريغوريوس يشوع مصرشاه مطران اورشليم فوافقا الاسقف اثناسيوس سفر على انشاء دير للملة السريانية في عاصمة الكثلكة . وبناء عليه اشترى دار « رهبان اخوة الرحمة » الواقعة فوق اكمة اسكولينو بين كنيسة مار بولس اول السيّاح وبين كنيسة مريم العذراء ذات الثلج والقريبة من الطريق المؤدية الى كنيسة مريم الكبرى ، بمبلغ ستة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين سكوتاً رومانياً . واشترى معها البستان والكرم المحاذيين لها . وتمّ ذلك في ٢٨ تشرين الاول ١٦٦٦ بموافقة رئيس المجمع المقدّس الذي شرط ان تُطلق الحرية لتلامذة مدرسة البروبغندا في التنزّه في ذلك البستان على توالي الازمان . ولما انتهى المشترى أطلق الاسقف اثناسيوس سفر على ذلك المحلّ اسم « دير مار افرام السرياني » . وخصص مذبح الكنيسة الوسطاني باسم العذراء « سيدة الصحّة » وابتنى فيها مذبحين جديدين خصص

الاول بمار افرام السرياني ملفان الكنيسة والثاني باسم مار يعقوب اسقف نصيبين. وارسل فاستحضر من بلاد سورية وما بين النهرين فئة من ابناء الملة وأخذ يلقّنهم المبادئ الكهنوتية ويهيّئهم للدرجات المقدّسة.

وانصرف هذا الحبر الجليل علاوة على ذلك كله الى نشر كتاب «الاشحيم» بالطبع لاول مرة عام ١٦٩٦ ونسخ واستنسخ كتباً سريانية وعربية أهدى منها قسماً الى المكتبة الواتيكانية وخصص قسماً منها بمكتبة دير الشرفة. ولما توفي المفريان باسيليوس اسحق جُبَير[١] عام ١٧٢١ في رومية وُجّهت الى السيد اثناسيوس النيابة الرسولية على الملة السريانية جمعاء. فكان يرعاها ويوطّدها في الايمان الكاثوليكي بكتاباته ويعدها بحسناته حتى وافته المنون في ٤ نيسان ١٧٢٨ ولُحِد في كنيسة ديره ووضع فوق ضريحه حجر رخام نُقش عليه تاج وصليب وعكاز وحُفرت فيه كتابة سطرنجيلية ولاتينية هـذا شرحُها: «ههنا مدفون اثناسيوس سفر اسقف ماردين الكامل بالفضيلة. رقد بالرب في ٤ نيسان السنة ١٧٢٨ مسيحية. اراح الله نفسه في ملكوته».

وكان ميلاد هذا الاسقف البار في ماردين عام ١٦٣٨ وارتقى الى الدرجة الكهنوتية في كنيسة حلب عام ١٦٧٨ وخدم النفوس في وطنه ثلاثة اعوام. ورافق السيد بيكيت في رحلته من دياربكر الى ارمينية وبلاد العجم (١٦٨١ـ١٦٨٤). وسيم اسقفاً على ماردين عام ١٦٨٥ وانتقل الى جوار ربه بالغاً السن الحادية والتسعين.

اما الدير الذي اشتراه في رومية فقد ظلّ في حوزة الملة السريانية سبعاً وخمسين سنة ثم بيع في السنة ١٧٥٣ وتحوّل بامر الحكومة الايطالية عام ١٩٠٧ الى مستشفى خاصّ بأمراض العيون. واعتنى الخورفسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي يوم ذاك في رومية بنقل رفات متنيّ الدير المذكور في الخير الى معبد آخر وأحضر هامته الى دير الشرفة اجابةً الى طلب الفيكنت فيليب دي طرّازي فرضعها الفيكنت في صندوقة جميلة وكتب عليها اسم صاحبها الحميد الاثر. وما برحت مصونةً الى هذا اليوم في مكتبة الدير المذكور كذخيرة ثمينة.

١) نشرنا اعمال هذا المفريان النبيل على صفحات المشرق ١١ [١٩٠٨]: ٢٨٦

مطبوعات شرقية جديدة

Ludovicus Lercher, S. J., **Institutiones theologiae dogmaticae in usum scholarum**, editio secunda, vol. I. De Vera Religione — de Ecclesia Christi — de Traditione et Scriptura. Œniponte, sumptibus Fel. Rauch, 1934.

مؤسسات اللاهوت النظري: المجلّد الاول

بين يدينا الطبعة الثانية للمجلّد الاول من تأليف الاب لرخر في اللاهوت النظري. وقد اعاد فيه النظر الا انه لم يُشر الى ما جدّده فيه، فظلّ الكتاب بحاجة الى فهرس مطوّل والى جدول بالمآخذ. ولعلّ الاب المؤلف لا يرى فائدة هذه الملحقات كما انه لا يرى فائدة مقدّمة في كتاب مدرسي اهمّ ما فيه ان يكون حسن التأليف واضح الاسلوب. ثم ان المؤلف يتقيّد، فوق هـذا، بمنهاج الجامعة التي ينتسب اليها فيترك البحث في صحـة نسبة الاناجيل للقسم الخاصّ بدرس الكتاب المقدّس.

على ان المؤلّف يظلّ مثالًا للكتاب التعليمي الجزيل الفائدة لاعداد الطلّاب وتهيئة الامتحـانات، وان كان يقصر بعض الشيء في تثقيف هؤلاء الطلاب التثقيف المطلوب. وقد رُتّبت فيه النظريات العادية وما يلحقهـا من براهين، واعتراضات، وردود، على طريقة واضحة سهلة الفهم، لا تخلو من ملاحظات تدلّ على ان المؤلف مطّلع على الآراء العصرية في النقد والتاريخ والروحانيات. ومما يجدر بالذكر ما اورده، في ختـام الفصل الخاص بتكوين الكنيسة، من ابحاث في «الكنيسة قرينة المسيح»، و«الروح القـدس نفس الكنيسة»، و«علاقة الكنيسة بالاقانيم الثلاثة وبوالدة الله، وبالهيكل او الكنيس القديم» ثم ما قاله في اصل الاسقفية (ص ٣٥٢ وما بعدها). على ان حكمه المطلق، في الصفحة ٩٨، على بلوندل ولابرتونيير ومانو وتيرل يظهر لنا بحاجة الى شيء من التحفظ والى شيء من الانصاف كذلك.

اما في النظريات التي لا تزال عرضة للمناقشة فان المؤلف يبدي استقلالًا

بالرأي وميلاً الى شيء من الانتخاب والاختيار، حتى أزاء القديس توما، فيتر بكل احترام ان برهانه في «الردود على الخوارج» (١: ٣) لا يقنعه في الدلالة على وجود الله. ثم هناك مواقف للمؤلف تقليدية يظهر فيها شديد المحافظة على بعض الآراء القديمة، كموقفه في تاريخية الترجمة العامة، وموقفه في اسابيع دانيال السبعين. وقد كان من الاوفق ان تُنقل هذه الابحاث الى القسم الخاص بدرس الكتاب المقدس.

وكنّا نودّ لو توسع المؤلف في بسط برهان النبوّة بان يعرض اولاً فكرة «المخلّص» وتطوّرها واتساعها قبل ان يعدّد الخصائص النبوية.

وبعدُ هذا كان بحثه في المعجزة، فقد جاء تامًّا سواء من جهة النظريات او من جهة التطبيق على معجزات السيد المسيح. فلم يبالغ في النظريات المجرّدة بل ظلّ ناظرًا الى معجزات الانجيل يطبّق عليها اقواله ويستخرج منها كل ما تفيده من نتائج ادبية ودينية (ص ١٨٨).

ومما يجدر بالذكر ترتيب الموضوعات والفصول في القسم الخاصّ بالكنيسة، وهو يؤلف بحثاً عقائديًّا برأسه لا يعرض فيه المؤلف لذكر «علامات» الكنيسة الا بعد ان يفرغ من درس نشأتها ونظامها. على ان المطالع، يأسف في عصرنا الحاضر، لخلوّ هذا البحث من فصل في علاقات الكنيسة بالدولة.

اما القسم الاخير فان عنوانه المخالف قصدًا ما اعتدنا ان نراه في كتب اللاهوت (ص ٥٤٢) يدلّ على ان المؤلف يهتم بالتدقيق في اسلوبه. ف. ل.

De integritate confessionis. Tractatus moralis. Compilatus a P. Thoma Villanova Gerster a Zeil, OMC. Taurinorum Augustae, Marietti. Prix : Lir. 5.

رسالة في كمال الاعتراف

قد تكون اصعب وظائف الكاهن الكاثوليكي وظيفة الاعتراف بما تفرض عليه من علم وحكمة واختبار ليتمكّن من هداية نفوس المؤمنين، وتعليمها، وتشجيعها، وتردها الى الله تعالى. ولا يخفى ما لهذه الوظيفة، على صعوبتها، من نتائج بعيدة الاثر في نفس المعترف. ولهذا رأينا حضرة الاب

توما يهتم بوضع دليل واضح يعين المعرّف في عمله الدقيق فيوصله الى الاعتراف الكامل. وقد بدأ المؤلف ببعض المعلومات في الاعتراف وفي سلطة الكاهن. ثم تكلم عن كمال الاعتراف من حيث المادة، ثم من حيث الصورة، ثم عن الطرق الموصلة الى هذا الكمال. وبعد ان بحث موجزًا في الاعتراف العام عرض للتطبيق فحلّ اثني عشر مشكلًا من مشاكل الضمير العادية في موضوع كهذا. ولا نشكّ في ان الكهنة المعرّفين يعرفون لهذا الكتاب قيمته كما يعرفون للمؤلف فضله. ي. م.

JOSEPH BONSIRVEN, S. J., Les idées juives au temps de Notre-Seigneur. [*Biblioth. Cathol. des Sciences religieuses*]. In-12, 220 pp. Paris, Bloud et Gay, 1934.

الافكار اليهودية في عصر السيد المسيح

غاية المؤلف ان يدرس البيئة الفكرية التي نشأ فيها السيد المسيح، وما كان هناك بين يهود فلسطين من افكار وآراء تقسمهم الى احزاب دينية تأخذ جميعها بنصوص الكتاب المقدس وما يتصل بها من تقاليد عامة ولكنها تختلف في فهم هذه النصوص وتأويلها فتولد بدع الفرّيسيين والصدوقيين وغيرهم. وقد اجتهد الكاتب في وصف الاساس المشترك لهذه البدع، وتحديد ما تشعّب عنه من الفروع المتباينة، دارسًا على التتابع: الله، والملائكة، والشعب المختار، والامم، والتوراة، والانسان، والحياة الاخلاقية، والنفوس، وفكرة المخلّص، والآخرة العامة. وهو في كل ذلك يشير الى الانحراف الذي بدأ يظهر في تأويل ذاك الشعب للعهد القديم، وما نشأ عن ذلك من افكار بعيدة عن الوحي الاصلي كالنزعة القومية الضيّقة، والتقيّد باحكام الناموس الخارجية مع الانصراف عن روح الشريعة، والابتعاد عن الحياة الروحية ... ج. ل.

LE GAUDIER, S. J., De perfectione vitae spiritualis. Editio emendata cura P. A. Micheletti. 3 vol. in-8°. Casa editrice Marietti, Torino, 1934. Prix : Lir. 30.

في كمال الحياة الروحية

لا تزال طبعات هذا الكتاب تتوالى منذ وفاة مؤلفه في القرن السابع

عشر. وكفى بهذا دليلًا على قيمته في اصلاح نفوس المتقدّمين في الحياة الروحية. اما طريقته فتعليمية تستند الى الخلاصة اللاهوتية، والى دروس نفسية عميقة في الروحانيات مرتبة على درجات ثلاث تصل بالمريد الى الكمال السامي. ج. ل.

Le Prince Vladimir Ghika, La messe byzantine dite de S[t]. Jean Chrysostome. 3[e] édit. 32° de 91 pp. Paris, Desclée, de Brouwer et C[ie].

القدّاس البيزنطي المنسوب الى القديس يوحنا فم الذهب

هي ترجمة فرنسوية جديدة للقدّاس البيزنطي، موضوعة لفائدة المؤمنين من الطقس اللاتيني. وقد علّق عليها المؤلف بعض الشروح، ووضع لها مقدمة حسنة. فجاء بأثر مفيد في حجم لطيف. ج. ل.

Le Monde Missionnaire 1934. Publié sous la direction de Paul Lesourd. Paris, Desclée, de Brouwer et C[ie], 1934. Prix : 20 fr.

عالم الارساليات في السنة ١٩٣٤

ظهرت حديثاً هذه المجموعة النفيسة بادارة احد المتخصّصين بشؤون الارساليات، وتحت رعاية دائرة نشر الايمان وشركة «فيدس» الدولية؛ وقد ضمّت ابحاثاً شائقة تعاون في انشائها جماعة من المرسلين في انحاء العالم كلّها. اهمها «تقويم ارسالي» لم يسبق نشره ولا يُعرف مثيله، مع تأملات من قلم الاب برو اليسوعي المشهور بابحاثه الارسالية؛ وعدد من الاحصائيات الرسمية الاخيرة استخرجها المونسنيور مونتيكون من سجلات مجمع نشر الايمان المقدّس، وكثير من الدروس المهمة في مظاهر العالم الارسالي. كل ذلك بثمن بخس بالنسبة لما في المجلّد من فائدة ولذة للمرسلين واهلهم واصدقائهم وكل من يهتم بهم وباعمالهم الجديرة بكل اهتمام.

J. Karst, Littérature géorgienne chrétienne. [*Biblioth. Cathol. des Sciences religieuses*]. In-12. 177 pp. Paris. Bloud et Gay, 1934.

الادب الجيورجي المسيحي

لا شك في ان هذا الكتاب من اطرف ما صدر في المجموعة بمنى انه

يعرض لموضوع لم يُطرق بعد بلغة اوروبية . ان الجيورجيين من الشعوب القوقاسية يبلغون نحو المليون ، ويؤلفون وحدة لغوية خاصة على كونهم تأثروا ، منذ القدم وبسبب مركزهم الجغرافي، بكثير من المؤثرات السياسية والثقافية المتنوّعة . وقد دخلت النصرانية بلاد جيورجية في القرن الرابع فأثرت في ادبها الذي ظلّ مدة طويلة من نوع الادب الكنائسي الديني ، فبدأ المؤلف بدرسه . ثم خص القسم الثاني بدرس الادب الجيورجي في العصور الوسطى والعصر الحاضر ، وهو ادب دنيوي ، وختم بدرس ذاك الادب في القرن التاسع عشر . ج . ل .

Kurt Galling, Biblisches Reallexikon (B. 1-5) [= Handbuch zum Alten Testament. 1re R. 1]. Gr. In-8° à 2 col., 1-160. Tübingen, Mohr (Siebeck), 1934. Prix de chaque livraison M. 3 ou 3, 30.

معجم للاشياء المذكورة في العهد القديم

يقوم جماعة من علماء الالمان بنشر كتاب جامع عن العهد القديم يقابل كتاب ليتسمان عن العهد الجديد . وقد عهدوا الى الاستاذ غالينك في كتابة معجم الاشياء . والاستاذ يعرف معرفةً تامة بلاد فلسطين وما اليها من الشرق الادنى ، وقد تابع سير الحفريات فيها ، ودلّ على مقدرته في ذلك بنشره عدّة مقالات ورسائل كبحثه المعنون « *Der Altar* » فكان الجدير بان يُعهد اليه في هذا الموضوع . ولا يخفى ما افادته الحفريات واعمال التخطيط وتقدّم العلوم الاثرية والتاريخية من تسهيلات في فهم كتب العهد القديم ، حتى يمكن القول ان هذه الكتب تظهر لنا اليوم على ضوء ساطع يفتح امامنا آفاقاً جديدة في موضوعات قديمة طالما تناقش فيها العلماء .

ومما يجدر بالذكر في هذا المعجم ان مقالاته قصيرة ، جامعة ، حسنة الاسلوب . الا ان رغبة المؤلفين في الاقتصاد بالورق والوقت والتحرير حملت على ارجاع المطالع الى مقالات ستُنشر في الكراريس القادمة . حتى ان طلاب العهد القديم لا يستفيدون الفائدة التامة من هذا المعجم الا اذا انتهى بتمامه .

ولنضف ان رسومه كافية حسنة المظهر . ولا يمكننا اليوم ان ندقق في

نقد موادّه، ولم يظهر منه الا الكراس الاول من حرف A الى F ممثلاً ثمن الكتاب او عشره، وسيبلغ كاملاً من سبعمائة الى ثمانمائة عمود . س. ر.

Reallexikon der Assyriologie... Bd II, 2. 1934. Berlin u. Leipzig Walter de Gruyter und Co.

دائرة معارف العلوم الاشورية: القسم الثاني من المجلد الثاني

قد سبق لنا الكلام عن كراريس هذا المعجم السابقة (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٦٧ و ٣٠ [١٩٣٢] ٥٥٣) وها ان العمل يتتابع لا بسرعة عجيبة ولا ببطء كثير . فيصلنا القسم الثاني من المجلد الثاني من بُرنكّا (*Burnakka*) وهو اسم مكان، الى داتنلستن (*Datenlisten*) وهي لوائح توقيتية كتبها الاستاذ سان نيكولو كما كتب ايضاً بحثاً طويلاً في القروض (*Darleben*) لم ينته منه في الكراس المذكور . ويتصف الاسلوب في هذه النشرة بما اتصف به في الاقسام السابقة من الدقة الموضوعية، والايجاز البليغ، والالمام بالضروري من المعلومات، مع الحرص على عرض كل ما يظهر ثابتاً على الغالب . ومما يستحق ذكراً خاصاً، بين المقالات المتنوعة، الابحاث في الالـه *Dagon* و *Damaskus* وخاصةً *Demonen* و *Demonenbilder* او تصاوير الشياطين . س. ر.

A. Roes, Greek Geometric Art. Its symbolism and its origin. In-8°, 123 pp., 104 fig. Haarlem, H. D. Tjeenk Willink et fils, 1933.

الفن الهندسي اليوناني

هو كتاب صغير ولكنه مفيد ألّفته صاحبته بالانكليزية بعد ان نشرت اطروحة بالهولندية في الموضوع نفسه سنة ١٩٣١ . على ان بين الكتابين فرقاً وهو ان الاول يختص بالخارج اي بهيئة الزخارف والتصاوير التي تدرسها المؤلفة وتقابل بينها . اما في الكتاب الحاضر فانها تهتم بما ترمز اليه هذه الرسوم من المعاني، ولا يخفى ان الفن اليوناني الهندسي ازدهر في العصر الذي تبع عصر النزوات وتقدّم عصر ازدهار الفنّ المدرسي . وقد رأى البعض ان هذا الفنّ ان هو الا تتمة الفنّ الميقيني . الا ان المؤلفة ترقى به الى ابعد من ذلك، الى الفنّ الايلامي، اي الفارسي القديم، في الالف الثالث ق.م. تستند في ذلك الى

المقابلة بين التصاوير في الآنية والتماثيل الصغيرة من الخزف والبرونز المعروفة في بلاد اليونان وايطالية وغيرها ، وتستنتج ان سكان هذه المناطق جميعها بما فيها اسبانية وغالية لم يتناولوا فنهم من اليونان ، واذاً فان مجموع هذا الفن مدين لعصر آخر ولمكان آخر . اما هذا المكان فكل الشواهد تدل على اننا يجب ان نضعه في الشرق بل في بلاد فارس القديمة .

هذا وفي الدرس المذكور كثير من العقبات . لان المؤلفة تقابل بين مدنيات يفصل بعضها عن بعض لا المكان الفسيح وحده ، بل الفا سنة من الوجود ! ثم ان المشابهات الرسمية في الخطوط خاصة يمكن ان تكون عرضية من قبيل التوارد . وذلك ان الاشكال الانتقالية تنقصنا في غالب الاحيان ، لان الحفريات في آسية الصغرى وبلاد اليونان وايطالية لم تظهر لنا حتى الآن الا جزءا ضئيلًا مما يمكن ان تختزنه تلك الارض . اما المؤلفة فترد على هذا بقولها ان الروح الشرقية ، ولاسيما في بلاد فارس ، من خاصتها المحافظة على القديم ، وان لنا في مظاهر فنّ القرون الوسطى ما يؤيد هذا القول ، فان الفنانين ظلّوا يردّدون زخارف ساسانية ترقى اصولها الى الفي سنة على الاقل .

ولما كان من قصد المؤلفة ان تضع كتاباً جميّاً رأيناها تضمّ براهينها فتجمعها كلها تقريباً تحت مدلولات « عبادة الشمس » او مظاهر « الصور الهندسية » او الحيوانات الرامزة اليها في اصلها والتي وجدت آثارها في سورية وآسية الصغرى واوربة .

اما انا فلو كان عليّ ان اقوم بدرس جمعي كهذا لأدّى بي البحث : ١ً الى ان لا انسب كل شيء لبلاد فارس . ٢ً الى ان اميز بين المعبودات الشمسية والمعبودات السماوية . ٣ً الى زيادة التعمق في درس التصاوير السامية . فيخرج من كل ذلك مظهر جديد للموضوع . وقد اعود الى هذا البحث في المستقبل .

ثم ان في الكتاب نواقص عدة من حيث التأليف . فهو متتابع الاسلوب من الاول الى الآخر ، دون عناوين مهمة ولا تنوية ، بل دون تقسيم في الفقرات . ولم يكتب احد على هذا الاسلوب حتى اليوم ! س . ر .

ANDRÉ BELLESSORT, Athènes et son théâtre. In-16. Paris, Librairie Académique Perrin. Prix : 12 fr.

أثينة ومسرحها

شاء المؤلف ان يذكّر المثقفين بتلك الآثار الرائعة في المسرح اليوناني ، وان يقدّم عنها لمن لم يعرفها فكرةً حية كافية ، وان يبسط لجمهور المتأدبين بعض النظريات والفرضيات التي توصل اليها النقد العصري في هذا الموضوع ، وان يقرّب منا جميعاً تلك الشخصيات التي تفرض علينا احترامها واجلالها منذ اكثر من الفي سنة ، فكان له ذلك في فصول كتابه العشرة وعناوينها :

اثينة في عهد بريكليس . — المسرح: الزخارف والممثلون والشعراء . — الوطنية في المأساة . — الآلهة والعاطفة الدينية في المأساة . — اسرة الاتريذ المفجعة : الجريمة . — اوديب وابناؤه : القضاء والقدر . — اليونان والطروادين : الحرب . — الأمجات والحب . — المأساة الخيالية في فن اوريبيد . — اثينة اريستوفان.

SIR MOHAMMED IQBAL, The reconstruction of religions thought in Islam. Oxford University Press ; London, Humphrey Milford, 1934. Prix : 7 sh., 6 d.

تجدّد الروح الدينية في الاسلام

ينمّ كتاب السر محمد اقبال عن فيلسوف ذي اطلاع واسع على الاتجاهات العصرية ورغبة في ان يوجّه من خلالها فكرته الدينية . يتضح ذلك لمن يتابع ابحاثه في الاختبار الديني وميزاته الخاصة (الفصلان الاول والثاني) ، وفي مرمى الصلاة الحقيقي (الفصل الثالث) ، وفي الشخصية البشرية والحرية (الفصل الرابع) ، وفي امكان الدين (الفصل الاخير) ، فيلمس نفساً عالية ترى العلم وحده فارغاً عاجزاً عن ان يحقّق نزواتها السامية ، وتشاهد معترك النزعات الانانية في عالمنا الحاضر فتتأثر وتتألم . فتلجأ الى الدين ، وتعتبر انه يجب ان يكون ، قبل كل شيء ، روحياً داخلياً يعمل على التعمّق في تثقيف الضمير والحياة الروحية حيث يجد المؤلف الوجود الحق المطلق فيمحق فيه شخصيته ليحيا الحياة الكاملة دون تشعّب ولا عبودية . وهو يرى الجسد مجموعة اعمالنا وعاداتنا (ص ١٠٠)

والصلاة نداء يطلقه الانسان في سكون الكون العظيم فيحرر حياته من عبودية المادة المسيّرة (ص ٨٧ و١٠٣) والخلود ضمانة الكون بانه يحافظ نوعاً ما على شخصية ضرورية للجهد البشري حتى بعد ان تضمحل العناصر التي تميز شخصيتنا في الحالة الحاضرة (ص ١١٦)

يعرض المؤلف هذه الفلسفة معتقداً ان بامكانه استنتاجها من القرآن ، وان كان لا يزعم انها موجودة كما هي في الكتاب المذكور . وهو يسير في ذلك على الطريق التي شقّها في الاسلام السني ارباب « البدع » العصرية فيقول : « ان واجب المسلم العصري هائل ، اذ عليه ان يعيد النظر في نظام الاسلام كله دون ان يقطع صلته بالماضي » (ص ٩٢) ويجب عليه « ان يقترب من العالم العصري بعاطفة الاحترام ولكن بعاطفة الاستقلال ايضاً ، وان يقدر تعاليم الاسلام على ضوء هذه المعرفة ، وان جرّه ذلك الى نظرات تخالف نظرات السلف » . (ص ٩٢) وافضل من يتبعه في هذا العمل التجديدي هو الشاه ولي الله من دهلي .

ولا شكّ في ان غير واحد من المسلمين السنيين يقلق لهذه التصريحات ، ويسأل نفسه هل القول « بوجوب وحي خاص يؤتيه الله كل مؤمن لفهم الكتاب» (ص١٧١) يتفق وعقيدة الوحي المقرّرة في الدين الاسلامي حتى اليوم ؟

واما الفيلسوف الغربي فيجد في الكتاب كثيراً من الآراء التي اعتادها ، الا انها كلها تتسم بسمة التقاليد الهندية .

واما المسيحي فيسأل نفسه هل يُتاح لهذه الفكرة الدينية التائهة ، دون الوحي الحقيقي ، ان تتصل بالاله الحي الظاهر امامنا باعماله ، فتلبي نداء الابوي ؟ ف . ل .

D. Sidersky, Les origines des légendes musulmanes dans le Coran et dans les Vies des Prophètes. In-8°, VIII + 161 pp. Paris, Geuthner, 1933. Prix : 100 fr.

اصول الحكايات الاسلامية في القرآن وفي قصص الانبياء .

يخص الاستاذ سيدرسكي كتابه هذا بدرس قصص الانبياء الواردة في القرآن

ثم في تفاسير الطبري والكسائي ، وفي ما تقدّم ذلك من كتب اليهود والنصارى غير الاصيلة ، اي غير الصحيحة النسبة ، وهي كثيرة أُلفت في سبيل الارشاد والوعظ ، دون ان يكون لمؤلفيها اهتمام بتاريخية الحوادث التي يسردونها . وقد عرض المؤلف الى ما ورد في القرآن وفي آثار الطبري والكسائي عن الانبياء والاشخاص الاقدمين وحوادث حياتهم من آدم الى اخنوخ او ادريس، الى هاروت وماروت الى نوح الى عاد وثمود ، الى ابراهيم ويوسف وايوب وموسى ويشوع ، الى صموئيل وشاول وداود ، الى سليمان وخلفائه ، الى يونس ، الى جوج وماجوج ، الى العذراء وابنها يسوع وما يتعلق بهما من الاخبار ، الى اهل الكهف . فدرس كل ذلك واهتمّ بدقائق الوصف والميزات الفارقة في سرد المعلومات . ثم عاد الى الاصول القديمة فقابل بين ما ورد فيها عن الاشخاص انفسهم وما تقدّم ذكره ، فاستنتج انه يجب التفتيش عن اصول هذه الحكايات، لا في كتب العهد القديم والعهد الجديد الثابتة الرسمية ، بل في ما نشأ عنها من كتب مزيّنة ، وقد ردّها الى اقسام ثلاثة : ١ً الكتب المزيّفة المنحرفة عن كتب العهد القديم ككتاب اخنوخ ، وكتاب اليوبيلات الراقيين الى القرن الثاني او الاول ق . م. ٢ً مجموعة القصص اليهودية الدينية المعروفة باسم الأكاده او الهكاده ، وكلها سابقة للعصر الاسلامي ومنتشرة منذ القدم بين جميع اليهود . ٣ً الكتب المزيّفة المنحرفة عن الاناجيل ، وهي المسماة ايضاً اناجيل الزور كانجيل طفولية يسوع ، وانجيل توما ، وانجيل ولادة مريم وطفولية المخلص ، وانجيل نيقوديمس ، وانجيل يعقوب الصغير ، وحكاية يوسف النجار، وكلها ترقى الى ما قبل العصر الاسلامي وقد اكتشفت مخطوطات بعضها باللغات الشرقية عربية وسريانية وقبطية . والحق بهذه الاصول ما كان شائعاً عند العرب الجاهليين من الاساطير عن قدمائهم كحكايات عاد وثمود وما اليها . فاتى بعمل جدير بكل تقدير لما كلّفه من جهد ، ولما توصل اليه من نتائج تفيدنا في قدر قيمة الثقافة العربية على عهد النبي ، وفي الحكم على ما استفاده الاسلام من المعلومات الدينية السابقة .

ف . ا . ب

Khaja Khan, **Mubtala or Tale of two Wives.** In-16, VI + 87 pp. Madras, Hogarth Press, 1934.

هذه ترجمة انكليزية لرواية اخلاقية ألفها باللغة الاوردية احمد خان بهادور من دلهي ، وغايته ان يبيّن ، مستنداً الى الآية القرآنية : « ما جعل اللهُ لرجل من قلبين في جوفه » (٣٣ : ٤) ، ان من الافضل للرجل ان يكتفي بزوجة واحدة . وقد اجتهد المترجم ان يتقيد بالنصّ الاصلي الا في حذف بعض اقسام رأى فيها تطرّفاً وشذوذاً في الوصف والتصوير . س . ر .

Gabriel Rousseau, **L'Art décoratif musulman.** In-8°, 206 pp. illustr. hors-texte et dans le texte. Paris, Marcel Rivière. Prix : 25 fr.

فنّ الزخرف الاسلامي

عُرف مؤلف هذا الكتاب ، في باريس ، بآثاره الشائقة في فنّ الزخرف ، فنال نجاحاً باهراً في معرض الزخارف الفنية سنة ١٩٢٥ بما عرضه من مشهد افريقية الفرنسوية . وقد قضى عشرين سنة يدرس مظاهر الفنّ الاسلامي في افريقية الشمالية ، وفي مراكش خاصة . فشاء ان يقدّم للفنّانين ولطلّاب الفنّ ، على طريقة سهلة وبثمن بخس ، كتاباً جامعاً لمظاهر الفنّ الزخرفي في الاسلام بل معجماً نفيساً مصوّراً يرون فيه بسرعة وسهولة ميزات هذا النوع في مختلف البلاد التي اخضعها الاسلام من سورية الى مصر الى تركية الى افريقية الشمالية الى فارس الى الهند . فكان له ما شاء ، واتانا بكتاب جامع يحتل مركزاً لائقاً في تاريخ الفنون الاسلامية .

Angel Gonzalez Palencia, **Ibn Tufail el filosofo, autodidacto.** Nueva traduccion espanola. [*Publicaciones de las escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada*, serie B. num. 3]. In-12, Madrid, Estanislaos Maestre, 1934. Prix : 5 pesetas.

ترجمة اسبانية لكتاب ابن طفيل

هذه ترجمة اسبانية جديدة لكتاب ابن طفيل المعروف بحيّ بن يقظان ، استند فيها المترجم الى النصّ الذي طبعه گوتيه في الجزائر سنة ١٩٠٠ . وقدّم

على الترجمة درساً في ثلاثين صفحة عرض فيه لابن طفيل ولكتابه فافاد ، كما انه افاد بترجمته عدداً كبيراً من ابناء وطنه الذين يسمون بهذا الكتاب الشهير ولا يتمكنون من قراءته في نصه الاصلي .

AMIN MOUCHAWAR, Notice sur les impots et les taxes au Liban. 1re partie, Impots directs. In-8°, XVI + 218 pp. Harissa (Liban), Imprimerie de Saint Paul, 1934. Prix : 20 fr.

نبذة في الضرائب والرسوم في لبنان

ان جميع من تهمهم اقتصاديات لبنان يشكرون للاستاذ امين مشحور ، احد مفتشي المالية ، ما بذله من جهد في جمع هذه المعلومات والوثائق ، مكوّناً منها بحثاً تاماً في الضرائب اللبنانية المباشرة . وقد قسم بحثه الى ابواب واقسام وفقر توضح ترتيب المواد وتسهّل مراجعتها على الراغب ، وكلها تعود في هذا المجلد ، الى ستة اقسام حسب تقسيم الضرائب : على العقار المبني ، على العقار غيرُ المبني ، التمتّع ، الاغنام ، الاعناق ، الاعشار . والحقَ به عدداً من المراسيم والقرارات تؤيد ما قدّمه من المعلومات.

MICHEL FEGHALI, Textes libanais (en arabe oriental) avec glossaire. In-8°, 104 pp. Paris, Adrien-Maisonneuve, 1933. Prix : 16 fr.

نصوص لبنانية عامية

لا يزال المونسنيور فغالي يتابع دروسه في اللهجات العامية اللبنانية . وها انه يتحف تلامذته في باريس وبوردو بتسع عشرة قصة لبنانية تدور في اكثرها حول الاعياد التي يحتفل بها اللبنانيون احتفالاً خاصاً كعيد القديسة بربارة ، وعيد ارتفاع الصليب ، وسبت اليعازر ، والعنصرة ، وما شاكل . وقد رأى المؤلف ان الفائدة لا تتم الا اذا شرح الفاظ هذه المنتخبات ، فافرد لذلك معجماً بلغ نحو نصف الكتاب ، فاستحق الشكر المزدوج.

PAUL SBATH, Bibliothèque de Manuscrits Paul Sbath. Catalogue, tome III. In-8°, 146 pp. Le Caire, Imp. « Au prix coûtant », 1934.

يجمع حضرة الاب بولس سباط في هذا المجلّد الثالث منجدول مخطوطات

مكتبته وصف مائتي مخطوطة (من الرقم ١١٢٦ الى الرقم ١٣٢٥) وهي في اكثرها دينية مسيحية واسلامية، وبعضها في الادب والتاريخ. وقد الحق بهذا الوصف جداول واسعة بأسماء المؤلفين والنسّاخ النصارى والمسلمين.

COMTE GUILLAUME DE SAINT VICTOR, Le Canal de Suez. Préface du MARQUIS DE VOGUË, Président de la Compagnie du Canal de Suez. In-8°, 282 pp., 10 hors texte. Paris, Librairie du Recueil Sirey.

قناة السويس

لا نعرف بين جميع المؤلفات التي ظهرت في موضوع قناة السويس، مؤلفاً اهتمّ اهتمام الكتاب الحاضر باظهار اهمية القناة في الحركة الاقتصادية العالمية لا يخفى ان برزخ السويس كان، منذ القدم، اداة الاتصال بين الشرق والغرب. وقد اهتمّ الكثيرون بتعزيز هذا الاتصال، بعد اكتشاف طريق الهند البحرية، فعملوا على زيادة المبادلات تارةً بجعلهم من مصر مستودعاً للبضائع الشرقية، وطوراً بزعمهم الى وصل البحرين. حتى كان من نصيب فردينان دي ليسبس، احد نوابغ الفرنسيين، ان يدرك هذه الغاية المنشودة، منتصراً على العقبات العديدة من سياسية وفنية ومالية، خالقاً نهراً يبلغ اثني عشر متراً عمقاً ومائة وخمسين الى مائتي متر عرضاً، فاتحاً المجال لمجريَين من البضائع المختلفة: مجرى يأتي من الشمال حاملاً محصولات الصناعة، والفحم الحجري والبترول؛ ومجرى من الجنوب حاملاً محصولات الارض النباتية، والمنسوجات، وبعض المعادن. وعلى طول هذا النهر وعرضه تخفق الاعلام الدولية المتنوّعة وفي مقدّمتها اهمية العلم الانكليزي، فالالماني، فالهولندي، فالفرنسوي الخ.

هذا ما يتوسّع فيه مؤلف الكتاب. ثم يخص قسماً من ابحاثه بتاريخ اسهم الشركة وانصبة المؤسسين والسندات، وما يتعلق بها من معلومات. ويتكلم في الفصول الاخيرة على حق المرور (الترانزيت)، وعلى علاقات الشركة بموظفيها، وعلى ما قامت به من المشاريع الاجتماعية. وهو في كل ذلك يقرّب اسلوبه من فهم المطالع مهما كانت درجة اهتمامه بشروع يظلّ اعظم ما حققته همة افراد لم يستعينوا فيه الا برساميلهم الخاصة.

Bulletin économique de la Chambre de commerce d'Alep. 15e année, 1933-34, n° 22.

النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة حلب : العدد ٢٢

لا تخفى اهمية هذه النشرة الجامعة افضل المعلومات عن الحالة الاقتصادية في سورية الشمالية . وهي تظهر مرةً في السنة في مجلد كبير باللغتين العربية والفرنسوية ، وتوزع مجاناً .

André Parrot, Villes enfouies. Trois campagnes de fouilles en Mésopotamie. In-8°, 272 pp., 30 documents photogr. et une carte, couverture illustr. deux couleurs. Paris, Editions « Je sers ». Prix : 15 fr.

مدن مطمورة

هذه اول مرة ، على ما نعلم ، يقوم فيها اثري فرنسوي عارضاً لجمهرة القرّاء ، بكل تفصيل وتدقيق ، كيفية اجراء الحفريات للتنقيش عن الآثار القديمة . لقد اختصّ المؤلف بآثريات ما بين النهرين فاتى الشرق منذ السنة ١٩٢٦، ونزل ما بين النهرين منذ السنة ١٩٣٠ ، فادار بعثة متحف اللوفر ، وقام بالحفريات المهمة ، فشاهد واختبر ودوّن وصوّر ما سهّل عليه وضع هذا الكتاب . فاطلعنا فيه اولاً على موقع تلك البلاد بين دجلة والفرات . ووصف لنا نزول البعثة في التفر . وكيف قامت ببناء منازلها . وما هي الوسائط التي اتخذتها لجعل تلك المنازل صالحة للسكن على نوعٍ ما ، قادرة على مقاومة الزوابع والامطار وعواصف الرمال ، مجهزة لدفع هجمات البدو في الليالي الدامسة . ثم صوّر لنا اعضاء البعثة في اعمالهم المتنوّعة من حفر ، ومراقبة ، وغسل آثار ، وتصوير ، وجمع ، وترتيب ، وحراسة . واذا بنا نطّلع على طرق التنقيش عن المدن المطمورة ، ونشاهد ظهور المدينة القديمة ببيوتها وقصورها وقبور ملوكها . واذا بالآثار تجتمع واحداً بعد واحد فتبعث الى الوجود مدنيةً عريقة يفصلنا عنها نحو الخمسة آلاف سنة . هذا ما نراه في كتاب المؤلف النفيس مستندين الى اساوبه الرائق واختباراته الجمّة ، والى ما زيّن به الكتاب من رسوم بديعة ، ومن جداول ترقيتية لجميع الحوادث المهمة التي جرت ما بين النهرين بين السنة ٢٠٠٠ و١٥٠٠ ق.م. ، ومن فهارس عامة ولوائح بالمصادر العديدة .

JULES BLACHE, L'homme et la montagne.
JAN WELZL, La vie des Esquimaux.
[*Géographie humaine*, collection dirigée par P. DEFFONTAINES. nos 3 et 4]. In-8°, abondamment illustrés. Paris, Librairie Gallimard. Prix : 30 fr. le volume.

الانسان والجبل
حياة الاسكيمو

انه لمن دواعي السرور ان نعلن ظهور مجموعة جديدة في الجغرافية ، ولاسيما اذا كانت هذه المجموعة تبدو على قسطٍ من الاتقان . وهو اول ما يشعر به متصفّح المجلدين الحاضرين . اما الاول منهما فيختصّ بدرس الجبل عامةً من حيث آهليته لسكنى البشر ، وطريقة حياتهم ، وطبقات السكان من رعاة الى مزارعين ، ومعالجة الفقر فيه . كل ذلك باسلوب يكاد ينطبق على اكثر الجبال ، وان كان المؤلف يخصّ جبال الالب بالابحاث الواسعة . ثم لقد كان بامكانه ان يذكر فضل الجبال في مناعة السكان فيتكلم عن الجبل - الملجأ، لا من حيث الصحة فقط ، بل من حيث حفظ الكيان القومي ، وانّ لنا في جبل لبنان وفي الجبل الاسود مثالين واضحين لهذه المزيّة .

واما المجلد الثاني فيختصّ بحياة الاسكيمو . كتبه رجل اقام اكثر عمره في تلك البلاد ، فعرف سكانها عن قرب ووصف طرق معيشتهم ادقّ وصف واعجبه . ولا يخفى ان الارساليات الكاثوليكية على نشاط مستمرّ في تلك الاصقاع . وقد استمدّ منها المؤلف كثيراً من الرسوم التي زيّن بها كتابه .

ج. ل.

PIERRE FRÉDÉRIX, Machines en Asie, Oural et Sibérie soviétiques. In-16, 24 photogr. hors texte et une carte. Paris, Plon. Prix : 15 fr.

آلات في آسية

ماذا يعرف عن النظرية الماركسية اولئك الفلاحون الصامتون الذين يزورون كلّ يوم ، في موسكو ، قبر لينين المنوَّر كصندوق زجاج في متحف ? وماذا ينتظرون منه ? وماذا تعدهم به تلك البقايا ? لقد ظهرت ميزات البلشفية الفارقة في العشر السنوات الاخيرة ، فاذا بها ، قبل كل شيء ، عقيدة صناعية ، كما تبدو من خلال نظرية ستالين . وانه لمن الواجب على من شاء تحقق نتائجها

ان يذهب بنفسه الى تلك الديار فيرى حركة الآلات العظيمة ويحكم حكماً مجرّداً عن الهوى والهوس.

هذا ما قام به المؤلف فزار روسية اوربة ولم يكتفِ بها شأن من تقدّمه، بل تخطّاها الى روسية آسية، عارفاً ان نظام السنوات الخمس قد مال بالروس الى آسية فجعل قاعدتي النظام المذكور في مصانع مانيتوغورسك ونوفوكوزنتزك. فقطع الاورال الى الشرق حتى حدود المغول، وزار مصانع نوفوكوزنتزك العظيمة، حيث لم يكن قبل السنة ١٩٢٩ الا قرية لا يبلغ سكانها الثلاثة آلاف، فقام مكانها اليوم مدينة صناعية عظيمة مختصة باستخراج الفحم الحجري، يبلغ اهلها ١٨٠,٠٠٠ من رجال ونساء واولاد منهم ٦٥,٠٠٠ عامل يسيرهم رهط من الاختصاصيين والمهندسين الاجانب فيدفعون بهم الى خدمة المصاهر المائلة ليلَ نهار. اما المحور الثاني لخطة ستالين ففي الاورال نفسه، في مانيتوغورسك، قريباً من حدود تركستان. وقد زاره المؤلف ايضاً وشاهد الاعمال الصناعية الكبرى في استخراج الحديد ووصفها بدقة موضوعية. فرأى انه اذا نال السوفييت غايتهم في هذين المصنعين فان روسية تغرّق العالم بمنتجاتها الفولاذية. ولكن هل تعنو قوى الطبيعة والزمان والمكان لاحكام نظام ستالين؟ ثم ان المشاهد لهذه المظاهر المادية الجبّارة يسأل نفسه: ولماذا ترك السوفييت على احدى قمم الاورال تلك الصفيحة الحاملة على جانبيها هاتين الكلمتين: «اوربة» — «آسية»؟ أوَ لم يكن من الاوفق ان يعتبر الحدّ الحقيقي بين القارتين ذاك الحدّ الذي يفصل بين الامبراطورية السوفيتية وسائر مناطق اوربة؟ لان هناك اعمق فاصل عرفه الكون بين مدنيتين متباينتين!

H. Thiéry, Derrière le décor soviétique. In-12, 254 pp., planches. Paris, Editions des Portiques. Prix : 12 fr.

وراء الستار السوفييتي

ليس هذا الكتاب الجديد عن روسية من التآليف العادية. وهو يستمد قيمته من صفة مؤلفه المزدوجة: فهو كاتب فضولي اراد ان يطلع بنفسه على ما يحدث في تلك البلاد، وهو مدير معمل اراد ان يختبر صناعة روسية ويتحقق

هل هناك ما يُعتبر جديدًا في صناعة النسيج . فقسم كتابه الى قسمين ذكر في الاول ما شعر به وما لاحظه في رحلته على طريقة جديرة بالانتباه ، وخصّ الثاني بدرس في اقتصاديات روسية السوڤيتية غاية في الدقـة . وزيّن الكتاب بعدد وافر من الرسوم والتصاوير تفيده وضوحاً وجلاء . ج. ل.

P. Lhande, L'Inde sacrée. Grandeur et pitié d'un monde. In-8° illustré, 261 pp. Paris, Plon. Prix : 18 fr.

الهند المقدّسة

لقد بدأ الاب لاند رحلاته بزيارة ضواحي باريس فألف فيهـا كتاباً كان جزيل الفائدة لها ، فدفع غيرها من الاماكن الى استزارته عساها تتمتّع بما نالته ضواحي باريس من فضل تلك الزيارة . وكان آخر ما زاره من المناطق الهند الانكليزية فوصفها في هذا المجلد الجميل قاسماً اياها الى قسمين : تكلم في الاول عن « المنبوذين وابناء الآلهة » ، وفي الثاني عن « الانجيل في عجلات البقر » ، عارضاً بما اوتيه من سهولة وسعة معلومات لاهم الموضوعات المتعلقة بتلك البلاد ، مضيفاً الى ذلك صورًا جميلة تزيد في فـائدة الكتاب ولذّته .

ج. ل.

G. Lakhovsky, Le racisme et l'orchestre universel. In-12, 153 pp. dont 24 de planches. Paris, Alcan.

النزعة العنصرية والالفة العامة

يرمي مؤلف الكتاب الى ان العناصر البشرية ، كما نفهمها اليوم مستندين الى التحديدات السابقة ، لم يبقَ لها من وجود في الكون . اما العناصر الحقيقية فتكيفها وتوجدها الارض التي تنشأ فيها وتتطوّر . ومثاله في ذلـك الشعب اليهودي . وهو ذو دين واحد وعـادات واحدة ، ولا يتزوّج افراده الا من الشعب نفسه . ومع كل هذا فلا يمتازون في بلادهم المتنوّعة عن افراد هذه البلاد . فليهود المانية الهيئة الالمانية ، كما للصينيين هيئتهم الصينية . ويقول المؤلف ان ما يبسطه في شرح هذه النظرية انما هو ناموس عام ينطبق في مملكة النبات انطباقه في مملكة الحيوان.

والكتاب ، في اكثره ، خطبة دفاعيـة عن الشعب اليهودي يحمل فيهـا

المؤلف على نظرية القومية التي يدعوها « عارًا على البشرية في العصر الحاضر.» وهو يعجب المطالع بدقته ومهارته ، وان لم يقنعه بصحة اقواله. ج. ل.

E.-M. Antoniadi, La planète Mercure et la rotation des satellites. In-8°, 84 pp. 36 fig. dans le texte et 3 pl. hors-texte Paris, Gauthier-Villars. Prix : 18 fr.

عطارد ودوران الاقمار

يؤلف هذا الكتاب الحلقة الاولى من سلسلة ابحاث يعدّها الكاتب لدرس السيارات السبع من ناحيتها التاريخية والفلكية . اما في ما خصّ عطارد فقد درس القسم التاريخي في المكتبة الوطنية في باريس حيث اطّلع على اقوال قدماء الكتبة والعلماء والفلاسفة من يونان ولاتين ، وعلى آثار المعاصرين من فرنسويين وانكليز والمانيين وايطاليين من القرن السابع عشر . فجمع عددًا من الاقوال التاريخية لا نكاد نراه في اي كتاب في الفلك . وتمكن ، بفضل إجازة خاصة ، من مراقبة السيارات بواسطة المنظار الاكبر في مرصد مودون ، وهو اكبر منظار في اوربة . فتحقق بنفسه حكم الفلكي الايطالي الشهير شياپارلي من ان عطارد ، اثناء دورته ، يظهر الجهة نفسها الى الشمس . ثم راقب السفع البادية على اقمار المشتري ، واستنتج ما يتوسّع فيه في كتابه الحاضر وملخصه ان جميع الاقمار ، الا ما كان منها بعيدًا من اقمار المشتري وزحل ، تحوّل ، في دورانها ، الجهة نفسها نحو سياراتها . وهو ما نتحققه ايضًا في قمر ارضنا.

Annuaire des libraires-éditeurs catholiques de langue française : France, Belgique, Luxembourg, Suisse et Canada. In-8°. 135 pp. Mulhouse, Editions Salvator, 1934.

تقويم اصحاب المكاتب ودوائر النشر الكاثوليك من ذوي اللغة الفرنسوية

ظهر العدد الاول من هذا التقويم في السنة ١٩٣٣ ، فنال رواجًا سريعًا ونفد بعد ظهوره بثلاثة اشهر ، وها ان العدد الثاني يليه عن قرب ، وقد زاد حجمه من ٥٨ صفحة الى ١٣٥ ، وزاد فيه اسماء اصحاب المكاتب وارباب النشر من ٣٢٠ الى ٨٤٠ كلهم من الكاثوليك من ذوي اللغة الفرنسوية

المقيمين في فرنسة وبلجيكة واللوكسمبورج وسويسرة وكندة . فنتمنى له مزيد التقدّم والانتشار.

تاريخ الامير فخر الدين المعني

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

مطبعة الرسالة اللبنانية ، جونية ، ١٩٣٤ – ص ٤٦٦ قطع ٨ كبير

ان واضع الكتاب من الرجال المشارَ اليهم بالبنان في بلادنا وهو معروف بمقالاته في المجلات العربية ومؤلفاته في التاريخ ، مما فسح له مقاماً في المجامع العلمية في سورية ولبنان ومصر . وموضوع كتابه جدير بلفت الانظار وهو فصل من فصول تاريخ بلادنا العزيزة.

صدّره المؤلف بالكلام على شؤون لبنان العامة ، وخاصّة على ايام العثمانيين ، واستطرد الى وصف اخلاق السكان وتحزباتهم منذ القدم ، وافتتح الكلام على المعني بذكر نسبه . ثم ترجم له في نشأته ، اولاً ثم في توليه حكم لبنان قبل سفره الى اوروبة واجتهاده في تخليص البلاد من نير الاتراك . وخصَّ صفحات عديدة بوصف بلاد ايطالية كما شاهدها المعني ، وذلك نقلاً عن شهود عيان ، فافاد. واوقفنا على حوادث لبنان ايام غياب فخر الدين ثم عاد بنا معه الى لبنان فشهدنا واياه تعاظم نفوذ المعني ثم تضاؤله واخيراً سقوطه في مأساة تعددت فيها ضحايا الاسرة المعنية.

واذ انتهى المعلوف من ترجمة فخر الدين اتى على وصف اخلاقه وعاداته ، وعلى تأثيره في عمران البلاد وفتحها للمدنية الاوروبية . ولم يهمل شيئاً مما حصل عليه في التنقيب على اخبار فخر الدين من مراسلاته ، الى معاهداته ، الى الشعر الذي قيل فيه . وذيل ذلك بالاستدراكات والفهارس . وقد يشعر القارئ ان الاستاذ عيسى المعلوف استنفذ جهوده في وضعه هذا الكتاب الوطني فاستحق ثناء البلاد.

ومن بعد فهل من سبيل الى النقد ؟

لم يحجم المؤلف عن طلب الملاحظات على كتابه (ص ٤٣٤) . واننا نتزل

عند طلبه خدمةً للحقيقة والادب فنقول :

في الصفحة ٥٣ آخذ السيد عيسى المعلوف الاب لامنس فيما كتبه في تاريخ سورية عن قرقماس أنه مات سنة ١٥٤٤ « مع انه قال انه ولد سنة ١٥٧٢ » ولكن الاب لامنس بريء من الغلط المنسوب اليه (راجع تاريخه ٢ ص ٧٠ و٧١) وانما الغلط من المترجم الذي اساء فهم المتن الافرنسي ؟ مع ان الافرنسية هي احدى اللغات الاوربية الخمس التي استعان بها السيد عيسى المعلوف على تأليف كتابه (ص : ث)

وقال في الصفحة ٢١ عن التحزبات السياسية في بلادنا ان هناك حزبين متعادين كانا سالفاً المسيحي والدرزي وصارا في يومنا الاكليريكي والماسوني. وغرض المؤلف التعميم . ولكن ليس لذلك التعميم مسوّغ في الواقع ؟ وفاته ان بين رجال الاكليروس الروم الغير الكاثوليكيين من ينتمون الى الماسونية فهؤلاء لا يشملهم قوله المطّرد ان حزب الاكليروس وحزب الماسونية يتناقضان ؟ فكان ولا بد من التمحيص والدقة في التعبير صيانة لحقيقة الواقع .

ذلك التمحيص والتدقيق توخاه المؤلف بنوع خاص ولام من سبقه من المؤلفين الافرنج والوطنيين على قلة اكتراثهم له (راجع المقدمة ص :ث) واذ اتى على العمل نراه يسرد كل سانحة ويترك للقارئ مهمة البت في صدقها (مثلاً قلعة ابن معن في تدمر ؟ ص ١٣٤) . اما لبّ الكتاب فلم يكد يخرج به صاحبه عن الطرق المعبّدة المعروفة التي سلكها مؤرخو العرب وهو سرد الاخبار كما بلغت اليهم سنةً فسنة (راجع من ص ٥٩—١٢٤) ولم يهتمّ بوضع بناية تاريخية منتظمة الهندام مرتبة الاركان يستهوي فيها بطل التاريخ نظر القارئ فيحجب عنه كل شخص او بطل ثانوي غيره ؟ ويستفيد من التعليقات والتعليمات الثانوية حقيقةً ورونقاً ! لان تلك التعليقات والتعليمات تاتي في حواشي كتاب المعلوف وتكاد تستغرق نصفه .

واني لألومن نفسي بقصر النظر على النواقص لو لا ان محاسن الكتاب وهمة المؤلف الكريم لاتبى منان يشوبها نقد نية صالحة ؟ معجبة بسعة معارف المعلوف واكتراثه لمصالحنا الاهلية، وقد وزع كتابه قبل ان ياتي الرابع عشر من

شهر اذار سنة ١٩٣٥ ، وفيه عيد مرور ثلاثة قرون على موت البطل اللبناني الشهير. ف . ت .

مهذب رحلة ابن بطوطة

المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

وقف على تهذيبه وضبط غريبه واعلامه احمد العوامري ومحمد احمد جاد المولى

مجلدان ينيف عدد صحائفهما على ٦٠٠ من القطع ٨ الكبير، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٣٣

قام ناشرا الكتاب بهمتهما بناء على طلب وزارة المعارف المصرية ، خدمة لطلبة السنة الرابعة من التعليم الثنوي . ان من المصادر التي انتفعا بها في الطبع نسخة باريس مع ترجمتها الافرنسية للمستشرقين سانغوينتي ودفرمري « فقد بذل هذان الفاضلان في تحري الصحة في طبع الاصل العربي مــا ليس وراءه غاية لمستزيد. وهكذا يفعل هؤلاء المستشرقون فيما يتناولون من آثار العرب بالدراسة فهناك التحقيق والتدقيق والعلم الغزير »

وان في هذه العبارات كرامة تعود ليس على المستشرقين فقط ولكن على الناشرين الحديثين ايضاً والفضل يعرفه ذووه . . .

ان الذين اشتغلوا في طبع مؤلفات روّاد العرب وجغرافييهم قدموا عليهـا دروساً متفاوتة طولاً وهي منجم يستنبط فوائده من اتى بعدهم فلا عجب ان استفاد ناشرا الكتاب ممن سبقهم في كلامهم على رواد العرب ومؤلفيهم وعلى ترجمة ابن بطوطة . ولم يخفَ عليهما ما كتبه الاستاذ فؤاد البستاني في الروائع عن ابن بطوطة فاستندا اليه في المقدمة، ولكنهما لم يذكرا المصدر. وربَّ صفة اهملاها في وصف الرجل ، مع كونها بارزة في كل صفحة من صفحات الكتاب وقد اعرب عنها ذاته في ص ١٤٠ من المجلد الاول ، لمـا ذكر شيخ عبادان فقال « وهجس في خاطري الاقامة بقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتني النفس اللَّجوج عن ذلك»، فتراه لحوجاً قلقاً لا يقر له قرار في بلد حتى يرحل الى غيره وان في تلك الحركة الدائمة عزماً وقوة ارادة جديرةً بان تذكر في صفاته مع « سرعة التأثر » .

جميلة طبعة الكتاب انيقة ، كسائر ما تطبعه المطبعة الاميرية وقد ترقى بها فن الطباعة . اما تلامذة الصف الرابع فنتمنى لهم ان يتسنى لهم الوقت لدراسة رحلة ابن بطوطة وقد يساعدهم عليها ما وضعه الناشران من فهارس وخارطات واضحة . وهناك هفوات مطبعية سيأتي تصليحها في طبعة اخرى دون شك .

ف . ت

لندن

بقلم احمد عطية الله

مطبعة عيسى الحلبي وشركاه بمصر ١٩٣٤ ص ٢٦٨

« ليس هذا الكتاب دليلاً للندن » هذه عبارة قدمها المؤلف على كتابه في صدر المقدمة فهي مصيبة وهي مخطئة . مصيبة هي لكون مواد كثيرة ، يحتاج اليها مطالع الدليل ، مفقودة من الكتاب ؛ ولكنها مخطئة لان مواضيعه تشمل اهم ما يلذ معرفته وتروق زيارته وتفيد النظر به لمن قصد الى عاصمة انكلترة ، ولا يكتفي بالوقوف على احوالها وقفة المشاهد الجامد .

حي وبهيج وصف المؤلف وجدير بمكانة عالية بين ما كتبه الشرقيون عن الغرب بعد زياراتهم اليه . وفيه الصور الفوتوغرافية والرسوم الكاريكاتورية والتعبيرات الجديدة ، فضلاً عن طبع انيق على ورق صقيل ، يباري فيه صاحبه اجل ما ينشر من امثاله في مطابع اوربة فهنيئاً للمؤلف وللطابع بما اتحفانا به ادباً وفناً .

من الفصول التي استوقفتني عند قراءة كتاب لندن الفصل الاول وفيه وصف استعداد المؤلف للسفر من الشرق الى الغرب ، والفصل في الكلام على دير وستمنستر (وهو موقع باسم جوزف اديسون ، أيكون اذاً معرباً ؟) وفي زيارة مدرسة الدراسات الشرقية ، وفي ذكرى عيد الميلاد ، الى غير ذلك من حوادث وتقاليد ومعاهد وآثار إقل ما يقال في اطرائها ان المؤلف اشار بها الى قاصدي عاصمة الانكليز بكيفية استفادتهم من اقامتهم فيها .

تصفحنا الكتاب فهاج فينا ذكرى ما رأيناه منذ زهاء العشرين عاماً في

لندن ، وأعجبنا بطريقة الكاتب السلسة الطيبة البعيدة عن التصنع . كلمات عديدة كتبها بالعربية كما سمعها فقال طبغرافيـة وترام وكرنفالات ، وكاريكاتور . والى بالفاظ اعبناها فقال :

ص ٨٤ : قبعة مكورة تعريباً للفظة melon ، وص ١٦ : تخطر بمعنى se promener ، وص : ٣٣٠ فسيح بمعنى place . وشمرور بمعنى sensitif فحفظناها للقاموس.

وفي الطبع اغلاط بسيطة يسهل تصليحها.

ف . ت.

ما يجب على كل مسيحي معرفته

او خلاصة التعليم المسيحي

تأليف الاب خليل اده اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٤ ، ٢٨ صفحة

يشمل هذا الكتيّب في صفحاته القليلة ، شروحاً في اصول الدين المسيحي من اشارة الصليب الى الدكسولوجيا ، فالصلاة الربية ، فافعال الفضائل الالهية ، فاهمّ حقائق الايمان ؛ فالاعمال المفروضة على المسيحيّ ليخلص ، فالوسائل التي وضعها الرب للخلاص ، الى غير ذلك مما اسـه السيد المسيح لبلوغ القداسة . وذلك باسلوب قريب المنـال وضّاح ، وطبع مقطّع بنوداً واجزاء تساعد على درس الكتاب وحفظه.

وقد يُحبّ المعلمون ان يستبدلوا كتب التعليم المسيحي فيزيدوا الطلبـة اقبالًا على « الجديد » ، وان في هذا الكتاب خيرَ مساعد على القيام بمهتهم الخطيرة ، فضلًا عما فيه من المنفعة لكل مفكر يحب الوقوف بالاختصار على حقائق ايماننا المقدس . فنفرح بالكتاب ونضمه الى سلسلة كتب التعليم المسيحي التي وضعها آباء رسالتنا اليسوعية منذ نشأتها وهي غير قليلة ولانختها موجودة في تقويم مطبعتنا.

ف . ت.

فتوحات العلم الحديث

نقلها فؤاد صروف

٢٢٦ ص. متوسطة — مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٣٤

لا يُنكر ما للمقتطف من فضل على التعبير العلمي العربي، بما ينقله عن المجلّات الاوربية من فصول علمية، دقيقة التعبير، غنيّة المفردات، فيُـدفع الى تعريبها بتلك الدقة وذاك الغنى، مجتهدًا في ان يقرّبها من اذهان المتكلّمين بالعربية، عاملًا على تليين هذه اللغة وتسهيل ما فيها من عقبات في وجه التعبير العلمي. وهدية المقتطف هذه الاخيرة مظهر جديد لاجتهاده المتواصل، جمع فيه رئيس تحريره الاستاذ فؤاد صروف كثيرًا من الابحاث في «اسرار الكون والحياة» كان قد نقلها عن رهط من علماء الغرب، كما فصّل ذلـك في البيان الاخير (ص٢٣٢)، وفيها الحقائق الثابتة، والنظريات المعقولة، والفرضيات التي تقرب من الروايات الخيالية وان قـامت بشرح المشكلات بعض الشيء، على انها تظلّ فرضيّات حتى يأتي ما ينفيها او ما يؤيّدها. وقد جمع كل ذلك في ابواب خمسة يكفي ذكر عناوينها للدلالة على قيمة الكتاب، وعلى ما يؤدّيه من خدمة للثقافة العصرية، وهي: العلم والعمران، غرائب الافلاك، ألغاز الطبيعة، ثمر داني التطوف، ألفة الحياة. ف. ا. ب.

ابو علي عامل أرتست وقصص اخرى

بقلم محمود تيمور

١٦٤ ص. صغيرة — المطبعة السلفية، مصر، ١٩٣٤

يطالع القارئ بلذة هذه المجموعة من الروايات لما فيها من البساطة والطبعية معنى ومبنى؛ ولما يظهر من انها مستندة الى حوادث واقعية على الغالب. فالمؤلف درس محيطه، وتأمله كثيرًا وكتب مستندًا الى ما شاهد، فاتت رواياته هذه صورة صادقة لمحيطه؛ على انه كان بامكانه ان يستثني عن بعض المشاهد المثيرة دون ان يفقد اسلوبه شيئاً من التدقيق والاحكام. ومهما يكن من الامر فان كل قصة من قصصه فيها فائدة للشباب والشيوخ.

في القصة الاولى « العوده » نرى الانسان الساذج الريفي الذي يرسله والده الى المدينة « لان الفلاحة في الارياف ليست ميدان الكسب الحقيقي لابناء هذا العصر » ثم انه يريد ارساله كخادم كي « يعود بكسوته الافرنجية وطربوشه المعوج وحذائه اللامع ، سوف يعود اليكِ — يخاطب جدته — فتى رشيقاً من اهل المدن لا فلاحاً جلفاً من اهل القرى » . وبعد مضي اعوام ، وقع للشاب ما يقع لغيره من الشباب من الفساد ، والكبرياء ، وعدم الاهتمام باهله ، وبعله ، وهنا نسمع كلام جدته تلك العجوز الساذجة تقول عن حفيدها المتمدن :

« لقد مات التالي من وقت طويل مات منذ ان فارقنا الى المدينة ... »

ثم ان قصة « الشيطان » تذكرني قصة قريبة منها ، او من مغزاها ، لولي الدين يكن عنوانها : « المرأة » . فالفتاة ذهبت ضحية جهل والدها وتعصبه الاعمى .

اما القصة الاخيرة ، « ابو علي عامل ارتست » ، ففوائدها كثيرة ، وهي تمثل صورة صادقة للمحيط الذي عرفه المؤلف ولما فيه من بساطة بعض السذج المدعين وتهورهم .

م . ك .

اثر قديم في العراق : دير الربّان هرمزد

بقلم كوركيس حنا عوّاد

٦٨ ص . متوسطة — مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٣٤

هو درس اثري تاريخي جغرافي لدير الربّان هرمزد الماثل بجوار الموصل ، معقلًا للرهبان منذ القرن الثامن الى اليوم ، « الا بعض فترات شابت هذا الاتساق . » وقد قسم المؤلف ابحاثه على فصول سبعة : ذكر في اولها الطريق المؤدي الى الدير من مدينة الموصل . وخصّ الفصول الباقية بالدير نفسه دارساً موقعه ، ومنائه ، وكنائسه ، وسائر ابنيته ، وشؤونه ، ومكتبته ، ورهبانه ، وتاريخه قديماً وحديثاً ، مفرداً فصلًا خاصاً لترجمة الربّان هرمزد . والكتاب مزدان بعدة رسوم ، وبخريطة تبيّن اهمّ المواقع المهمة . وقد قدّم له يوسف بك غنيمة ، وزير مالية العراق ، بمقدمة قصيرة ولكنها جامعة لذكر ما في

الكتاب من فوائد تاريخية ، وجغرافية ، واقتصادية ، استحقّ عليهـا المؤلف الثناء الطيّب. ف. ا. ب.

احسن ما كتبت

١٩٦ ص. متوسطة – ادارة الهلال ، القاهرة ، ١٩٣٤ – الثمن : ١٠ غ. م.

هو الكتاب السنوي الذي قامت بطبعه ادارة الهـلال ، وقد جمت فيه نحو ٧٣ اثرًا من شعر ونثر لنحو ٦٧ كاتباً وشاعرًا في مختلف الاقطار العربية منهم من اختاروا بانفسهم « احسن ما كتبوه » ، ومنهم مَن اختارت لهم ادارة الهلال . فاتى متنوّع الموضوعات ، متنوّع الاساليب ، متنوّع القيَم كذلك . على انه صورة تكاد تكون واضحة لحالة الادب العربي الحالي كما يظهر اليوم في مصر وفي بعض انحاء الشرق.

شهداء حلب : القسم الثاني

جمعها يعقوب نعوم سركيس

٥٠ ص. متوسطة – مطبعة القديس بولس في حريصا ، ١٩٣٤

هو القسم الثاني من المستندات الخاصة بشهداء حلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، والقسم الخامس من « الوثائق التاريخيّة للكرسي الملكي الانطاكي » ، التي تنشرها « المسرّة » الغرّاء من آنٍ الى آخر ، فتهديها خير هدية الى التاريخ الديني الشرقي . وقد جمع هذا الكرّاس ٣٠ رسالةً كتب اكثرها بعض اهالي الشهداء ممن شهدوا تلك الحوادث المؤلمة . يلي ذلك ثلاث مدائح زجلية اولاها « على المطران جراسيموس » والثانية والثالثة « على الاحـد عشر شهيدًا » . وقد فُهرس لكل ذلك على الحروف الابجدية فاضحت الاستفـادة سهلة من هذه الوثائق المهمّة.

رحلة الى الهند

للمطران اثناسيوس اغناطيوس نوري

١٠٠ ص. متوسطة – مطبعة القديس بولس في حريصا ، لبنان ، ١٩٣٤

وهذا الكرّاس ايضاً من هدايا المسرّة النفيسة ، جمع صفحات مفيدة طريفة

وصف بها سيادة المطران نوري رحلةً سابقة كان قد قام بهـا في ختام القرن التاسع عشر من بغداد الى الهند ماراً بالبصرة فخليج فارس . وقـد دقق في ذكر ما شاهده في رحلته آنذاك بعد ان خصَّ بغداد وآثارهـا بوصف وافٍ . ولا شكَّ في ان الحالة قد تغيّرت اليوم عما كانت عليه . الا ان الرحلة لم تفقد من قيمتها،بل بالضدّ فانها اضحت مستنداً تاريخياً لشاهدٍ عياني يستفيد منه المؤرّخ العصري امورًا كثيرة عن حالة تلـك البلاد قبل الانقلاب الحديث ، ولاسيا بغداد ، والبصرة ، والمحمرة ، والفاو ، وابو شهر ، وجزيرة البحرين ، وبندر عباس ، ومسقط . ثم في الهند كراشي ، وبمباي ، وحيدر آباد ، وكلكتا ، وشندرناكور وغيرها من المدن والقرى التي كثيرًا ما نسمع باسمائها وقليلًا ما نقرأ لزائريها المعلومات الراهنة .

احمد زكي ابو شادي : شعره في ديوان الشعلة
ابو شادي في الميزان

٦٤ ص . صغيرة - مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٣

١٤٢ ص . صغيرة » » » »

يُعدّ الدكتور احمد زكي ابو شادي ، على تنوّع مظاهر ثقافته ، في طليعة شعراء مصر الشبّان الذين يرمون الى نفخ الحياة في الشعر المصري القديم المقلّد بتلقيح جديد يتناولونه من مظاهر الحياة العصرية وخفاياها . ولا غرابة في ان تصادف هذه النزعة اشمئزازًا من قبل المحافظين ، او حماسةً فائقـة من قبل المجدّدين ، فان الفريقين المذكورين على استعـداد دائم لاستقبال كل فكرة جديدة بالضجيج الصاخب والاحتجاج الصارخ إمّا عليها واما لها . بيد ان الشبان يسيرون في طريقهم الفسيح يشجعهم بعض ذوي الثقافة العالية من كبار شعرائنا، وتعضدهم مجلة أبولو . والمستقبل كفيل باحقاق الحقّ فلا يبقي الا على الخلاصة الصافية من موضوعات هذا العراك . وبعد فان امامنا اليوم محاضرتين في شعر ابي شادي اولاهما القاها الاستاذ احمد محرّم في نادي « رابطة الادب الجديد » بالقاهرة فدرس فيها شعر ابي شادي في « ديوان الشعلة » . اما الثانية فاعمّ ،

القاها الاستاذ محمد عبد الغفور في « جماعة الادب المصري » بالاسكندرية تناول فيها مناحي عدة من اثر الشاعر المذكور . وقد قدّم على المحاضرة تصدير بقلم الاستاذ عبد الفتاح فرحات ، وألحق بها ملاحظات ونقود كتبها الاساتذة مختار الوكيل ، وصالح جودت ، ومحمود احمد البطاح . وفي اكثرها نزعة خاصة في النظر الى الجمال الشعري والحكم عليه . على ان الكراستين مفيدتان لكل من شاء الاطلاع على اتجاه الشعر العصري في مصر. ف. ا. ب

الادب العربي في آثار اعلامه

الجزء الاول : الجاهلية وصدر الاسلام

٢٢٨ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٤ – الثمن: ٧٥ غ. ل. س.

هي نصوص منتخبة ، وفقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية جمعتها لجنة معيّنة بموجب قرار من مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة ، ومؤلفة من الاساتذة واصف بارودي ، وفؤاد افرام البستاني ، وخليل تقي الدين . ونشرت منها ، في هذا الجزء الاول ، منتخبات من شعر امرئ القيس، وطرفة، وزهير ، وعنترة ، والنابغة ، والاخطل ، والفرزدق ، وجرير ، وعمر بن ابي ربيعة ، ومن خطب الحجّاج بن يوسف ، ورسائل عبد الحميد الكاتب . فأتت في حسن اختيارها ، ودقة ضبطها ، وجمال طبعها ، اجمع ما نعرف من المنتخبات وافضل ما يوضع بين ايدي شبان يتثقفون على تذوّق الادب الصحيح والاعجاب بالفنّ السامي . وان خير ما نعرّف به هذا الكتاب ، والغاية التي رمى اليها اصحابه ان ننشر شيئاً من مقدّمتهم الجديرة بالانتباه ، قالوا :

« عندما عقدنا النية على جمع هذه النصوص المختارة التي نضعها اليوم بين ايدي الطلاب والاساتذة والادباء ، قصدنا الى تحقيق فكرة طالما جالت في رؤوس المشتغلين بالادب العربي ، وهي اخراج كتاب يستطيع طالب الادب ان يتعرّف فيه الى ادباء العربية ، من قدماء ومحدثين ، من خلال ما اخرجته قرائحهم ، ويدرسهم في آثارهم لا في ما قاله عنهم النقاد والرواة والمؤلفون ؛ فلقد مضى زمن كان درس الادب فيه عبارة عن حفظ روايات واحاديث عن

الكتاب والشعراء ، بعضها صحيح وبعضها منحول ، يخرج الطالب منها وليس في نفسه عن الادب الّا فكرة ناقصة ، مشوّهــة ، تقوم على احكام فردية بناها اربابها اولًا على بيت مخصوص او مقطوعة منتخبة ، فتداولها الناس بعدهم جيلًا فجيلًا حتى عمّها المتأخرون دون ان ينظروا في اساسها او يفهموا سبب اطلاقها . »

وبعد ان اشاروا الى كون اكثر كتب الادب تنقل شواهدهــا ، لا عن المصادر الاصلية ، بل عن كتب المحاضرات « وكتب المحاضرات لا تنشر الا الابيات المقتطفة ، والفقر المختارة ، وهي لا تخلو في مجملهـا من التصحيف والتحريف » ، قالوا :

« لذلك اتجهنا رأساً الى اليـنـابيع نفسها نستقي شعر الشاعر من ديوانه ، ونثر الناثر من كتابه ، نقرأه في طبعاته ، ان كان له اكثر من طبعة ، فنقابل بين الروايات ، ونفاضل ، ونختار ما يظهر لنا اقرب الى الحقيقة . وقد حرصنا كل الحرص على تمثيل القصائد والفصول كاملة ، الا ما اضطررنا فيه الى الحذف فاشرنا الى المحذوف ، ودللنا على مقداره كذلك ، اما في مقدمات المنتخبات ، واما في ترقيم الابيات على الهامش ؛ وكان دافعنا الى الحذف بذاءة المؤلف حيناً ومراجعة معانيه احياناً .

« وقد حرصنا كذلـك على تمثيل الشاعر او الكاتب من نواحي تفكيره وتعبيره المختلفة ، فقسمنا المنتخبات على هـذه النواحي بحيث ان نظرة سريعة تُلقى على فهرس الموضوعات تكفي للدلالة على اتجاهات عقليته . وقدمنا على منتخبات كل مؤلف كلمة قصيرة في حياته وآثاره تُلخّص ، في نظرنا ، درس شخصيته الادبيـة ، فتكوّن في ذهن الطالب حكماً موجزاً يستعين به في استعادة آراء استاذه . . . »

وهم يرجون بعملهم هذا ان « تتغير طريقة الادب والادباء من استسلام اعمى الى اقوال النقّـاد والرواة والمؤلفين ، الى اقتناع شخصي وبحث ذاتي . » لانهم يرون ان « آراء النقّـاد والمؤلفين يجب ان تتبع درس النصوص لا ان تسبقه . . . » وهم على حقّ في ذلك . اخذ الله بيدهم الى اظهار الاجزاء التالية

خدمةً للدرس الادبي الصحيح.

طيب الاريج

بقلم الشيخ امين ظاهر خيرالله

١٦ ص . متوسطة – مطبعة ابن زيدون ، دمشق ١٩٣٦

جرى مؤلف هذا الكراس في تسجيع عنوانه على طريقة القدماء من ادباء عصر الانحطاط ، فسمّاه « طيب الاريج في الجلاء عن حاجة علم متن اللغة الى المباني والتخريج » . اما موضوعه فمزدوج ، على ما يظهر مما كتبه المؤلف تحت العنوان وهو : « ١ً – المباني علم في متن اللغة الفُصحى ما زال مطويًّا (حتى نشره والد المؤلف (ص ١٨) وعنه اخذ ولـده) ؛ والتخريج اعرابه وهو غير مستوفى البحث في كتاب . ٢ً – نقول تُثبت ان في معاجم اللغة العربية قديمة وحديثة تعارضاً في احكام البنـاء الواحد . وللمباني القول الفصل في تأييـد صحيحها وتفنيد زيفها . » واما الغاية من كل هذا فهي ان تمهّد السبيل للمؤلف فيُنظم في سلك المجمع العلمي المصري ؛ وفّقه الله !

الزهر المنثور بلغة الشعور

نظم الدكتور فريد جبور نجيمي

١٩٧ ص . متوسطة – مطبعة ابو الهول ، سان باولو (البرازيل) ١٩٣٦

وهذا ايضاً من العناوين المسجعة . بيد انه يرمز الى سفر طافح بالعاطفـة الطبيعية البسيطة ، مرنّمة على انغام الزجل اللبناني ، منظومة بلغة « القوالين » ، تحمل الينا من وراء البحار تأوّهات المهاجرين الكرام لفراق الوطن ، وتذكاراتهم التي قد يغلّفها ستار البعد فيجتلى فيها ويُحيّين . نشأ الـدكتور فريد جبور في معاصر الشوف ، في عهد ازدهر فيه الزجل اللبناني بفضل زعمائه القدماء كابراهيم الحوراني ورشيد نخله وغيرهما ، فاتصل ببعضهم وتمرّن على « القول » . ثم هجر لبنان ، وفي النفس اليه حنين لم يلبث ان ظهر في تلـك الرسائل التذكارية والمطالع الوطنية . وقد جمعها في هذا الكتاب ، بعد ان قدّم عليها كلمة لطيفة في تاريخ حياته في وطنه وفي المهجر ؛ ووضع قبلهـا بحثاً لحبيب الشملاني في

شاعرية صاحب الديوان . فكان من كل ذلك سفر له قيمته في هذا الفنّ الذي يزداد عدد اتباعه يوماً فيوماً.

المبادئ الموسيقية

تأليف اسكندر شدياق

٤٤ ص . صغير – مطبعة قوزما ، بيروت ، ١٩٣٣ – الثمن : ٣٠ غ . ل . س .

يجمع هذا الكرّاس الصغير عشرين درساً ، ونحو الاربعين تمريناً في المبادئ الموسيقية باللغتين العربية والفرنسوية . نشره صاحبه «توطئة لاصدار كتاب الالحان الكنسية الجديد ... ، مجتهدًا بان يكون هذا الجزء الاول احدث واقرب واسهل سبيلًا لتعليم الموسيقى والتلحين والتوقيع بالنوطه» . وقد قرّرت مديرية المعارف استعماله في المدارس الرسمية.

المنّ الخفي او القداس الماروني

للخوري بطرس فرج صفير

٢٤٠ ص . صغيرة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية (لبنان) ، ١٩٣٤

هذه ترجمة عربية للقداس الماروني مع خدمته وشرحه ، نشرها حضرة المؤلف فافاد بها الموارنة كافةً ، بل غير الموارنة ممن يهمهم الاطلاع على الطقس الماروني . وقد زيّنها باربعة وعشرين رسماً ، وقدّم عليها توطئة في الطريقة المثلى لحضور القداس الماروني وفي كيفية استعمال هذا الكتاب . كل ذلك بحجم لطيف يسهل استعماله على الجميع ولاسيا طلبة المدارس.

القديس يوحنا بُسكو

٧٢ ص . كبيرة مصوّرة – مطبعة الارض المقدّسة ، القدس ، ١٩٣٤

يوم عيد الفصح المجيد الواقع في ١ نيسان ١٩٣٤ ، أعلن الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر قداسة الكاهن يوحنا بسكو في حفلة حضرها ثمانون الف نسمة من جميع اقطار العالم . فرأى ابناؤه الساليون ان يخلّدوا ذكراه وذكرى تلك الحفلة باللغة العربية ، فقاموا بهذه النشرة المصوّرة الجميلة ملخصين فيها حياة مؤسسهم ، ذاكرين اعمال جمعيتهم ولاسيا في انحاء فلسطين والقطر المصري.

البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد احمد شوقي

بقلم محمد اسعاف النشاشيبي

١١٠ ص . متوسطة – مطبعة بيت المقدس ، القدس ، ١٩٣٢ – الثمن : ٤ غروش مصرية

مجموعة من الثرثرات الخطابية على ورق صقيل .

الروضة الاريضة في تهاني غبطة البطريرك عريضة

جمعه الخوراسقف بطرس حبيقة

٢٥٨ + ٥٢ ص . متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٥

هو جزء اول جُمع فيه كثير من التهاني الشعرية والنثرية باللغات العربية ، والفرنسوية ، والسريانية ، واللاتينية ، والايطالية ، والاسبانيولية ، والانكليزية ، تلقاها غبطة البطريرك الماروني بمناسبة ارتقائه الى السدة البطريركية ، فجمعها حضرة الخوراسقف بطرس حبيقة وطبعها وقدمها الى غبطته حفاوةً بالعيد الثالث لتذكار انتخابه .

* روزنامة سيدة التلة الكنائسية لسنة ١٩٣٥ * لا تخفى شهرة هذه الروزنامة المفيدة التي يصدرها ، عن دير القمر ، منذ ثلاث وعشرين سنة حضرة الاباتي افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني ذاكرًا فيها التواريخ والاعياد الشرقية والغربية والهجرية ، وكل ما يختص بالطقس الماروني من احتفالات وفروض . وهي تطلب منه في دير القمر ، ومن مخزن الخواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل ، بيروت .

* برنامج جمعية طوبيا البار المارونية * ٧٢ ص . متوسطة مصوّرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٦ – أُسست هذه الجمعية في بيروت سنة ١٨٨٢ وغايتها دفن الموتى الفقراء المُهمَلين ، وادارة المكتبة المارونية ، وقد احتفت بيوبيلها الذهبي ، فنشرت هذا البرنامج جامعًا اعمال سنوات ثلاث : ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، و١٩٣٣ ، مزدانًا ببعض الصور .

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٣٣ * ٧٢ ص . صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – ملخص اعمال السنة الرابعة والسبعين لتأسيس هذه الشركة في بيروت ، وهي لا تزال دائبة على اغداق الحسنات « لمجد الله ، وخير القريب » .

فهارس المشرق

للسنة الثانية والثلاثين

١٩٣٤

فهرس اوّل

لموادّ السنة الثانية والثلاثين من مجلة المشرق

الملكيّون المشارقة ، بقلم حبيب زيات (٢٧٣-٢٨٣) = اخبار سفر المونسنيور پيكيت الى بلاد ارمينية والعجم (١٦٨١-١٦٨٤) : ٢ ، نشرها الخوري اسحق ارملة (٢٨٣-٢١٦) = شذرات : الاوضاع الصوفية لدى فلاسفة العرب ، بقلم عبد الستار سيت - تمثال فرحات في الشهباء (مصوَّرة) (٢١٦-٣٠١) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٢ كتاباً باللغات الاوربية ، و٨ كتب باللغة العربية (٣٠١-٣٢٠)

الجزء ٣ (تموز - ايلول) : رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها لابي علي بن سينا ، نشرها : محمد ثابت الفندي (٣٢١-٣٢٧) = سِفر المزامير بالسريانية : طبعة قزحيا ، طبعة كمبردج ، بقلم الخوري ميخائيل الرجي (٣٢٧-٣٦٣) = مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف ثروة الخليفة سليمان بن عبد الملك الاموي ، بقلم حبيب زيات (٣٦٣-٣٦٧) = ارتفاع الصليب : ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم : ٧ (مصوَّرة) ، بقلم الخوري بولس قرألي (٣٦٨-٣٩٢) — الفنيقيون بين الفرس واليونان (مصوَّرة) ، بقلم الامير موريس شهاب (٣٩٣-٤٠٩) = تاريخ الناصر البشرية في بغداد العباسيين ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٤٠٩-٤٤١) = اخبار سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١-١٦٨٤ : ٣ ، نشرها الخوري اسحق ارملة (٤٤١-٤٦٠) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٨ كتاباً باللغات الاوربية ، و٢٢ كتاباً باللغة العربية (٤٦٠-٤٨٠)

الجزء ٤ (تشرين الاول - كانون الاول) : العلم عند العرب : محاولات في تحديده ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٤٨١-٥٠٤) = الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، بقلم حبيب زيات (٥٠٤-٥١٠) = ارتفاع الصليب : ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم : ٨ (مصوَّرة) (تتمّة) ، بقلم الخوري بولس قرألي (٥١٠-٥٤٠) = المؤسسات الفنيقية الاولى (مصوَّرة) ، بقلم الامير موريس شهاب (٥٤٠-٥٦٢) = شوقي على المسرح مع مقدّمة في التمثيل العربي : المقدّمة ، بقلم ادوار حنين (٥٦٢-٥٨١) = جولة في الآثار السورية ، في العهد المسيحي وفي اوائل العهد الاسلامي (مصوَّرة) ، بقلم الاب رينه موترد اليسوعي (٥٨١-٥٩٢) = اخبار سفر المونسنيور فرنسيس پيكيت الى بلاد ارمينية والعجم ١٦٨١-١٦٨٤ : ٤ (تتمة) نشرها الخوري اسحق ارملة (٥٩٢-٦٠٩) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٠ كتاباً باللغات الاوربية ، و ٢٣ كتاباً باللغة العربية (٦٠١-٦٤٠) = فهارس المشرق (٦٤١)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثانية والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ·

٢ — المطبوعات الاوربية

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الثانية والثلاثين من المشرق